حِجَازِيّاتُ الشّرِيفِ الرّضِيّ

وَجَدِيّاتُهُ

إعــداد

إيمان عمران أبودهيم

المشرف

الدكتور يــاسيــن عايــش

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠٠١

قرار لجنـــة المناقشـــة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٣ / ٥ / ٢٠٠١.

أعضاء لجنة المناقشة:		التـوقيـــــع
د. يـاسيـــن عايـش	" رئيساً "	.....
د. عصمـة غوشـــة	" عضواً "	.....
د. حمـدي منصـــور	" عضواً "	.....
د. شفيـق الـرقب "جامعة مؤتة"	" عضواً "	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى تلك التي ما زالت تطالعني كلما قلبت كتاباً في الأدب أو الفكر...

إلى روح أستاذي الإنسان... نصرت عبد الرحمن

إلى من صنع ذاتي، فأدركت معنى أن أكون...

للذي احترقت شموعه لتضيء دربي... أبي

للتي لو أستطيع، خفضت لها ألف جناح من الذل... أمي

لمن أستمد من عيونهم معاني الأمل والقوة... إخوتي

للذي كان يغذي قلبي بالنبض....

ويبعث الحيوية في جهدي عند الكتابة...

للغائب الحاضر.... مروان

للذين أحاطوني بجناح رعايتهم... وبريق عيونهم... أهلي

لمن كانوا رقيباً حريصاً على إكمال بحثي... أصدقائي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشُّكر والتّقدير

مـــا أضعـــفَ الإنســـانَ لـــولا قـــوةٌ فـــي رأيـــهِ وأصالـــةٌ فـــي لبـــــهِ
مـــن لا يقـــومُ بشـــكرِ نعمـــةِ خلّـــهِ فمتـــى يقـــومُ بشـــكرِ نعمـــةِ ربّـــهِ؟

ما من بداية إلا ولها نهاية، ولا بد لي بعد أن أنهيت هذا البحث مـــن أن أتوجـــه بعميق الشكر ووافر الامتنان إلى الدكتور ياسين عايش الذي لم يبخل عليّ بوقته وبعلمـــه، فكان نِعمَ المُعلّمِ ونِعمَ المُعين. كما وأتقدم بمزيد من الشكر والتقدير إلى أساتذتي:

د.عصمة غوشـــة

د. حمدي منصور

د. شفيق الـــرقب

الذين تفضلوا بقراءة هذه الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهم وآرائهم واقتراحاتهم التـــي ستلقى قلباً مفتوحاً، وصدراً واسعاً، وعقلاً واعياً متفهماً، ما دام الهدف منها الفائدة العلمية لنا جميعاً.

٥٤٣٣١٧

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص شكري إلى كل من قدم لي مشـــورة أو رأياً أو تشجيعاً. كما أشكر السيد يوسف عبيد، إذ قام برسم الخريطة، وتعيين الأماكن التي وردت في شعر الشريف الرضي عليها.

إيمـــان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ح
المقدمة	١
الفصل الأول: سيرة الشريف الرضي.....	٧
• اسمه ونسبه.....	٧
• نشأته.....	١١
• صفاته.....	١٦
• ثقافته وشيوخه.....	١٩
• مؤلفاته.....	٢٣
• وفاته.....	٢٦
الفصل الثاني:	٢٩
• العوامل التي كانت تثير الحنين لدى الشريف الرضي الى الحجاز ونجد	٢٩
• طريقة الشريف الرضي في التعبير عن الحنين واهم عناصرها.....	٣٩
الفصل الثالث: السمات الفنية في حجازيات الشريف الرضي ونجدياته.....	٤٨
• الصورة الفنية	٤٨
• اللغة والاسلوب.....	٦٠
الفصل الرابع: الدلالات الرمزية في حجازيات الشريف الرضي ونجدياته.....	٧٢
• المرأة	٧٣
• المكان والبيئة العربية البدوية.....	٨٠
الفصل الخامس: الحجازيات والنجديات بعد الشريف الرضي.....	
– مهيار الديلمي.....	٨٩
– الأبيوردي.....	٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عمر بن الفارض..... ٩٨
- الصرصري..... ١٠٥
- البوصيري..... ١٠٩
الخاتمة..... ١١٥
قائمة المصادر والمراجع..... ١١٩
الملاحق..... ١٢٩
الملخص باللغة الإنجليزية..... ٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

إعـــداد

إيمـــان أبودهيـــم

المشرف

الدكتور ياسين عايـــش

تناولت هذه الدراسة موضوع "حجازيات الشريف الرضي ونجدياته"، وهي قصـائد غزلية، ذكر فيها أماكن حجازية، ومواضع نجدية، كان يحن إليها ويشتاق لرؤيتـــها، ولا يفتأ يرددها في شعره.

وقد نبعت أهمية هذه الدراسة من قلة الأبحاث والدراســات التـــي تنـــاولت هـــذا الموضوع، وتحدثت عنه، الأمر الذي دفعني إلى العكوف على ديوان الشريف الرضـــي، واستخراج هذه القصائد الموسومة بالحجازيات والنجديات ضمن محددات معينة، أبرزهـــا ذكر الشاعر للأماكن الحجازية والنجدية التي صاغ فيها الكثير من القصائد والمقطعات، ثم دراسة تلك الأشعار من الناحيتين: الفنية والرمزية.

وقد افتتحت هذه الدراسة بالحديث عن مولد الشاعر ونشأته ومراحل حياتـــه ومـــا تخللها من أحداث حزينة ومفرحة إلى وفاته، انتقلت بعدها إلى بيان العوامل التي كـــانت تثير في نفسه الحنين والشوق إلى هاتين البقعتين: نجد والحجاز، وطريقته في التعبير عـن هذا الشوق والحنين، مستعرضة أهم عناصر هذه الطريقة، ثم أخذت في دراسة الســـمات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنية في حجازياته ونجدياته، فتحدثت عن الصورة واللغة والأسلوب. وحاولت بعد ذلك استجلاء الدلالات الرمزية في هذه الحجازيات والنجديات التي كانت تدور حول المرأة والمكان والبيئة العربية البدوية. وقد ختمت هذه الدراسة بالحديث عن الحجازيات والنجديات بعد وفاة الرضي، متخذة نماذج من شعر خمسة شعراء من عصور مختلفة، لبيان أوجه الالتقاء والافتراق بينهم وبين الرضي صاحب مدرسة الحجازيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أجمع المؤرخون والأدباء على أن الشريف الرضي من كبار شعراء عصره. قال عنه الخطيب البغدادي:" كان من أهل الفضل والأدب والعلم"[١]. ونقل عن بعضهم قوله:"سمعت جماعة من أهل العلم والأدب يقولون: الرضي أشعر قريش، فقال ابن محفوظ: هذا صحيح. وقد كان في قريش من يجيد القول إلا أن شعره قليل، فأما مجيد مكثر فليس إلا الرضي"[٢]. ولذلك حظي شعر الشريف الرضي باهتمام واضح من الباحثين والمؤلفين، قدامى ومحدثين.

وقد أوقفني النظر في الدراسات الكثيرة عنه على ضرورة استجلاء جانب من جوانبه الإبداعية، هو الحجازيات والنجديات في شعره، لأنها- على قيمتها الفنية الكبيرة- لم تحظ بما تستحق من تركيز واهتمام، فكان ذلك باعثاً على كتابة هذا البحث، وإبراز ملامح هذا الموضوع، فعكفت أول ما عكفت على ديوان الشريف الرضي لاستخراج القصائد الحجازية والنجدية منه ضمن محددات معينة أبرزها ذكر الشاعر للأماكن الحجازية والنجدية التي صاغ فيها الكثير من القصائد والمقطعات.

وستحاول هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما العوامل التي كانت تثير في نفس الشريف الحنين إلى هاتين البقعتين: نجد والحجاز؟
- ما السمات الفنية والملامح الأسلوبية التي تميزت بها الحجازيات والنجديات؟

---

[١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢/ ٢٤٣، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

[٢] المصدر السابق، ٢/ ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هل كان ذكر الأماكن الحجازية والنجدية في شعر الشريف الرضي مجرد ضرب من الحنين ليس إلا؟
- هل يمكن أن تكون ظاهرة التغزل بنجد والحجاز في أشعار الشعراء الذين جاءوا بعد الشريف مجرد تقليد واحتذاء له؟

أما مصادري ومراجعي في هذه الدراسة، فقد كانت قليلة، حيث كان ديوان الشاعر في أولها. ومن أبرز هذه المراجع على سبيل المثال لا الحصر:

- الشريف الرضي، لإحسان عباس: وهو دراسة قسمه مؤلفه إلى قسمين: قسم يصور تطور حياة الشريف، وقسم يصور تطور شعره بدءاً من تأثره بالمتنبي وانتهاء بتفرده واستقلاليته. ولم يرد في هذا الكتاب القيم -بسبب طبيعته-اهتمام يذكر بالحجازيات والنجديات سوى مقتطفات بسيطة أشار فيها إلى روح البداوة في شعر الشريف وحنينه المستمر إلى البادية.
- الشريف الرضي دراسة في ذكراه الألفية: يضم هذا الكتاب التذكاري عشرة بحوث لعشرة دارسين، أبرزها لصوقاً بالدراسة بحث كامل الشيبي الموسوم بـ" حجازيات الشريف الرضي"، الذي تحدث فيه عن مفهوم الحجازيات، وأقسامها ومواقعها، وذكر أسماء أليفات الشاعر ومواطنهن، وعرض صوراً متنوعة من صور اللقاء سجلها الشريف في حجازياته تشف عن عفته ونبل أخلاقه. وتحدث الباحث بإيجاز عن الحجازيات والنجديات بعد الشريف الرضي، وعن أكثر الشعراء إعجاباً بهذه الحجازيات والنجديات.
- الشريف الرضي حياته وشعره، لمحمد إبراهيم المطرودي: وهو كتاب تحدث فيه مؤلفه عن عصر الشريف ومراحل حياته وأسرته وصلته بمجتمعه، وانتقل بعدها للحديث عن شخصيته وثقافته. وتناول في نهاية بحثه أغراضه الشعرية ومن ضمنها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغزل، حيث أورد مقطوعات متنوعة من قصائد الشريف الحجازية، وعلق عليها تعليقاً موجزاً.

- الشريف الرضي حياته ودراسة شعره، لعبد الفتاح الحلو: وتقع هذه الدراسة في قسمين اثنين: القسم الأول ركز على حياة الشريف وعصره وثقافته وشخصيته، وصلاته بمجتمعه. وخصص القسم الثاني لدراسة شعر الشريف وأغراضه الشعرية، ومن هذه الأغراض الحجازيات حيث تحدث فيها عن ثلاثة أغراض متداخلة هي: النسيب والمشيب وطيف الحبيب. وقد أورد مقطوعات شعرية في كل غرض من الأغراض المتقدم ذكرها، وعلق عليها بصورة مقتضبة، ودرس تلك الأغراض دراسة فنية.
- الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي، لإنعام رواقة: قسمت الدراسة إلى أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول حياة الشريف منذ ولادته حتى وفاته، وركزت في الفصل الثاني على ثلاثة محاور لدى حديثها عن الرؤية السياسية في شعره هي: الشعور القومي، والإمامة، وثورته على النظام السياسي. أما الفصل الثالث، فيتعلق بالرؤية الاجتماعية في شعره، وجعلتها في قسمين: علاقاته الاجتماعية المتعددة وثورته على الواقع الاجتماعي. وقد خصصت الفصل الأخير للبناء الفني في شعر الشريف، واكتفت بعرض قضيتين فنيتين هما: بنية القصيدة واللغة والأسلوب. وقد احتلت الحجازيات مكانة لا بأس بها في هذا البحث، حيث قامت بدراسة قصيدة حجازية دراسة فنية، ركزت فيها على صورة المرأة ودلالاتها المتنوعة، وتتبعت بعضاً من مبادئ الشيعة التي ظهرت في عدد من قصائده. وقد استنتجت الباحثة أن الحجازيات بحد ذاتها تقية، فهي في ظاهرها قصائد غزلية، ولكنها في الباطن ثورة على النظام السياسي، وتمرد على الواقع المؤلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أطروحتي فتشكلت من خمسة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول: سيرة الشريف الرضي وحياته، وعلاقته مع الخليفتين العباسيين: الطائع والقادر، والسلطانين البويهيين: شرف الدولة وبهاء الدولة، والمناصب الدينية التي تقلدها، والألقاب السياسية التي حازها، وصفاته النبيلة، وأخلاقه الكريمة، وثقافته المتعددة الآفاق، وشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم من شيعة وسنة، ومؤلفاته، ومن بعدها وفاته.

وتناولت في الفصل الثاني العوامل التي كانت تثير الحنين لدى الشريف الرضي إلى الحجاز ونجد، وطرق التعبير عنه، وأهم عناصرها.

ودرست في الفصل الثالث السمات الفنية في حجازيات الشريف الرضي ونجدياته، فتحدثت عن: الصورة، واللغة، والأسلوب.

ووقفت في الفصل الرابع على الدلالات الرمزية في حجازيات الشريف ونجدياته، وبينت أنها تدور حول ثلاثة محاور أساسية، هي: المرأة، والمكان، والبيئة العربية البدوية.

وخصصت الفصل الخامس للحديث عن ظاهرة التغني بالديار الحجازية والأماكن النجدية التي شاعت بعد الشريف الرضي، متخذة لذلك نماذج من شعر خمسة شعراء في عصور مختلفة، هم: مهيار الديلمي (ت٤٢٨ هـ)، والأبيوردي (ت ٥٠٧هـ)، وعمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ)، والصرصري (ت ٦٥٦هـ)، والبوصيري (ت ٦٩٥هـ). وتبين أن الحنين عندهم لم يعد متجهاً في حد ذاته إلى الأماكن الحجازية والنجدية، وإنما أصبح حنيناً إلى الذات العليا، والروح المحمدية.

وقد ألحقت بهذه الدراسة ثلاثة ملاحق جاءت على النحو الآتي:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأول: تعريف بأسماء الأماكن الحجازية والنجدية التي وردت في حجازيات الرضي ونجدياته، حيث اعتمدت في تعريفها على كتاب" معجم البلدان" لياقوت الحموي.
- الثاني: خريطة تظهر مواقع الأماكن الحجازية والنجدية التي تغنى بها الرضي.
- الثالث: القصائد الموسومة بالحجازيات والنجديات ومقطوعات من الطيفيات رأيت أن أضيفها لصلتها بالقصائد السابقة. وقد اعتمدت في شرح ألفاظ القصائد على معجم " لسان العرب" لابن منظور.

ولا يفوتني أن أذكر أن هذه الدراسة تقوم على أساس منهج استقرائي تحليلي، فهي تستقري حجازيات الشريف الرضي ونجدياته من ديوانه، وتحلل هذه النصوص الشعرية، وتدرسها دراسة فنية ورمزية.

وفي الختام، أسأل الله عز وجل أن تكون هذه الدراسة ذات فائدة لكل طلاب العلم ورواد المعرفة، وأن تتبعها دراسات جديدة لتكمل ما قد يعتورها من نقص أو خطأ، فالنقص سمة البشر، وقد صدق القاضي الفاضل عندما قال:" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر. وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

والله الموفق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

سيرة الشريف الرضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشريف الرضي

(٣٥٩- ٦محرم ٤٠٦/ ٩٧٠- ١٠١٥)

هو محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم، يرتفع نسبه إلى علي بن أبي طالب من خلال علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١]، وكان أبوه يعرف بأبي أحمد الطاهر(أو الطاهر الأوحد) ذي المناقب- إذ كان نقيبا للطالبيين(في عدة مرات)، كما تولى النظر في المظالم، وإمرة الحاج العراقي(عدة مرات أيضا). وقد توفي أبو أحمد الموسوي سنة ٤٠٠/١٠٠٩ عن عمر يناهز السابعة والتسعين[٢]، وكان مقدما لدى خلفاء بني العباس، كما كان يمثل دور حمامة السلام في إصلاح ذات البين، بين كبار رجال الدولة.[٣]

---

[١] انظر في ترجمته: الثعالبي، يتيمة الدهر، ١٥٥/٣، ط١، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣. أبو بكر البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٤٣/٢، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧. الباخرزي، دمية القصر، ٢١١/١، ط٢، تحقيق: سامي العاني، مكتبة دار العروبة، النقرة، الكويت، ١٩٨٥. ابن الجوزي، المنتظم، ١٤٦/٩، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩١/٨، ط١، راجعه وصححه: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧. القفطي، المحمدون من الشعراء، ٢٤٣، تحقيق: حسن معمري، راجعه: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٤١٤، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٤٩٣/١، ط١، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧. الذهبي، العبر، ٢١٣/٢، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٧٤/٢، ط٢، اعتناء: س.ديدرنغ، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤. اليافعي، مرآة الجنان، ١٥/٣، ط١، وضع حواشيه: خليل منصور، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٦٤/٦، ط١، حقق نصوصه مكتب التحقيق، بإشراف: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/١٢، ط٢، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٩/٤، ط١، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٢٦/٣، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٦٢/٢، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.

[٢] انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٠/٨.

[٣] ففي سنة ٣٥٨هـ أرسل عز الدولة بختيار النقيب أبا أحمد الموسوي إلى أبي تغلب الحمداني في الصلح مع أخيه حمدان، فاصطلحا. انظر: المصدر السابق، ٧/ ٣١١-٣١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أم محمد فهي فاطمة بنت الناصر الصغير الحسن بن أحمد التي يرتفع نسبها أيضا إلى زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وكان آباؤها من ملوك طبرستان[١]. وتوفيت سنة ٣٨٥/٩٩٥ (أي قبل وفاة زوجها)، ولكنها كانت ذات دور كبير في تنشئة أبنائها، وبخاصة المرتضى والرضي حين كان زوجها سجين قلعة بفارس لمدة سبعة أعوام (٣٦٩/٩٧٩ - ٣٧٦/٩٨٦). فهي التي عهدت بتعليمهما إلى الشيخ المفيد محمد بن النعمان[٢]، وقامت بشؤونهما. وقد رثاها الشريف الرضي بقصيدة حزينة مطلعها:

أبكيكِ لَو نقعَ الغليلُ بُكائي ... وأقولُ لو ذَهب المقالُ بدائي[٣]

مثلما رثى أباه أبا أحمد الموسوي بقصيدة يقول فيها:

قد كنتُ أعذلُ قبلَ موتكَ من بكى ... فاليومَ لي عجبٌ من المُتبسِّمِ

وأذودُ دمعيَ أن يبُلَّ محاجري ... فاليومَ أُعلمُهُ بما لم يعلَمِ

لا قلتُ بعدك للمدامعِ كفكفي ... من عَبْرَةٍ ولو انَّ دمعيَ من دَمِي[٤]

عاش الشريف الرضي في عصر كانت فيه الخلافة العباسية آخذة في الضعف، إذ انتزع من أملاكها الواسعة كثير من الولايات، مثل مصر والشام اللتين استولى عليهما الفاطميون، وتغول بنو بويه[٥] الديلميون على مركز الخلافة العباسية نفسها، فاستولوا على بغداد سنة ٣٣٤/٩٥٤. وأصبح الخليفة شخصية مسلوبة السيطرة والسيادة، وبخاصة في

---

[١] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٤٤/ ١٧٤، تحقيق: حسن الأمين، مطبعة الإنصاف، بيروت، ١٩٥٩.

[٢] أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، كان فقيه الإمامية في وقته. توفي سنة ٤١٣هـ. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٦/٩. علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٥٩، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢.

[٣] ديوان الشريف الرضي، ٢٦/١، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٣. نقع: أروى. الغليل: حرارة الحزن. المقال: القول، أي لو أن الكلام يذهب بداء الحزن ويريحني، لما كففت عن الحديث.

[٤] المصدر السابق، ٢٩٠/٢. أعذل: ألوم. أذود: أدفع.

[٥] انظر ابتداء دولة بني بويه في كتاب ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨٧/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عهد عضد الدولة. وقد صور ابن خلدون حقيقة وضع الخليفة العباسي بعبـــارة رائعـــة، فقال:"وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظا، المسلوب معنى".[١]

وكان بنو بويه يعتنقون المذهب الشيعي، وكفل هذا الوضع السيادة لذلك المذهـــب، ووجد الثائرون الذين ينزعون إلى الاستقلال في عدة مدن ومناطق، وكثرت الثورات فـــي بغداد نفسها بسبب الصراع بين الشيعة وأهل السنة أو بين الحنابلة والأحناف[٢]، وامتـــدت هذه الثورات لتشمل الأتراك والديلم أيضا.[٣]

كما اشتعلت ثورات العيارين في بغداد[٤]، مدة غير قصيرة، بين الطبقات الفقـــيرة التي انتهزت فرصة الفوضى السياسية العامة.

على أن هذا الخلل السياسي والاجتماعي قد يظن أنه كان عاملا في ركود الحيـــاة الثقافية- العلمية والأدبية. ولكن الأمر كان على عكس ذلك، فإن الحيوية الثقافية في ذلـــك العصر(القرن الرابع الهجري) بلغت ذروتها، ومن تأمل كتاب " الفهرست " لابن النديـــم (ت٣٨٤/١٠٤٧) ليرصد النتاج الفكري في ذلك القرن، لم يعدم أن يجد صورة اســـتقلال الحياة الثقافية في نهوضها عن الأحوال المتردية سياسيا واجتماعيا.

ففي ذلك العصر ازدهرت مدرسة أبي سليمان المنطقي[٥](ت نحو ٣٨٠/٩٩٠) في

---

[١] ابن خلدون، العبر،٨٧٨/٦، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٩٩.

[٢] راجع مثلا حوادث سنة: ٣٦٣هـــ، ٣٧١هـــ، ٣٨٠هـــ، ٣٨٩هـــ، ٣٩٨هـــ، ٤٠٦هـــ من كتاب المنتظم لابن الجوزي، والكـــامل لابن الأثير.

[٣] انظر أحداث سنة: ٣٧٦هـــ، ٣٧٩هـــ، ٣٨٢هـــ، ٣٨٣هـــ،٣٩١هـــ في البداية والنهاية لابن كثير.

[٤] راجع مثلا حوادث سنة: ٣٨٠هـــ، ٣٨٤هـــ، ٣٩٨هـــ، من كتاب الكامل لابن الأثير. والعيارون: فئة جديدة من الأشخاص تولـــدت نتيجة التفاوت الطبقي بين أبناء المجتمع الواحد، فسخطت هذه الفئة سخطا شديدا على الأغنياء المترفين.

[٥] محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، حكيم، منطقي، له نظر في الأدب والشعر. سكن بغداد، ولزم منزله لعور فيه وبرص كانا يمنعانـــه من غشيان منازل الأمراء والوزراء، وكان عضد الدولة يكرمه. من آثاره: "رسالة في مراتب قوى الإنسان"، و "اقتصاص طرق الفضـــائل". انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٦٥/٣-١٦٦. والزركلي، الأعلام، ١٧١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسفة، وظهر أبو الحسن العـــامري[١](ت ٣٨١/٩٩١) ، وأبـــو زيـــد البلخـــي[٢] (ت٣٢٢/٩٣٤).

وفي ميدان الشعر احتل المتنبي (ت ٣٥٤ /٩٦٥) ذروة الشعر العربي، وتطـورت الكتابة الفنية على يد أبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠/١٠١٠)، كما تطـــورت الكتابـــة الديوانية على يد الصاحب ابـــن عبـــاد (ت ٣٨٥/٩٩٥) وأبـــي الفضـــل ابـــن العميـــد (ت٣٦٠/٩٧١)، ووضـــع أبـــو الفـــرج الأصبـــــهاني (ت ٣٥٦/٩٦٧) موســـــوعته الكبرى(الأغاني) في تاريخ الأدب العربي والغناء.

وزخر القرن الرابع بعلماء اللغة والنحو[٣]. وانتشرت حلقات علماء الكلام، وكـثرت المناظرات العلمية.

ومن الطبيعي أن تكثر المكتبات الخاصة والعامة التي امتلأت بكل ما هـــو غـــال ونفيس. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة الصاحب بن عباد حيث اقتنى كتبا قيل إنها كـــانت تحمل على أربعمائة بعير[٤]، ومكتبة أبي نصر سابور بن أردشير وســـماها " دار العلـــم " ووقفها على العلماء ونقل إليها كتبا كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستا[٥].

في ظل هذه الأجواء، انصرف الرضي منذ نعومة أظفاره إلى تعلم القرآن الكريـــم والحديث ودراسة الفقه والشعر والنثر. وامتلك الرضي موهبة شعرية بدأت تؤتي ثمارهـــا

---

[١] محمد بن يوسف العامري النيسابوري، أبو الحسن، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراســـان. انظـــر: الزركلـــي، الأعـــلام، ١٤٨/٧.

[٢] أحمد بن سهل، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون. من مؤلفاته: "نظم القرآن"، "شرائع الأديان"، "الشطرنج". انظر: المصـــدر السابق، ١٣٤/١.

[٣] سيأتي الحديث عنهم لاحقا في ص١٩-ص٢٠.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٣٠/٩،

[٥] المصدر السابق، ٢٠/٩. وقد وزر سابور بن أردشير لبهاء الدولة ثلاث مرات، ووزر كذلك لشرف الدولة بن عضد الدولـــة. وكـــان كاتبا، شديدا، عفيفا عن الأموال، كثير الخير، سليم الباطن. وقد بقيت دار العلم التي ابتاعها سبعين سنة، وأحرقت عند مجيء طغرلبـــك في سنة خمسين وأربعمائة. انظر: المصدر نفسه، ٢٠٠/٩-٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، ويؤكد ذلك قول الثعالبي في يتيمته :" وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل"[١].

عاش الرضي طفولة هادئة سرعان ما تحولت إلى كابوس مزعج، فما كاد يتم السنين العشر من عمره حتى فوجئ بقبض عضد الدولة على أبيه سنة ٣٦٩/٩٧٩، ومصادرة أملاكه وسجنه في قلعة بفارس[٢]، عندها شعر الرضي بقسوة الحياة وتأججت في داخله مشاعر الحقد والغضب تجاه عضد الدولة الذي نكب أسرته وفرق شملها.

ومع إطلاق سراح أبي أحمد الموسوي سنة ٣٧٦/٩٨٦، تبدأ مرحلة جديدة في حياة الرضي، وهي مرحلة النضج السياسي والاجتماعي والفكري. فأخذ يسعى للاتصال بالخلفاء والملوك والوزراء، واقتصرت علاقاته الوثيقة على خليفتين عباسيين هما: الطائع(ت ٣٩٣/١٠٠٣)، والقادر(ت٤٢٢/١٠٣٢)، وسلطانين من آل بويه هما: شرف الدولة(ت٣٧٩/٩٨٩)، وبهاء الدولة(ت٤٠٣/١٠١٢).

ونجد أن اتصاله بالخلفاء والملوك يمثل معبرا يعبر منه لتحقيق آماله وبلوغ مراده، فتكثر قصائد المدح والتهنئة للخليفة الطائع والملك بهاء الدولة بشكل خاص، ومن ذلك قوله مادحا الخليفة الطائع لله مهنئا بعيد الأضحى من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة:

جزاءُ أميرِ المؤمنينَ ثنائي ... على نِعَمٍ ما تنقَضي وعَطَاءِ

أقامَ اللّيالي عن بقايا فَريسَتي ... ولم يبقَ منها اليومَ غير ذَمَاءِ[٣].

---

[١] الثعالبي، يتيمة الدهر، ١٥٥/٣.

[٢] لمزيد من التفاصيل، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٤٢١/٨. و ابن الأثير، الكامل، ٣٩١/٧.

[٣] الديوان، ٩/١. ذماء: بقية الروح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما صلته بالسلطان البويهي شرف الدولة فقد كانت حسنة جدا، فهو الذي أفرج عن أبيه، وصحبه معه إلى بغداد، و رد إليه ما صودر من أملاكه.

ولما توفي شرف الدولة سنة ٣٧٩/٩٨٩، رثاه الرضي بقصيدة احتوت على كثير من الحكم، ومما جاء فيها:

يموتُ قومٌ فلا يأسى لهمْ أحدٌ وواحدٌ موتُهُ حُزْنٌ لأقوامِ[١]

ويجيء عهد بهاء الدولة أخي السلطان الراحل، فيحبه الرضي ويبادله بهاء الدولة المشاعر نفسها.

وكان عهد بهاء الدولة طويلا، فقد امتد من سنة(٣٧٩/٩٨٩ - ٤٠٣/١٠١٢). ونظم الرضي قصائد متنوعة الأغراض في بهاء الدولة كان فيها إما مادحا، أو شاكرا، أو مهنئا، أو معزيا، أو متمنيا له الشفاء من علة ألمت به.[٢]

وفي عام ٣٨٠/٩٩٠، بدأ الرضي يتقلد المناصب الدينية والسياسية التي تقلدها والده من قبله وهي نقابة الطالبيين، والنظر في المظالم، وإمرة الحاج[٣]. وكان الرضي يعزل ويعاد، ففي سنة ٣٨٤/٩٩٤، عزل عن نقابة الطالبيين[٤]، والسبب في ذلك الأبيات التي نظمها مظهرا فيها ميله إلى الفاطميين، فيقول:

---

[١] الديوان، ٤١٥/٢.

[٢] انظر: أديب التقي البغدادي، الشريف الرضي، ١٥٤، ط٢، مطبعة الكرم، ١٩٦٩. انظر الديوان، ٥٣/١، ٢٧٣، ٤١٣، ٥٤٩، ٥/٢، ٤٢، ٩٩، ٢٨٦، ٢٩٧.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٨/ ٤٨٣. و ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٤/ ١٦٠.

[٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٦٩/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما مُقَامي علـــى الـــهوانِ وعنـــدي ... مِقْـوَلٌ صـــــارِمٌ وأنـــفٌ حَمِـــيٌّ
ألبَسُ الـــذُّلَّ فـــي ديـــارِ الأعـــادي ... وبمصـــرَ الخليفـــــةُ العلـــــويُّ
مَـــنْ أبـــوه أبـــي ومَـــولاهُ مَـــوْلا ... ي إذا ضَـــامَني البعيـــــدُ القَصِـــيُّ
لفَّ عِرقـــي بعرقِـــه سَـــيِّدا النَّـــا ... س جميعـــاً مُحمَّـــــدٌ وعلـــــيٌّ
إنَّ ذُلّـــي بذلـــك الجَـــوِّ عِـــزٌّ ... وأُوامـــي بذلـــك النَّقْـــــعِ رِيُّ[1]

إضافة إلى امتناعه من سطر خطه في المحضر الذي أعده القادر في القدح فـــي نسب الفاطميين[2]، لكن بهاء الدولة عاد فقلده نقابة الطالبيين بالعراق سنة ٣٩٦/١٠٠٥[3].

وقد حاز الرضي-إضافة إلى هذه المناصب- الكثير من الألقاب التي منحه إياهـــا بهاء الدولة. ففي عام ٣٨٨/٩٩٨، لقب بالشريف الجليل[4]. وفي عام ٣٩٧/١٠٠٦، لقـــب بالرضي ذي الحسبين[5].

ومما لاشك فيه أن هذه المناصب والألقاب قد أوجدت للرضي خصوما وحسادا من الأقارب والأباعد على السواء، الأمر الذي دفع الرضي إلى الاستعفاء من هذه الأعمـــال غير مرة، فيقول مخاطبا بهاء الدولة:

غوثَكَ منها يـــا غِيَـاثَ الـوَرَى ... قد ثَقُـلَ العِـبْءُ علـى المَـهْرَمِ
لاتحســبُوا أنِّـي علـى جُرأتـــي ... أحجمتُ حتَّى ضاقَ لي مَقْدَمِـــي[6]

---

[1] الديوان، ٥٧٦/٢. الأوام: حر العطش. النقع: ما اجتمع في البئر من الماء.

[2] انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٧/١-٣٩، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩.

[3] انظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٦/٨.

[4] الديوان، ٤٥٤/٢.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ٩٦/٩.

[6] الديوان، ٣٠٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكم شعر الرضي بسعادة بالغة عندما صرف عن النقابة، مسجلا هـــذه الســعادة بقوله:

فمـــا المغبـــونُ إلاَّ مـــن تَولَّـــى ومـــا المغبـــوطُ إلاَّ مـــن تَخلَّـــى[1]

ومن الملاحظ أن همة الرضي–في السنوات الأخيرة من عمره– قد فترت في نظم الشعر، ولاسيما بعد وفاة بهاء الدولة سنة ١٠١٢/٤٠٣، فكانت وفاة الأخير صدمة قوية للرضي انعكست على نفسيته. وقد طال بكاؤه عليه، فقال يرثيه في قصيدة حزينة:

ذكرتُكَ ذكرَ العاطشاتِ ورودَهـــا تُحَـرَّقُ أكبـادٌ لـــها وضلـــوعُ
تقـــاذفنَ يطلبُـــنَ الـــرَّواءَ عَشِـــيَّةً نزائِـــعُ أدنـــى وِردِهِـــنَّ نَزِيـــعُ
ضربْنَ طريقـــاً بالمناســـم أربعـــاً إلى الماءِ لا تُدنَى إليـــه شَـــرُوعُ
فهجراً لدار الحيِّ بعـــد رحيلِكُـــمْ وما كـــلُّ أظعـــانٍ لَـــهُنَّ رُجُـــوعُ
ولا مرحباً بالأرضِ لستُمْ حُلُولَـــها وإنْ كانَ مرعىً للقَطيـــنِ مَرِيـــعُ
لقد جَلَّ قدرُ الرُّزءِ أن يبلغَ البكـــا مَـــداهُ ولـــو أنَّ القلـــوبَ دُمُـــوعُ
ولو أنَّ قلبي بعد يومِـــك صخـــرةٌ لبانَ بـــها وجـــداً عليـــك صُدُوعُ[2]

[1] الديوان، ٢٤٤/٢. المغبون: المخدوع. المغبوط: اسم مفعول من غبط، أي تمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه.

[2] المصدر نفسه، ٦٢٧/١. نزائع: النجائب التي تجلب إلى غير بلادها. الزريع: البئر القريبة القعر. المناسم: طرف خف البعير. شروع: الإبـل العطاش الشارعة في الماء. الريع: النماء والزيادة، وأرض مريعة: مخصبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تكشف المصادر القديمة وصفا لشخصية الرضي الجسدية "الخلقية "، أما بالنسبة لصفاته الخلقية، فقد كشفها الديوان بشفافية واضحة من طموح واعتداد بالنفس وعفة وورع و..... وقد جمعها ابن عنبة بقوله :"هو ذو الفضائل الشائعة، والمكارم الذائعة، كانت له هيبة وجلال، وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة".[١]

وتواترت القصص في وصف عفته وورعه وإبائه، فقد حكي أن فخر الملك[٢] أحد وزراء آل بويه بلغه ذات يوم أن الرضي ولد له غلام، فأرسل إليه بطبق فيه ألف دينار فرده، وقال: قد علم الوزير أني لا أقبل من أحد شيئا. ولكن فخر الملك أرجع إليه الطبق ثانية، وقال: إنما أرسلته للقوابل. فرده الشريف ثانية، وقال: قد علم الوزير أنا أهل بيت لايطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممن يأخذن أجرة، ولا يقبلن صلة.[٣]

كما اتسم بالورع والتدين ونظر إلى الدنيا بعين الزاهد، فقال :

خَطبتني الدُّنيا فقلتُ لها ارجِعي إنِّي أراكِ كثيرةَ الأزواجِ[٤]

واتصف الرضي بالوفاء لأصحابه وخلانه خاصة للخليفة الطائع، وأبي إسحاق الصابئ. وليس أدل على وفائه للخليفة من قصيدته اللامية التي نظمها في التوجع للنكبة التي أصابت الطائع، فهو لم يخف من سطوة الخليفة القائم أو السلطان، فقال:

---

[١] ابن عنبة، عمدة الطالب، ١٧٠، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

[٢] أبو غالب محمد بن علي بن خلف، وزير بهاء الدولة، وبعد وفاته وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو. كان من أعظم وزراء آل بويه، وكان واسع النعمة، جم الفضائل والإفضال. نقم عليه مخدومه سلطان الدولة، فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز. وكان مقتله سنة سبع وأربعمائة. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٤/٥-١٢٧.

[٣] انظر: الخوانساري، روضات الجنات، ١٩٥/٦. و ابن عنبة في عمدته، ١٧١، حيث ورد هذا الخبر عن الوزير أبي محمد المهلبي، وهو اشتباه لأن الوزير المهلبي توفي سنة ٣٥٢هـ قبل أن يولد الرضي بسبع سنوات.

[٤] الديوان، ٢٣٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنْ كـــانَ ذاكَ الطَّـــــودُ خـــــــ ـــــرَّ فبعدمـــا اســـتَعلى طَويـــلا
مُـــوفٍ علـــى القُلَـــــلِ الـــذُّوا هِبِ في العُلى عرضـــاً وطُـــولا[1]

ولما توفي الطائع في محبسه سنة ١٠٠٣/٣٩٣، رثاه الرضي رثاء مرا[2]. ورثـاؤه لخليفة مات معزولا عن الخلافة لا يكون له داع إلا الوفاء.

أما وفاؤه للصابئ فقد ظهرت آثاره في شعره. فكان كلما مر بقبر الصابئ وقـف خاشعا ذاكرا له. فيقول في إحداها:

أيعلـمُ قـبرٌ بالجُنَيْنَـــةِ أنَّـــا أقمنا به نَنْعَى النَّـدى و المَعَالِيَـا[3]

وكثيرا ما كان الرضي يعاتب ويلام على رثائه لشخص صابئ، فيجيـب :" إنمـا رثيت فضله "[4].

وكان الرضي طيب النفس كريما سخيا مع أصدقائه وغيرهم، حتـى إنـه اتخـذ لطلاب العلم الملازمين له دارا سماها دار العلم، وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه. وأمـر أن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة، ويدفع إلى كل منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج إليـه، ولا ينتظر خازنا يعطيه.[5]

وكان الرضي ينسب إلى الإفراط في عقاب الجاني من أهله. فقد حدث أن امـرأة علوية شكت إليه زوجها، وأنه يقامر وهو ذو عيلة وحاجة، فاسـتحضره الشـريف وراح

---

[1] الديوان، ١٩٤/٢.
[2] انظر الديوان، ١٩٧/٢.
[3] المصدر نفسه، ٥٧٩/٢.
[4] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٦٩/٤.
[5] الخوانساري، روضات الجنات، ١٩٦/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يضربه حتى كاد يهلك. فصاحت المرأة: وايتم أولادي، كيف تكون حالتنا إذا مات هـــذا؟ فقال لها الشريف: ظننت أنك تشكينه إلى المعلم.[١]

وعرف عن الرضي أنه كان طموحا، إذ طالما حدثته نفسه بالخلافة، على الرغـم من المناصب المرموقة التي شغلها، والألقاب العديدة التي حازها، فإنها لم تكـــن هدفـه وحلمه، بل كان يسعى إلى المرتبة التي لا يعلوها مقام-وهي الخلافة، فقال معبرا عـــن ذلك:

لو كنتُ أقنـــعُ بالنَّقابـةِ وَحدَهـا لغَضَضْتُ حيـــنَ بلَغْتُـها آمـالي
لكنَّ لي نفساً تتـــوقُ إلـى التَّـي مـا بعـدَ أعْلاهـا مقـامٌ عـالِ[٢]

وديوان الرضي حافل بالأبيات التي تفصح عن رغبته الشديدة بالخلافة حتى إنـــه توهم نفسه أمير المؤمنين يجلس على عرش الخلافة، فقال(يعني نفسه):

هـذا أمـيرُ المؤمنيـنَ مُحمَّـــدٌ كَرُمَتْ مغارِسُهُ وطـابَ المولـدُ[٣]

غير أنه مات دون تحقيق هذا الأمل المنشود.

---

[١] ابن عنبة، عمدة الطالب، ١٧٢. وانظر: علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٥٩.
[٢] الديوان، ١٨٢/٢.
[٣] الديوان، ٤٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثقافته و شيوخه

نهل الرضي من منابع ثقافية عدة هي: علوم اللغة العربية، والعلوم الدينية، وعلم الأنساب. وقد تلقى هذه العلوم على أيدي علماء كبار من شيعة وسنة في عصره، وفي مختلف المذاهب، حيث يدل ذلك على طموحه العلمي المتعدد الآفاق الذي أبعده عن كل عصبية مذهبية. ومن أشهر أساتذته وشيوخه في اللغة والنحو:

١. أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨/٩٧٩)

الحسن بن عبد الله بن المرزبان، وكان من أعلم الناس بمذهب البصريين في النحو[١].

٢. أبوعلي الفارسي (ت ٣٧٧/٩٨٧)

الحسن بن أحمد الفارسي النحوي صاحب "الإيضاح" و "التكملة". وقد برع في علم النحو وعلت منزلته في العربية، وتقدم عند عضد الدولة حتى قال : أنا غلام أبي علي في النحو[٢]. وروى عنه الرضي بالإجازة كتاب " الإيضاح"[٣].

٣. ابن جني (ت ٣٩٢/١٠٠٢)

أبو الفتح عثمان بن جني النحوي صاحب المصنفات الكثيرة منها "اللمع" و"الخصائص"[٤]. وأكثر الرضي النقل عن ابن جني في كتابيه "المجازات النبوية" و "تلخيص البيان"[٥] . وأعجب ابن جني بشعر تلميذه وشرح قصيدته الرائية[٦] التي

---

[١] انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٣٨/٤. و الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن/ مقدمته، ٨٦، ط١، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥.

[٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٥٤/٤.

[٣] مقدمة تلخيص البيان، ٨٧. وانظر الشريف الرضي، المجازات النبوية، ١٠٢، تحقيق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٧.

[٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٠٧/٤.

[٥] انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان (سورة النحل)، ١٩٠. وانظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، ٦٠، ١٠٢.

[٦] الديوان، ٤٩٠/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رثى بها أبا الطاهر إبراهيم بن ناصر الدولة الحمداني، فشكره الرضي بقصيـــدة مطلعها :

أراقبُ من طيفِ الحبيبِ وصالاً ويأبى خيالٌ أن يزورَ خيالا[١]

وكانت بينهما مودة أكيدة. وقد قرأ عليه طويلا. ولما توفي ابن جني تولـى الرضي الصلاة عليه قبل دفنه ورثاه بقصيدة باكية حزينة.[٢]

٤. أبو الحسن الربعي(ت ٤٢٠/١٠٢٩)

علي بن عيسى النحوي[٣]، قرأ عليه الرضي " مختصر الجرمي"[٤]، وقطعة من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، والعروض للزجاج، والقوافي للأخفش.

أما في حقل العلوم الدينية، فقد درس على:

١. الشيخ أبي إسحاق الطبري (ت ٣٩٣/١٠٠٣).

إبراهيم بن أحمد بن محمد الفقيه المالكي[٥]. قرأ عليه الرضي القرآن الكريـــم وهو شاب حدث، فقال يوما للشريف: أين مقامك ؟ قال: في دار أبي بباب محول[٦]. فقال: مثلك لا يقيم بدار أبيه، قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة، فامتنع الرضي من قبولها، وقال له: لم أقبل من أبي قط شيئا. فقال:إن حقي عليك أعظـم من حق أبيك عليك لأني حفظتك كتاب الله، فقبلها[٧].

---

[١] الديوان، ١٦٦/٢.

[٢] المصدر نفسه، ٦٣/٢.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٢٢٨/٩. والأميني، الغدير، ١٨٤/٤، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

[٤] الجرمي: هو أبو عمر صالح بن إسحاق، قدم بغداد، وأخذ النحو عن الأخفش ويونس، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة. وانتهى إليه علـم النحو في زمانه. مات سنة خمس وعشرين ومائتين. وله من التصانيف: "التنبيه"، "المختصر في النحو"، "العـــروض"، "والأبنيـــة". انظـــر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣١٤/٩-٣١٥. والسيوطي، بغية الوعاة، ٨/٢-٩.

[٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٠/٤.

[٦] محول: محلة من محال بغداد منفردة بجنب الكرخ. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦٦/٥، دار صادر، بيروت.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ٨٠/٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. أبي حفص الكناني (ت ٣٩٠/١٠٠٠)

عمر بن إبراهيم المقرئ المحدث[١]، قرأ عليه الرضي القرآن الكريم بروايات متعددة.[٢]

٣. أبي بكر الخوارزمي (ت ٤٠٣/١٠١٢).

محمد بن موسى شيخ الحنفية وعالمهم ومفتيهم، انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه[٣]. درس عليه الرضي الفقه، وقرأ عليه مختصر أبي جعفر الطحاوي [٤]. وكان الرضي يسأله في مسائل متنوعة ، وقد أشار إلى ذلك في المجازات النبوية[٥] وتلخيص البيان[٦].

٤. الشيخ المفيد المعروف بابن المعلم (ت ٤١٣/١٠٢٢)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان،وكان فقيه الإمامية في وقته[٧]. قرأ عليه الرضي فقه الإمامية.[٨]

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٦٤/٩، حيث ورد الكناني بدلا من الكناني. والأميني، الغدير، ١٨٥/٤.

[٢] الشريف الرضي، المجازات النبوية، ٣٢.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢٣٤/٤. وانظر: الأميني، الغدير، ١٨٤/٤.

[٤] مقدمة التلخيص، ٢٨٠. والطحاوي هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. من تصانيفه: "المختصر في الفقه"، "أحكام القرآن"، "مناقب أبي حنيفة". انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٨٩/٢-٤٩٠.

[٥] الشريف الرضي، المجازات النبوية، ١١٥.

[٦] الشريف الرضي، تلخيص البيان، ٢٨١.

[٧] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ١٨٦/٩.

[٨] انظر: علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥/١٠٢٥).

أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الشافعي المعتزلي[١]. قرأ عليه كتابه المسمى "تقريب الأصول"[٢]و "شرح الأصول الخمسة"[٣]و "العمد في أصول الفقد"[٤].

٦. أبي القاسم الجراح (ت ٣٩١/١٠٠١)

عيسى بن علي، كانت له معرفة بعلوم الأوائل والحديث والمنطق والفلسفة[٥].

صرح الرضي في المجازات النبوية أنه قرأ عليه الحديث[٦].

أما أشهر أساتذته في علم الأنساب، فهم:

١. أبو عبد الله المرزباني (ت ٣٨٤/٩٩٤)

محمد بن عمران صاحب كتاب معجم الشعراء[٧]. درس عليه الرضي الفقه والحديث.[٨]

٢. أبو الحسن الجرار (ت ٤٣٥/١٠٤٤)

محمد بن أبي جعفر محمد بن علي، وهو من المختصين في علم الأنساب[٩].

---

[١] انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٥٢/٣. وانظر: الأميني، الغدير، ١٨٤/٤.

[٢] الشريف الرضي، تلخيص البيان، ٢١٢.

[٣] الشريف الرضي، المجازات النبوية، ٢٦٦.

[٤] المصدر السابق،١٣٩.

[٥] انظر: الأميني، الغدير، ١٨٥/٤. والزركلي، الأعلام، ١٠٦/٥.

[٦] الشريف الرضي، المجازات النبوية، ١٨١.

[٧] انظر: الزركلي، الأعلام، ٣١٩/٦.

[٨] الأميني، الغدير، ١٨٤/٤.

[٩] ابن عنبة، عمدة الطالب، ٢٥٣-٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلفاته

ليس جديداً إذا قلنا إن الشريف الرضي كان أديباً متميزاً و" فقيهاً متبحراً ومتكلماً حاذقاً ومفسراً لكتاب الله وحديث رسوله"[١]، إلا أن شهرته في الشعر غلبت شهرته في النثر. ويجب أن لا يفهم مما سبق أن الرضي شاعراً أفضل منه كاتباً، فالرضي "مجل في الحلبتين، سباق في الميدانين".[٢]

وقد شهد له مترجموه بسعة اطلاعه وعمق ثقافته، وقد خلف عدداً من المؤلفات، أشهرها:

١. سيرة والده الطاهر أبي أحمد الموسوي:[٣]

أشار إليه الرضي في شعره[٤]، وقال الأميني:"إنه ألفه سنة ٣٧٩هـ وذلك قبل وفاة والده"[٥]. وهذا الكتاب مفقود لايعرف له سبيل.

٢. خصائص الأئمة:[٦]

يبحث في خصائص أئمة أهل البيت، لكنه توقف عند خصائص الإمام علي، فلم يكمل ما بدأه. وأشار إليه الرضي في مقدمته لكتاب" نهج البلاغة"، فقال:"فإني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن، ابتدأت تأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام، يشتمل على محاسن أخبارهم و جواهر

---

[١] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٧٨.

[٢] المصدر السابق، ١٧٨.

[٣] انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٧٥/٢. وابن عنبة، عمدة الطالب، ١٧٠.

[٤] الديوان، ١٥٩/٢.

[٥] الأميني، الغدير، ١٩٨/٤.

[٦] انظر: علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٦٧. ومحسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلامهم..... وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام، ومماطلات الزمان".[١]

٣. تلخيص البيان في مجازات القرآن:

يبحث عن الاستعارات والمجازات والكنايات في آي القرآن الكريم. وحلل استعارته متناولاً القرآن كله وفق ترتيب السور في المصحف، ومتناولاً كل آية فيها مجاز وفق ترتيبها في تلك السورة.[٢]

٤. مجازات الآثار النبوية:

تفرد بالحديث النبوي، فتناول فيه الرضي ثلاثمائة وستين حديثاً من أحاديث الرسول عليه السلام اشتملت على مجازات ولطائف استعارات ودقائق كنايات[٣]. وقام بوضعه بعد أن استحسن الناس كتابه " تلخيص البيان"، وقد صرح هو بذلك في مقدمة كتابه " المجازات النبوية"[٤].

٥. حقائق التأويل في متشابه التنزيل:[٥]

كتاب ضخم في تأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم. وكان يطلق عليه الرضي أحياناً اسم الكتاب الكبير. وقد أشار إلى ذلك كثيراً في "المجازات النبوية"[٦]و" تلخيص البيان "[٧]. ولم يصل إلينا من حقائق التأويل إلا الجزء الخامس،

---

[١] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٤/١.

[٢] انظر: مقدمة تلخيص البيان، ٣٦.

[٣] انظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، ١٩. ومقدمة المجازات، ٤.

[٤] المصدر السابق، ١٩

[٥] انظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٧٨.

[٦] انظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، ٢٥.

[٧] انظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان، ١٤٣، ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد طبع بالنجف بشرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء وتقديم عبد الحسين الحلي.[١]

٦. نهج البلاغة[٢]

هو مجموع ما اختاره الشريف من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، في الخطابة والترسل. وتناوله كثيرون بالشروح حتى بلغت شروحه أكثر من سبعين شرحاً[٣]، وأعظم هذه الشروح وأطولها هو شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني[٤] المتوفى سنة ١٢٥٧/٦٥٥.

٧. ما دار بينه وبين أبي إسحاق من الرسائل:

وتقع في ثلاثة مجلدات.[٥] وهذه المكاتبات الشعرية والنثرية التي جرت بين الرضي وأبي إسحاق الصابئ قد نشرت بالكويت سنة (١٣٨١-١٩٦١) تحت اسم " رسائل الصابي والشريف الرضي" بتحقيق محمد يوسف نجم.

٨. ديوان شعره.

أشارت المصادر إلى شهرته وانتشاره، فقد ذكر اليافعي أن "ديوان شعره كبير يدخل في أربعة مجلدات، وهو كثير الوجود".[٦] وعني بجمع ديوانه جماعة،

---

[١] عبد الفتاح الحلو، الشريف الرضي، ٣٠٦/١، ط١، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٦.

[٢] انظر: علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٦٧. ومحسن الأمين، أعيان الشيعة، ١٧٨.

[٣] انظر: الأميني، الغدير، ١٨٦-١٩٢.

[٤] انظر: مقدمة شرح نهج البلاغة لابن الحديد، ١٠. وهو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد، عز الدين المدائني، المعتزلي، الفقيه الشاعر، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة، وله ديوان شعر مشهور، ومن تصانيفه: " الفلك الدائر في المثل السائر ". انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧٦/١٨-٨٠، ط٢، باعتناء أيمن فؤاد سيد، فرانز شتاينر شتوتغارت، ١٩٩١. و محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٦٠٩/١-٦١١، ط١، تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود، منشورات: محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

[٥] ابن عنبة، عمدة الطالب، ١٧٠. وانظر: علي الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ٤٦٧.

[٦] اليافعي، مرآة الجنان، ١٥/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يالَلرِّجالِ لفَجْعَـــةٍ جذمـتْ يـدي ... ووددتُها ذهبـــت علـيَّ براسـي
مازلتُ آبى وردَهـا حتـى أَتَـتْ ... فحَسَوتُها في بعضِ ما أنا حاسـي
ومطلتُـها زمنـاً فلمَّـا صَمَّمَـت ... لم يثنِها مطلي وطـــولُ مِكاسـي
لاتنكرنْ من فيض دمعـيَ عـبرةً ... فالدَّمعُ خـيرُ مسـاعدٍ ومُواسـي
واهاً لعُمرِك من قصـيرٍ طـاهرٍ ... ولربَّ عمُـرٍ طـالَ بالأرجـاس[1]

ورثاه كذلك تلميذه مهيار الديلمي[2]، فقال في شعر باك حزين:

أبكيـكَ للدنيـا التـي طلقْتَـها ... وقد اصطفتكَ شـبابَها وعُرامَـها
ورميتَ غاربَها بفضلة معـرض ... زهداً وقد أَلقَـتْ إليـكَ زِمامَـها
والأرضُ كنتَ على قِفَارةِ ظَـهرِها ... عَلَماً إذا كتَـمَ الدُّجـى أعلامَـها
فتركْتَني تـركَ اليميـنِ شـمالَها ... فـرداً أعـالجُ فـاتلاً إبرامَـها
حيرانَ أسألُ أينَ منـكَ رُفَـادتي ... دَهْـشَ البنـانِ تفقَّـدَتْ إيهامَـها
لا سـامعٌ يُصغِـي ولا ذو قَوْلَـةٍ ... أُصغي لَه يا وحدتـي ودوامَـها[3]

[1] ديوان الشريف المرتضى، ١٣١/٢، تحقيق: رشيد الصفار، راجعه: مصطفى جواد، قدم له: محمد رضا الشبيبي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨. جذمت: قطعت. المكاس: إنقاض الثمن في البيع والشراء.

[2] أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي، كان مجوسياً فأسلم، ويقال إن إسلامه كان على يد الرضي، وأنه أسلم في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، فقال له أبو القاسم ابن برهان: يا مهيار، قد انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، فقال: وكيف ذلك؟ قال: كنت مجوسياً، فصرت تسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعرك. وكان شاعراً جزل القول، مقدماً على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير، يدخل في أربعة مجلدات. توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٥٩/٥- ٣٦٣.

[3] ديوان مهيار الديلمي، ٣٦٩/٣-٣٧٠، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠. العرام: الشدة والقوة. الغارب: أعلى مقدم السنام، وإذا أهمل البعير طرح حبله على سنامه، وترك يذهب حيث يشاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

عوامل الحنين وطرق التّعبير عنه لدى الشّريف الرّضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- العوامل التي كانت تثير الحنين لدى الشريف الرضي إلى الحجاز ونجد.

لما كان الرضي سليل الدوحة الهاشمية العلوية يرى أن الحجاز هي مواطنه الأصلية، فهو يحن إليها حنينه إلى مسقط رأسه، وإن لم يولد فيها. وللحجاز في نظر المسلمين منزلة خاصة لأنها تضم مكة والمدينة، وعودة من استطاع إليها من المسلمين كل عام، وما تشير إليه من مناسك الحج وشعائره والذي يعد ركنا من أركان الإسلام، فإن الشوق إليها يعد أمراً طبيعياً، ويزداد هذا الشوق توهجاً لدى شاعر مرهف النفس، رقيق العواطف، يحن إلى رؤية النساء الجميلات في موسم الحج. أما الشوق إلى نجد فإنه أمر مختلف، غير أن منطقة نجد أصبحت في التراث الشعري العربي مقترنة بجمال مناطقها الجبلية المرتفعة، وبنسيم الصبا.فهي من هذه الناحية رمز كبير لجمال الطبيعة بأشجارها من الشيح والقيصوم وغيرهما من نباتات، وبالريح الشرقية التي أصبحت رمزاً يثير الشوق كلما تحدث الناس عن صبا نجد. وقد أصبح ذكر نجد تقليداً شعرياً على مدى الزمن قبل الشريف الرضي وبعده. ونجدٌ هي طريق الذاهب إلى الحجاز منطلقاً من العراق، وكان الشريف الرضي يسكن في بغداد، فكانت أحب الطرق التي توصله إلى الحجاز هي الطريق التي تخترق منطقة نجد.

كان الحنين إلى هاتين البقعتين يثور كثيراً في نفس شاعر كالرضي يعيش في بغداد في كنف الدولة العباسية التي يعتقد أنها اغتصبت حقه وحق أسرته العلوية في الخلافة، فهو يحس بقلق يحرك نوازعه إلى الرحيل عن بغداد، وطلب الراحة في مناطق يحبها، فيقول: (ق٣٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَشَـمٌّ ببـابلَ بَـوَّ الصَّغَـارِ ولـو أنَـا بـالرَّملِ لـم أفعـلِ
وألقَـى التَّحيـَّاتِ مـن معشـرٍ كمـا ارتجـمَ الحـيُّ بـالجَندلِ[1]

فالبيتان صريحان في تذمره من العيش ببغداد، وقد كنى عنها ببابل، وكنـى عـن البادية بالرمل، فالرضي يصور ما هو فيه في بغداد بالبو، وهو أيضاً كناية عـن الـذل والهوان. والبو ابن الناقة الذي يحشى جلده تبناً بعد موته، ليحتالوا به على أمـه فتـدر، "وهي صورة بدوية ألصقها بالمدينة لدلالتها على الحيلة والخداع"[2]، كما أنه يشـتكي فـي بغداد من النفاق، ومن معشر تحياتهم له فيها كالحجارة يرتجم بها الناس.

ويعبر عن هذا التذمر في قصيدة أخرى قائلاً: (ق٣١)

أحنُّ وتُجريني على الشَّوقِ قَسـوةٌ ألا غالَ ما بينـي وبينَـك غُـولُ
وما ذادني ذكرُ الأحبَّةِ عن كـرىً ولكـنَّ ليلـي بـالعراقِ طويـلُ[3]

وهو إذا أطال الإقامة في بغداد رأى في أحلام اليقظة أنه أصبح خليفة، وشطح بـه الحلم الواهم ، حتى يتصور أن الناس يسلمون عليه بـ" إمرة المؤمنين"، فإذا تواضع قليلاً ووقف يمدح الخليفة العباسي قال له:

عطفـاً أميـرَ المؤمنيـنَ فإنَّنَـا فـي دوحـةِ العليـاءِ لانتفَـرَّقُ
ما بيننـا يـومَ الفَخَـارِ تفـاوتٌ أبداً كِلانا فـي المَعـالي مُعـرِقُ
إلاَّ الخلافـةَ مـيَّزتك فـإنَّني أنا عاطلٌ منـها وأنـتَ مُطَـوَّقُ[4]

---

[1] الديوان، ٢/٢٦٠. الجندل: الصخر العظيم.

[2] إحسان عباس، الشريف الرضي، ٢٢٧، دار بيروت ودار صادر، بيروت، ١٩٥٩.

[3] غال: أهلك، اغتال. غول: المنية، كل مهلك. ذادني: أبعدني، دفعني عنه.

[4] الديوان، ٢/٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أنا يجب أن نتذكر دائماً أن مشاعر الشاعر ليست ثابتة على حال، حتى أن الرضي يتعجب من نفسه، فيقول:

ما ليَ لا أرغبُ عن بلدةٍ ترغبُ في كثرةِ حُسَّادي
ما الرِّزقُ بالكرخِ مقيمٌ ولا طوقُ العُلَى في جِيدِ بغدادِ[1]

فهو إذا أطال الإقامة في بغداد، تعرض لبعض ما لا يعجبه- كره طول الإقامة أو غضب مما قد يعده إهانة وجهت إليه- فعبر عن هذه الأحاسيس بأنه أحب الرحلة إلى أماكن غير عراقية، فتسمعه يقول في مدحه للوزير أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان[2]:

ولولاكَ ما قَامت ببغدادَ ناقتي ولا كنتُ إلاَّ لاحقاً بالمُقَطَّمِ[3]

ولكنه إذا ابتعد عن العراق وذهب إلى نجد والحجاز أحس بالشوق للعودة إلى أهله وأصدقائه، كما يقول في إحدى قصائده: (ق١١)

أقولُ وقد جازَ الرِّفاقُ بذي النَّقَا ودونَ المطايا مُرْبَخٌّ وزَرُودُ
أتطلبُ يا قلبي العراقَ من الحِمَى ليهنَكَ من مرميٍّ عليك بعيدُ
وإنَّ حديثَ النَّفسِ بالشَّيءِ دونَهُ رمالُ النَّقَا من عالجٍ لشديدُ
ترى اليومَ في بغدادَ أنديةَ الهوى لها مبدئٌ من بَعدِنا ومُعيدُ

---

[1] الديوان، ٢٩٥/١. أرغب: أرحل. ترغب: تريد، تميل.

[2] أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة، كان وزير صدق، حسن الصلاة، محافظاً على أوقاتها، وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء. توفي سنة ٤١٦هـ وعمره ست وسبعون سنة. انظر: ابن الأثير، الكامل، ١٥٣/٨. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٩/١٢.

[3] الديوان، ٤٠٥/٢. وقد وردت الكلمة فاقت بدلاً من قامت والصواب ما ذكر في رأي إحسان عباس. وفاقت الناقة: اجتمعت الفيقة، أي اللبن في ضرعها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يحس بالحنين إلى بغداد، ولكن مما يبعث اليأس في نفسه من الوصول إليها حيلولة رمال النقا ورمال عالج بينه وبينها. ويعبر في قصيدة أخرى عن حنينه إلى وطنه العراق كلما ابتعد عنه بقوله: (ق٤٠)

وبالعراقِ وطَري ... يا بُعدَ ما لاحَ لنا
أشتاقُهُم ومُزْبَخٌ ... إلى زَرُودٍ بيننا
يا ويحَ لي من شَجَني ... أما مللتُ الشَّجَنا

فهو حنين إلى العراق عقيب كره الإقامة فيه، فالرضي عبر في أكثر من قصيدة عن هذا الحنين، ودلنا كيف تتصارع عواطفه-كلما ابتعد عن وطنه- بين حبه للبادية وحبه للوطن.[1]

ثم إن الجزيرة العربية (ومن ضمنها نجد والحجاز) كانت منبت الرجال الأقوياء الأشداء من البدو. وبحكم منصب الرضي أميراً للحج، فإن إمارته قادته إلى التعرف على طائفة من القبائل الحجازية والنجدية، وقد أشار بنفسه إلى اعتداده بهذه القبائل البدوية بقوله:

لستُ للزَّهراءِ إن لم تَرَها ... كوُعولِ الهضْبِ يَعْجُمْنَ اللُّجُمْ
تُستَجَنُّ البيدُ من فُرسانِها ... بينَ بغداد إلى أرضِ الحَرَمْ
بِعَجَاجٍ يملأُ الأفْقَ دُجَىً ... وطِعَانٍ يَخْضُبُ الأرضَ بِدَمْ[2]

[1] انظر الديوان، ١/٣٠١. ٢/ ٢٤٥.

[2] المصدر نفسه، ٢/٤٢٤. الزهراء: الكتيبة. يعجمن: يلكن. تستجن: تجن. العجاج: الغبار والدخان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحمل إلينا شعر الرضي أسماء بعض هذه القبائل[١] التي تفاوتت في حبها وولائها للرضي. فنجد أن قبيلة عقيل وربيعة وعيلان وبني مالك من القبائل التي اعتمد عليها الرضي، ووثق في إخلاص رجالها له، وكان يثني عليهم في شعره، ويخصهم بالذكر الطيب، فقال في عقيل:

وسُمْرُ عُقيلٍ تحملُ الموتَ أحمرا ... وبيضُ عقيلٍ تقطُرُ السّمَّ مُنْقَعَا

ولم تَخشَ من حدِّ الصَّوارمِ مَضرِبا ... ولم تلقَ من أيدي القبائلِ مَدّفَعَا[٢]

إن السر وراء تعلق الرضي بالقبائل العربية، يكمن في اعتقاده بأن رجالها سيكونون أنصاره لنيل الخلافة، وإنقاذها من تسلط الأعاجم من ترك وديلم، وهو كما يقول الدكتور إحسان عباس لم يكن يثق كثيراً بالأعاجم، ولا بمن حوله من الأقرباء، فليكن اعتماده على الأعراب[٣]، وإذا صدق استنتاج الباحث المذكور اعتماداً على شعر الشريف نفسه صح أن الشريف اتخذ لنفسه داعية يجمع حوله بعض القبائل البدوية في نجد وأطراف العراق، ويجند له " الفرسان الملثمين"[٤] أي يجمع له قوات مستعدة لنصرته يوم يحين الوقت المناسب، وهذا الداعية مرة يدعوه أبا العوام، ومرة يدعوه عمراً، ومرة يدعوه ابن ليلى، وفي هذه التسميات المختلفة يحاول أن يخفي حقيقة هذا الداعية، الذي قتل على أيدي تميم، ولما يتحقق ما يصبو إليه الرضي بعد. وبقيت ذكرى ابن ليلى عالقة في خياله، لم تقو الأيام على محوها، فكان يذكره في كل مناسبة، ويرثيه كلما واتاه الرثاء[٥]، فقال في إحدى مراثيه له:

---

[١] منها: تميم، بحاشع، بحيلة، غويث، سعد، أسد، أد، غطفان، عكل، عامر، عقيل، مالك، ربيعة وعيلان. انظر: أديب تقي الدين، الشريف الرضي، ١٨٠.

[٢] الديوان، ١/٦٣٥.

[٣] إحسان عباس، الشريف الرضي، ١١٦.

[٤] المرجع السابق، ١١٦.

[٥] انظر الديوان: ٢/ ٦٧، ٣١٧. وانظر: أديب تقي الدين، الشريف الرضي، ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُداري المُقلتينِ عـــن ابـنِ ليلـى ... ويـــأبى دمعُـــها إلا لَجَاجَـــا
كأنَّ العيـــنَ بعـدَ اليـوم جُـرْحٌ ... إذا طَبَّـوا لـهُ غَلَـبَ العِلاجَـــا
تَجُمُّ على القَـذى وتفيـضُ دمعـاً ... مِطـالَ الـدَّاءِ وادَعَ ثـمَّ هَاجَـــا
وأينَ كفـارسِ الفُرسـانِ عمـروٍ ... إذا رُزْءٌ مِـنَ الحِدْثَـانِ فَاجَـــا[1]

فالحنين إلى ذلك الجزء من الجزيرة العربية هو حنين إلى الأنصار[2]، وأنه بـهذه الأوهام يحاكي أستاذه المتنبي الذي كانت تجول في خاطره مثل تلك التصـورات، فكـان يقول:

سـأطلبُ حقّـي بالقنـا ومشـايخٍ ... كأنّهم من طُولِ ما التَثَمُـوا مردُ[3]

إلا أن شعوره بالخيبة والفشل فيما كان يسعى إليه، زاد من حنينه إلـى الحجـاز ونجد، فقال:

وعدتَ يا دهرُ شيئاً بـتُّ أرقُبُـهُ ... وما أَرَى منك إلا وَعْدَ عُرْقُـوبِ
وحاجـةٍ أنقاضاهـا وتمطُلُنـي ... كأنها حاجةٌ فـي نفـسِ يعقـوبِ
لأُتْعِبَـنَّ علـى البيـداءِ راحلـةً ... واللَّيلُ بالرِّيحِ خفَّـاقُ الجلابيـبِ[4]

إن الحنين إلى الحجاز و نجد لدى الشريف الرضي لايمثل إلا شعبة من عواطـف الحنين لديه، وأكاد أقول " شعبة صغيرة "، ذلك أن قارئ ديوانه سيجد أنه شديد الحنين إلى الشباب، وبخاصة كلما تذكر أنه شاب مبكراً، فيقول:

---

[1] الديوان، ٢٣٥/١. تجم: تجتمع بكثرة. الحدثان: الدهر. فاجا: أصلها فاجأ، لكنها مخففة.

[2] إحسان عباس، الشريف الرضي، ١١٦.

[3] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، ٤٢٦/١، ط١، راجعه: يوسف عاد، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٩٥.

[4] الديوان، ٦١/١-٦٢. الجلابيب: الثوب، أو القميص الواسع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عجلتَ يا شـــيبُ علـــى مَفرِقـــي وأيُّ عُـــذرٍ لـــــك أن تَعْجَـــلا
وكيف أقدمـــــت علـــى عـــارض ما استغرق الشـــعر ولا اســـتكملا
كنتُ أرى العشـــرينَ لـــي جُنَّـــةً مـــن طـــارقِ الشَّـــيبِ إذا أقبلا[١]

والرضي شديد الحنين إلى الماضي لأنه يمثل الشباب والأيام السعيدة، شديد الحنين إلى المجهول، وإلى عهود الأصدقاء، وإلى المرأة، وهو شديد الحزن وإن كان يميل بطبعه إلى معاشرة المتندرين القادرين على إثارة ضحكه وإخراجه من حومة الأحـــزان، وهـــو لكثرة قصائده في باب المراثي سماه بعض من لحظوا فيه هذا الميل إلى الرثاء "النائحـــة الثكلى"[٢]، فالثعالبي يقول عنه: " ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه"[٣]، ويقول ابن أبي الحديد عنه: "وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشـــعراء منقطـــع أنفاسها على أثره"[٤]. وعقد الدكتور إحسان عباس فصلاً عنه بعنوان: "النائحـــة الثكلـــى"[٥]. وأطلق عليه الأستاذ محمد عبد الغني حسن لقب" شاعر الدموع"[٦].

وكانت مراثي الرضي في أبي العوام" داعيته " من أجمل قصائده في هذا الفـــن، لأنه اختار لها الطريقة البدوية والروح البدوية- وهي طريقة كانت تعجب أخاه الشـــريف المرتضى الذي كان يرى جودة القصيدة في طابعها البدوي[٧]، مثل قول الشريف الرضـــي يرثي أبا العوام:

---

[١] الديوان، ٢/٢٢٤. عارض: صفحة الخد. الجنة: الستر.

[٢] الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/٣٧٤.

[٣] الثعالبي، يتيمة الدهر، ٣/١٦٩.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/٣٣.

[٥] إحسان عباس، الشريف الرضي، ١٩٣.

[٦] محمد حسن، الشريف الرضي، ٧٠، ط٣، نوابغ الفكر العربي ٤١، دار المعارف، القاهرة.

[٧] انظر في هذه النزعة البدوية: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٣٥٥-٣٥٦، دار الشروق، عمـــان، ١٩٩٣. والشـــريف الرضي، للمؤلف نفسه، ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعمرُ الطَّيرِ يومَ ثوى ابـــنُ ليلـــى لقـــد عَكَفَـــتْ علـــى لحـــمٍ كريمِ[١]

وقوله فيها:

وأقسمُ أنَّ ثوبَـــكَ يـــا ابـــنَ ليلـــى لمجمـــوعٌ علـــى عِـــرْضٍ ســـليمِ

وقد خطر لي أن أتساءل لماذا اختار الشريف الرضي-وهو البغـــدادي- طريقـــة خاصة للتعبير عن حنينه إلى نجد والحجاز؟ ولكن قبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بـــي أن أحدد هذه الطريقة التي سميتها خاصة.

إنها طريقة تعتمد على ذكر الأماكن، كأنه يرمز بهذه الأماكن إلى أشياء أخـــرى، لايستطيع التصريح بذكرها، وإنما يعبر بهذه الرموز على نحو من التعميم، ويحمل أسماء الأماكن كل مواجده في بعض اللحظات، كأن منـــزلته الاجتماعية ونسبه وحسبه لاتســـمح له بالصراحة التي يستطيعها من استراح من تلك القيود الاجتماعية والأخلاقية، ولذلك فإننا قلما نجد في غزله ذكر اسم امرأة بعينها، فإذا ذكر اسماً لم يكن ذا دلالة تاريخية واقعيـــة. وإذا تعرض لوصف المرأة، فلا يعدو أن يكون وصفاً لنضارة الوجه، والعيـــون النجـــل وضمور البطن، والأرداف الثقيلة " فهو يتغزل ولكن في تصون، وينســـب ولكـــن فـــي وقار"[٢]. وقد يتغزل في حنينه إلى الحجاز ونجد، كما يتغزل من أجل الغـــزل نفســـه دون حنين، ولكنك تحس في غزله أنه ينتحي نحو التعميم، وأن من أحب ألوان الغزل إليه وإلى أخيه الشريف المرتضى هو تصوير زيارة طيف المحبوب في المنام، وهو خير طريقـــة تنفي العلاقة الجسدية، وتحيل كل العلاقات إلى حلم، فهو" لقاء واجتماع لا يشعر الرقبـــاء

[١] الديوان، ٢/ ٣١٧. ثوى: مات.

[٢] محمد حسن، الشريف الرضي، ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهما، ولا يخشى منع منهما ولا اطلاع عليهما، والتهمة بهما زائلة، والريبة عنهما عادلة، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم، ولا يدنو إليهما تأثيم، ولا عيب فيهما ولا عار"[١].

وقد يكون الحلم نفسه متخيلاً، للإبعاد درجة أخرى عن الواقع، وفي ذلك يقول الرضي: (ق١٠)

زيارةٌ زوَّرهَا خاطِري ... ما أقنعَ النَّفسَ بزَوْرِ المَنَامْ

خدائِعُ أُغضِي على عِلْمِهَا ... لعلَّهَا تَنْقَعُ هذا الأُوَامْ[٢]

ولهذا أبحت لنفسي في هذه الدراسة أن أضم بعض قصائده في الغزل، وبعض قصائده الطيفيات إلى قصائد الحنين الموجهة إلى الحجاز ونجد لأن المشاركة بين هذه الاتجاهات قوية، فالطيف غالباً ما يزوره وهو بعيد في زيارة نجد أو الحجاز.

والغزل- حتى في أشد حالاته تصريحاً- لايتجاوز النساء اللواتي رآهن في جمع أو منىً أو غيرهما من مناسك الحج.

وقد تعجب علي الطنطاوي من قدرة الرضي على جعل الحج"الموسم الأكبر" موسماً للقلوب الهائمة، والأبصار الشاردة، دون أن ينكر عليه أهل زمانه ذلك. لكن تعجبه لم يدم طويلاً، حيث قال:" لقد عرفت السبب، ذلك أنهم وثقوا أنه كان من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، وأن دينه وعفافه كانا في مكان لا ترتقي إليه الشبهات، وأنه لم يكن يعشق امرأة كما يفهم شباب اليوم من العشق.....وكان سيداً مرموقاً، ولو علم الناس أنه واقع بعض ما يقول لأوقعوا به، ولكنهم علموا أنه ما كان عاشقاً شاعراً، وإنما كان شاعراً عاشقاً"[٣]. فهو القائل: (ق٥)

---

[١] الشريف المرتضى، طيف الخيال، ٥-٦، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مراجعة: إبراهيم الأنباري. الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

[٢] تنقع: تسكن. الأوام: حر العطش.

[٣] علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، ١١٠/٢، ط١، دار البشير للثقافة ودار المنارة، جدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عفافيَ مـــن دونِ التقيَّـةِ زاجـرٌ ... وصونُكِ من دونِ الرَّقيبِ رَقيـــبُ

عَشِقْتُ ومـــالي يعلـمُ اللهُ حاجَـةٌ ... سوَى نظري والعاشقونَ ضُـــرُوبُ

فهو عفيف طاهر حتى في غزله وإن سنحت له الفرص، حيث يظل محافظاً حفاظ العذريين، لا يتجاوز الحديث العف، ووصف تباريح الشوق، إذ يقول: (ق٢٢)

وقفـتُ بِرَبْـعِ العامريَّـةِ وَقْفَـــةً ... فعزَّ اشتياقي والطلـــولُ خَواضِـــعُ

وكم ليلةٍ بتنا علـــى غـيرِ ريبـــةٍ ... علينـــا عيـــونٌ للنُّـــهَى ومســـامِعُ

نَفُضُّ حديثـــاً عـــن خِتـــامِ مـــودَّةٍ ... معاقِلُـــها أحشـــاؤنا والأضـــــالِعُ

يكادُ غرابُ اللَّيـــلِ عنـــد حديثنـــا ... يطيرُ ارتياحاً وهو في الوكرِ واقـــعُ

خلونـــا فكـــانت عفـــةً لا تعففـــاً ... وقد رُفعِتْ في الحيِّ عنَّا الموانِـــعُ

سلوا مَضْجَعي عنِّي وعنها فإنَّنـــا ... رضينا بما يُخْبِرْنَ عنَّا المضـــاجِعُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- طريقة الشريف في التعبير عن الحنين وأهم عناصرها

بينت في الصفحات السابقة الحوافز النفسية والاجتماعية التي كانت تدفع الشريف إلى الحنين للحجاز ونجد، وإلى أي حد كان وضعه الاجتماعي عاملاً مهماً في تحديد حريته في التعبير عن ذلك الحنين، وفي هذه الصفحات سأحاول أن أبين أهم العناصر التي تتكون منها طريقته في التعبير عن حنينه، وسأضع هذه العناصر في تسلسل، لكي تجيء منظمة في تتابعها، وفي تفاوتها معاً.

وتضم هذه الطريقة أكثر العناصر التي استطاع الشاعر أن يستغلها للتعبير عن مشاعره. وهذه العناصر لا يمكن أن تجتمع كلها معاً في قصيدة أو مقطوعة واحدة، وإنما حملت كل قصيدة أو مقطوعة عناصر استقلت بها، وبذلك صح لقصائد الحنين ومقطعاته نوع من التمايز، بل إن اكتفاء الشريف ببعض هذه العناصر في" الوحدة الشعرية الواحدة " كفل لقصائده ومقطوعاته شيئاً من التنوع، وقلل فيها من التكرار، فمن أهم هذه العناصر:

١. أن بعض المقطوعات لا تفترق كثيراً في عناصرها عن المطالع الغزلية، مثل تصوير الشوق، والسهر، وألم الهجر، والبعد والفراق، وكثرة الشكوى، وكثرة التمنيات، وما يعتري المحب من لوعة، وما يتلبس به من تذكر، وغير ذلك من الأحاسيس الداخلية التي لا يسهل حصرها، حتى تبدو المقطعة الخاصة بالحنين غير بعيدة عن مقطوعة غزلية. فيقول: (ق٢٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا ياغزالَ الرَّملِ من بطنِ وجـرَةٍ ... أللواجدِ الظمـــآنِ منـك شُـرُوعُ

خلا لك في الأحشاءِ مرعىً تـرُودُه ... وَصَابكَ من ماءِ الدُّمـــوعِ ربيـعُ

ألا هل إلى ظلِّ الأثَيْـلِ تَخَلـص ... وهـل لثَنِيـَّاتِ الغُويـرِ طُلُـوعُ

وهل بَلِيتْ خَيمٌ على أيمنِ الحِمَـى ... وزالتْ لنـــا بـالأبرَقَيْنِ رُبُـوعُ[1]

٢. وهناك الحرص على التحديد المكاني، وبخاصة حين يكون هذا الحنيـــن مرتبطـاً بموسم الحج في الحجاز(بين النقا والمصلى- الجزع من وادي الأراك....)، وليـــس يخفى على من يقرأ الشعر العربي منذ الجاهلية أن يدرك ما للتحديد المكاني من أهمية في غزل الشاعر. ثم الحرص-بدرجة أقل- على التحديد الزماني(آخر الليـــل-ليلـة جمع-ليلة الخيف)، وربط المكان والزمان بالذكريات التي تمت في زورة ســـابقة أو لقاء سابق[2].

٣. وهناك أيضاً تصوير دور الريح في إثارة الحنين، وعلى وجه خاص حين تحمـــل الريح روائح طيبة، فيقول: (ق٣)

شممتُ بنجـــدٍ شـيحةً حاجريَّـةً ... فأمطرتُها دمعي وأفرَشتُها خَـــدِّي

٤. وقد يلجأ الشاعر في الحنين إلى تصوير الرحلة ومراحلها ومنازلها، ويستعين بذكر حنين الناقة، ويتصور ما تقوم به من مشاركة له في التلهف للعودة لأماكن عرفتها مـن قبل، فيقول: (ق١٩)

---

[1] شروع: ورد الماء. الوصاب: شجر مر.

[2] انظر مثالاً على ذلك: الديوان، ٢/٢٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقولُ وما حنّت بذي الأثلِ نـــاقتي ... قِرِي لا يَنَلْ منكِ الحنينُ المُرَجَّـعُ
تحنّينَ إلا أنّ بي لا بـــكِ الــهوى ... ولي لا لكِ اليومَ الخليطُ المُــوَدَّعُ
وباتتْ تَشَكّى تحت رَحلي ضَمانَــةٌ ... كلانا إذاً يا نـــاقُ نِضْــوٌ مُفَجَّـعُ
أحسَّت بنارٍ في ضُلوعي فأصبحت ... يَخُبُّ بها حَــرُّ الغَـرامِ ويوْضَعُ[1]

ويكون أكثر هذا الوصف لأمور خارجية تواجهه في الرحلــة كخفقــات الــبرق، ونزول المطر. وفي هذا السياق يعامل الشاعر المنازل التي يحل فيها معاملــة الشــاعر للطلل لا من حيث الدثور، بل من حيث التغير الذي أصابها أثناء تغيبه عنــها، فيقــول: (ق٢٨)

يا ديــارَ الأحبــابِ كيــفَ تغــيَّرْ ... تِ ويا عــهدُ مــا الّــذي أبلاكــا
هل أُولاكَ الّذين عهدي بهم فيـــــ ... ــك على عهدهم وأيــنَ أُولاكــا

٥. ويلجأ الشاعر في تعميق صورة الحنين إلى تبادل الحواس بين العين والأذن، فــهو يبصر بأذنه، فيقول: (ق١٨)

فــاتني أن أرى الديــارَ بطرفــي ... فلعلّــي أرى الديــارَ بســـــمعي

ويسمع الرضي بقلبه وجنانه بدلاً من أذنه، فيقول: (٤٢)

تَعجَّبَ صَحبي من بُكائي وأنكــروا ... جَوابي لمّــا لــمْ تَسـمع الأُذنــانِ
فقلتُ نَعم لم تســمع الأذنُ دعــوةً ... بلــى إنّ قلبــي ســامعٌ وجنــاني

[1] قري: أمر من وقر، أي كوني رزينة، ذات وقار. الخليط: الصاحب. ضمانة: الداء. النضو: المتعب، المهزول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أعطى الرضي للعين قدرة خارقة، فهي تبصر من الحجاز من في العـــراق، وترمي بسهام فتونها من ذي سلم فتصيب من في بغداد، فيقول: (ق٢٧)

سهمٌ أصابَ ورامِيـــهِ بـــذي سَـــلَمٍ من بالعراقِ لقد أبعـــدْتِ مرمَـــاكِ

وانفرد الرضي بالاهتداء إلى معنى مبتكر وهو " تلفت القلب "، واستحســـن هـــذا المعنى فكرره، وأساسه هو قوله: (ق٤)

وتلفتَـــتْ عينـــي فمـــذْ خَفِيـــتْ عنـــها الطُّلـــولُ تلفَّـــتَ القلـــبُ

٦. وقد لهج الشريف في الحنين بالكناية عن المرأة- وهي طريقة مألوفة في الغـــزل- بألفاظ مثل (ظبي-غزال-غزيل-ريم)، لأنه قلما يلجأ إلى ذكر أسماء نساء[١]، وأحيانـــاً كان يكني عن المرأة بـــ " السرحة"[٢] أي الشجرة، فيقول: (ق٣٩)

سَـــرْحَةٌ أعجلـــها البيـــنُ ومـــــا لُبِـــسَ الظِّـــلُّ ولا ذِيـــقَ الجَنَـــى

وهي كناية موجودة في شعر غيره، حيث يقول ابن هرمة[٣] مكنياً بها عن إمرأة:

سقى السَّرحةَ المحلالَ دونَ سـويقةٍ نجاءُ الثريـَّـــا مرثَعِنّـــاً هُطُولُـــها[٤]

---

[١] انظر الديوان، ٢/٢٧٢، ٢٨٢، ٤٨٠.

[٢] قال الفراء: كل شجرة لا شوك فيها فهي سرحة. انظر: أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ٣/١٣٧٥، ط١، نشره: أحمـــد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١.

[٣] إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي أبو إسحاق. شاعر غزل من سكان المدينة. من مخضرمي الدولتـــين الأمويـــة والعباسية. رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي، فأجازه، ثم وفد على أبي جعفر المنصور العباسي في وفد أهل المدينة، فتجهم لـــه ثم أكرمه. وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم. قال الأصمعي: ختم الشعر بابن هرمة. انظر ترجمته في: الخطيب البغـــدادي، تـــاريخ بغداد، ٦/ ١٢٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ١٧٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢/ ١٠٧. الزركلي، الأعلام، ١/ ٥٠.

[٤] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ٣/١٣٧٥. سويقة: موضع. ارثعن المطر: ثبت وجاد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال آخر:

ومالِيَ من ذنـــبٍ إليــهم علمتُــهُ سوى أنَّني قد قلتُ يا سرحةُ اسلمي
نَعَمْ فاسلمي ثمَّ اسلمي ثُمَّت اسـلمي ثلاثَ تحيـَّـاتٍ وإن لـم تكلَّمـي[1]

والشريف يصف مواكب النساء في الحج، و يلجأ إلى التعميم، لئلا يظـن أنـه يعنـي محبوبة معينة.

٧. ولدى الشريف الرضي استعمال الحنين المعاكس، فهو في بعض مقطعاته لا يحـن لزيارة نجد أو الحجاز، وإنما يطلب إلى الزائرين الآخرين أن يحملوا أشـواقه، أو أن يخرج لدى عودة من قاموا بالزيارة، فيقول : (ق٥١)

أقـولُ لركـبٍ رائحيـنَ لعلَّكُـم تَحِلُّونَ من بَعدي العقيـقَ اليمانيـا
خذوا نظرةً مِني فلاقوا بها الحمـى ونجداً وكثبانَ اللِّـوى والمطاليـا
ومرُّوا على أبيـاتِ حـيٍّ برامَـةٍ فقولوا لديغٌ يبتغـي اليـومَ راقيـا
وقولوا لجيرانٍ على الخَيْفِ من مِنىً تُرَاكُم مـن استبدلتُم بِجوارِيَـا[2]

وفي هذه الأحوال يلجأ الشاعر إلى الحديـث النفسـي أو مـا يمكـن أن نسـميه المونولوج.

٨. ولا يرضي الشريف أن يدع أحداً يسبقه إلى الإمامة في الهوى والحنين بل يحتكـر لنفسه الإمامة، ويرى الآخرين متبعين لآثاره، فيقول: (ق٣)

وما شـربَ العشـاقُ إلا بقيَّتـي ولا وَرَدوا في الحبِّ إلا علـى وِرْدِي

---

[1] الديوان، ١٣٧٤/٣.

[2] المطاليا ورامة: موضعان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. وتستطيع نجد أن تقدم له شيئاً غير ما تقدمه الحجاز، فإذا كانت الثانية تقدم أماكن ذات قداسة وحاجات ذوات جمال، فإن نجداً تعرض له طبيعة جميلة من أنواع الأشجار(الأثل- الرند- البان-الشيح-القيصوم) ، وتعرض له ربى ومرتفعات، وتمتعه بنسيمها العليل، وصباها(الريح الشرقية) البرود، ومائها العذب، والاستئناس برؤية النار في الليل، وأن يرى البرق اليماني الذي يلوح نجدياً، والبرق مثار للشوق والحنين، فيقول: (٢٨)

ما على البرقِ لو تحَمَّلَ من نجـ ـدٍ بأظعانِهِ فسقَّى حِمَاكا

١٠. وذات مرة انفردت الحجاز بشيء لا تستطيعه نجد، ففي موسم الحج يقصر الحجاج شعورهم أو يحلقونها، وحلق الشريف شعره في منىً ورأى فيه شعرات بيضاً، وأثرت هذه الحادثة في نفسه تأثيراً كبيراً، إذ اعتقد أنه دفن شبابه في ثرى منىً، وأن حنينه إلى الحجاز أصبح صنواً لذلك الشباب المفارق، فيقول: (ق٨)

لا يُبْعِدَنَّ اللهُ بُرْدَ شبيبةٍ ألقيتُهُ بمِنىً ورحتُ سليبا
شَعْرٌ صحبت به الشبابَ غُرَانقا والعيشَ مُخضَرَّ الجنابِ رطيبا
ولئن حننتُ إلى مِنىً من بعدها فلقد دفنتُ بها الغَداةَ حبيبا[1]

١١. إن شاعراً يثيره الحنين إلى الأماكن وإلى الشباب وإلى المجهول وإلى الماضي، لايمكن إلا أن يكون شاعراً رومانسياً، ومثل هذا الشاعر سريع التأثر لمظاهر التغير في الكون (في المكان والزمان على حد سواء) وأن يثور حزنه كلما أدرك ماهية ذلك

[1] البرد: الثوب، وأراد ببرد شبيبة: شعره الأسود. سليباً: مسلوباً. الغرانق: الشاب الأبيض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التغير، وقد كان الشريف الرضي شاعراً بكاءً، شديد الإحساس بمعنى الفقد، حتى أنه كان يعير دموعه للعشاق، فيقول: (ق٢٤)

وابكِ عني فطالما كنتُ من قبـــــ ـــلُ أعـيرُ الدُّمـوعَ للعشـــاق

إن هذه العناصر التي عددتها في طريقة الشريف للتعبير عن حنينه، هي التي لفتت نظري في ما جمعته من شعره في الحنين، وقد تكون فاتتني عناصر أخرى.

وما عرضته من عناصر ليس مبادئ ثابتة لاتتغير، بل هي طرائق في التعبير عن مشاعر إنسانية في إحدى اللحظات، وقد يصيبها التغير والانعكاس في لحظة أخرى، فالحنين إلى الحجاز -لأن الرضي دفن شبابه فيه حين حلق شعره - موضوع لا يعني أي محبة للشيب، لأنه نذير الموت -في رأي الشريف. ومع ذلك نجده يقول في لحظة أخرى مرحباً بالشيب: (ق٨)

قـلْ لـزورِ الشَّـيبِ أهـلاً إنَّـه أخـذَ الغَـيَّ وأعطـاني الرَّشَـدْ

طـارقٌ قـوَّم عـودي بالنُّـهى بعدما استغمزَ مـن طـول الأَوَدْ[1]

ويقول مفضلاً أيام الشيب على أيام الشباب:

مسيري إلى ليل الشـبابِ ضـلالٌ وشيبي ضياءٌ في الورى وجمـالُ

سـوادٌ ولكـنَّ البيـاضَ سـيادةٌ وليـلٌ ولكـنَّ النَّـهارَ جـلالُ[2]

وقد يظن بعض من يقرأ حجازيات الشريف أن الحجاز أحب إليه من نجد، ولكننا نجده يقول في إحدى مقطعاته: (ق١)

---

[1] استغمز: طلب الغمز ليستقيم. الأود: الاعوجاج.

[2] الديوان، ١٢٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

السّمات الفنيّة في حجازيّات الشّريف الرّضي ونجديّاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الفنية

قبل عصر الشريف الرضي بزمان طويل جرى شعراء الغزل العذري في الحديث عن أشواقهم ومواجدهم، وما يعانون من الحنين، على طريقة من الحديث المسترسل في وصف ما يحسون به من خلجات الألم وقسوة الفراق، وإثارة الذكريات، وغير ذلك من ظواهر عاطفية، وكان ذلك الوصف في معظمه حكاية حال، وطريقة في السرد، والتنويع في البوح عن مختلف الأحاسيس، وقلما لجأوا إلى الاتكاء على صور فنية، فإذا ذهبوا إلى التصوير استمدوا صورهم من البيئة الطبيعية حولهم، من حيوان وطيور ونباتات، ومياه ورمال وما إلى ذلك من شؤون الطبيعة، فمن أشكال السرد أو الخبر في التحدث عن حالات الحنين قول الصمة القشيري[1]:

حننتَ إلى ريَّا ونفسُكَ باعَدَتْ ... مزارَكَ من ريَّا وشِعباكُما معا

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً ... وتجزعَ أن داعي الصَّبابةِ أسْمَعا

قفا ودِّعَا نَجداً ومن حَلَّ بالحِمَى ... وقَلَّ لنجدٍ عندنا أن يُودَّعَا

بنفسي تلكَ الأرضَ ما أطيبَ الرُّبَى ... وما أحسنَ المُصطَافَ والمُتَرَبَّعَا

وليست عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجِعٍ ... إليك ولكنْ خلِّ عينيكَ تدمَعَا[2]

فالشاعر يتحدث عن حنينه وأنه اختار البعد، ويلوم نفسه على أنه قام بالفراق متعمداً ثم أدركه الجزع، ويطلب إلى صديقيه أن يودعا نجداً ومن سكن الحمى، ويستقل أن يكون حظ نجد منه هو وقفة وداع، ثم يستبد به الحنين إلى المرابع فلا يملك إلا أن

---

[1] هو الصمة بن عبد الله بن طفيل، شاعر إسلامي بدوي مقل، من شعراء الدولة الأموية. خطب بنت عمه وكان لها محباً إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها. فحزن حزناً شديداً. انظر : أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ٦/١-٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[2] حماسة أبي تمام، ٣: ١١٢-١١٣، شرح التبريزي(ط بولاق ١٢٩٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستعمل صيغة التعجب في ذكر طيب تلك المصايف والمرابع، فهو يسترسل في الحديث حسب حركة المشاعر علواً وانخفاضاً، وكأنه يحسب أن صدقه العاطفي يغنيه عن رسم صورة واحدة، أو كأنه يعتقد أن هذا البوح النفسي يقوم مقام تصوير الأحاسيس.

وأكتفي بمثالين آخرين على هذه الطريقة الحكائية في التحدث عن المواجد، أولهما قول أبي صخر الهذلي[١]:

أمَا والَّذي أبكَى وأضحكَ والَّذي ... أماتَ وأحيا والَّذي أمْرُهُ الأَمرُ

لقد تركَتْني أحسُدُ الوُحْشَ أن أرَى ... أليفَينِ منها لا يرُوعُهُمَا الذُّعرُ

فيا حُبَّها زِدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوةَ الأيَّام موعِدُكِ الحَشرُ

عَجبتُ لِسَعي الدَّهر بيني وبينها ... فلمَّا انقضَى ما بيننا سَكنَ الدَّهرُ[٢]

فالسرد في هذه القطعة أخرج الشاعر إلى مجال من تأكيد الحب بإطلاق الأيمان المتتابعة، وأنه يتلذذ بالجوى ويريد منه زيادة، ويألو على نفسه ألا يركن إلى السلو حتى تنتهي هذه الحياة الدنيا، ويحل يوم الحشر، ثم يلمح معنىً دقيقاً وهو شدة حركة الدهر أيلم المحبة بينه وبين صاحبته للإفساد بينهما، فلما انتهى ما بينهما فاء الدهر إلى السكون، وتوقف عن سعيه وحركته. وهذا معنى مبتكر يشبه أن يكون صورة ولكنه ليس بصورة مباشرة صريحة.

أما المثال الآخر الذي أختم به هذه الأمثلة فهو قول ابن الدمينة[٣]:

---

[١] عبد الله بن سلم السهمي، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك مدائح، وفي أخيه عبد العزيز. وحبسه عبد الله بن الزبير إلى أن قتل. انظر : أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ٢٤/١١٠-١٣٤.

[٢] حماسة أبي تمام، ٣: ١١٩.

[٣] الدمينة أمه، واسم ابن الدمينة عبد الله بن عبيد الله، أحد بني عامر، ويكنى ابن الدمينة أبا السري. وكان بلغه أن رجلاً من أخواله من سلول يأتي امرأته ليلاً، فرصده حتى أتاها فقتله ثم قتلها بعده، ثم اغتاله سلول بعد ذلك فقتلته. انظر : أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٩٣-١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلي البانةَ الغيناءَ بالأجرعِ الـــذي ... به البانُ هل حَيَّيْتُ أطـــلالَ دارِكِ
وهل قمتُ في أطلالِـــهِنَّ عشـــيةً ... مقامَ أخِي البأساءِ واختـــرتُ ذلـــكِ
أرَى النَّاسَ يرجُون الرَّبيعَ وإنَّمـــا ... ربيعي الذي أرجُو زمانُ وصـــالِكِ
لئن ســـاءني أن نلتنِـــي بمســـاءةٍ ... لقد سرَّني أنَّـــي خطـــرتُ ببـــالِكِ
ليَهْنِكِ إمساكي بكَفِّي على الحَشَـــا ... ورَقْرَاقُ عيني رَهبةً من زِيـــالِكِ[1]

فهذا شاعر يتحدث عن مواجده ولكنه يورد أموراً لم يتطرق إليها الشاعران قبلـــه، فهو يستشهد شجرة بان قائمة بأجرع البان أنه ألقى التحية على ريا الحبيبة، ووقف في تلك الأطلال في إحدى العشايا كما يقف إنسان بائس، وكان ذلك اختيـــاراً منـــه، وأن النـــاس يرجون عودة الربيع ليخصبوا، غير أن ربيعه الذي ينتظره بفارغ الصبر هو لقاء الحبيبة، وقد ساءه أن صاحبته ذكرته بسوء، ولكن على الرغم من ذلك فـــهو مســـرور لأن تلـــك الإساءة منها تدل على أنه خطر ببالها، وهو يضع كفه على الحشا رجاء أن يسكن ما بـــه من ألم ويبكي بدمع مترقرق رهبة من أن ترحل عنه صاحبته.

هكذا تكاد تنفرد كل قطعة بما تحتويه من بث وشكوى وتقليب معان، دون أن يلجأ أي شاعر من الثلاثة إلى رسم صورة، إذ كان كل منهم يرى أن مجرد تقرير الحال هـــو نفسه رسم لصورة المحب. ولا بد أن نلحظ في هذه الأمثلة حضور نجد أو المرابع التـــي يحن إليها الشاعر، كما تظهر نجد ومرابع أخرى يحن إليها الشـــريف، وإذا تذكرنـــا أن الشريف يحب هذه النفحات البدوية في هذه المقطوعات، أدركنا أن احتذاءه لبعض ما فيها من طريقة بسيطة هو في نظره الجانب الفني الذي يحب أن يلتزمه.

[1] حماسة أبي تمام، ٣: ١٤٨. الغيناء: الملتفة، الكثيرة الورق والأغصان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن شعر الغزلين لم يخل خلواً تاماً من تصوير، فقد كان بعضهم إذا اهتدى إلى صورة نقلها نقلاً دقيقاً كما في قول نصيب[١]:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى ... بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تقلِّبُه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ
لها فرخانِ قد تُرِكَا بوكْرٍ ... فعشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيَاحُ
إذا سمعا هبوبَ الرِّيحِ نَصَّا ... وقد أَودَى به القدرُ المتَاحُ
فلا في اللَّيلِ نالتْ ما تُرجِّي ... ولا في الصُّبحِ كان لها بَراحُ[٢]

فهذه صورة مطولة، إذ لم يكتف الشاعر بأن يمثل قلبه بقطاة غلبها الشرك، ولم تستطع الإفلات، بل يزيد على ذلك بذكر وجدها على فرخيها اللذين ظلا يرقبان عودتها، وهي لا تستطيع أن تفلت من الشرك لا في الليل ولا في الصباح. وقد علق المبرد على هذه الأبيات مظهراً إعجابه الشديد بها، فقال: "وقد قال الشعراء قبله وبعده، فلم يبلغوا هذا المقدار".[٣]

على أنا يجب أن نستثني شاعراً غزلاً شديد الغرام بالتصوير، وبخاصة بالصور التفصيلية الطويلة أو بالصور المتتابعة وهو ذو الرمة[٤]، يقول:

---

[١] نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بودان، فاشتراه عبد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب مواليه، فأدى عنه مكاتبته. انظر: أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ١/٣٢٤

[٢] حماسة أبي تمام، ٣: ١٥٤. وقد نسبت هذه الأبيات إلى مجنون ليلى، انظر في ذلك: ديوان مجنون ليلى، ٥٢، ط١، شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢. وتنسب أحياناً إلى توبة بن الحمير كما في الكامل للمبرد، ٢/٣٤٣، ط١، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

[٣] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٣٤٣.

[٤] غيلان بن عقبة بن هميش بن مسعود بن حارثة المضري، يلقب بذي الرمة. شاعر كان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. عشق مية المنقرية، واشتهر بها، وكان مقيماً بالبادية. انظر: أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ١٨/١-٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد جَشأتْ نفسي عَشِيَّةَ مُشْرِفٍ ... ويومَ لِوى حُزْوى فقلتُ لها صَبرا
تَحِنُّ إلى مَيٍّ كما حَنَّ نازِعٌ ... دعاهُ الهوى فارتادَ من قيدِهِ قَصْرا
فقلتُ اربَعا يا صاحبيَّ بدمنَةٍ ... بذي الرِّمْثِ قد أقوت منازلُها عَصْرا
أَرَشَّت بها عيناكَ حتى كأنَّما ... تُحِلاَّنِ من سفحِ الدُّموعِ بها نَذْرا
فما ظبيةٌ ترعى مساقِطَ رملةٍ ... كَسا الواكفُ الغادي لها ورقاً نَضْرا
بأحسنَ من مَيٍّ عشِيَّةَ حاولت ... لتجعل صَدْعاً في فؤادِكَ أو وَقْرا[1]

ففي البيت الأول صورة لارتفاع النفس من روعة الوقوف على منازل الحبيب، وفي البيت الثاني صورة الجمل الذي يحن إلى ألافه، فهو يرجو أن يطلق من قيده(النازع)، وفي البيت الرابع صورة إرسال الدموع، كأن إرسالها قضاء نذر على صاحبها، وفي البيتين الخامس والسادس صورة مية وحسنها ومحاولتها أن تحدث في فؤاد محبها صدعاً أو وقراً.

ولكن ذا الرمة متفرد بين الشعراء في هذا، وقصيدته سواء أكان يصف الصحواء وحيوانها وهوامها أم يصف حالته في الحب، تقوم على صور متتابعة.

هذه نظرة موجزة تنقل سمات بارزة من شعر الحب والحنين لدى ثلاثة من شعراء الغزل العذري الأمويين، ولا يبعد عنها الشريف الرضي في التعبير عن حنينه في نجدياته وحجازياته، فهو مثل أكثرية أولئك الشعراء البدو في اختيار السرد وأسلوب الحكاية وتقرير أحوال الوجد، وتطلب المعاني المعبرة(لا الصورة) عن حالات يحاول فيها شيئاً من الابتكار، وإذا ألقى القارئ نظرة على الملحق الذي يضم الحجازيات والنجديات في

[1] ديوان ذي الرمة، ٣/ ١٤١١-١٤١٥، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، شرحه: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، مؤسسة الإيمان، بيروت. جشأت: نهضت. مشرف والحزوى: موضعان. النازع: البعير يحن إلى وطنه. ذو الرمث: موضع ينبت فيه الرمث، وقيل مرعى للإبل من الحمض وشجر يشبه الغضا. أرشت: سالت بالبكاء. الوقر: الهزم في العظم، والهزم: التشقق في العظم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الرسالة رأى أن اعتماد البساطة هو الغالب على مقطوعاته وقصائده، وإن لم يخـــل بعضها الآخر من الحذلقات الشعرية، مثل اشتغاله في التساؤل عن القلب والعين، أيـــهما يجني على الآخر؟[١]

وهذه البساطة لم تمنع شعر الرضي من أن يبقى قائماً علـــى القـــوة والجزالـــة. وتصدق لذلك مقولة الثعالبي في وصف شعر الرضي بأنه" يجمع إلى السلاسة متانة، وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها"[٢].

وهي تعني أن هذه البساطة ربما أوهمت أنها شيء سهل، ولكن استواء العبارة فيها قد يكون أعسر من طلب الصورة، كما أن طلب المعنى المبتكر قد يكـــون بديـــلاً عـــن التصوير، وقد تقدمت الإشارة في فصل سابق إلى وقوف الشريف عند "تلفت القلب". فهذا المعنى المبتكر صورة مبتكرة في حد ذاتها وذلك حين قال: (ق٤)

وتلفَّتْ عينـــي فمُـــذ خَفيـــت عنـــها الطُّلُـــولُ تلفَّـــتَ القلـــبُ

وهناك صورة أخرى لديه في مثل قوله: (ق ٢٠)

ولمَّا توافقنا ذُهِلْـــتُ ولـــم يَحِـــنْ لِطيرِ قُلُـــوبِ العاشِـــقينَ وُقُـــوعُ

ومثلها قوله أيضاً: (ق ٢٢)

يكادُ غرابُ اللَّيْـــلِ عنـــدَ حديثِنـــا يطيرُ ارتِياحاً وهو في الوَكْرِ وَاقِـعُ

ففي هاتين الصورتين يستغل الشريف" الطير" في تصويره مثلما رأينا صنوه فـــي الصورة لدى نصيب.

---

[١] إحسان عباس، الشريف الرضي، ٢٣٦.

[٢] الثعالبي، يتيمة الدهر، ٣/ ١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحياناً يجعل الشريف قصيدته صورة مسترسلة طويلة، ولكن هذا الشيء نـــادر، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قصيدته(رقم ٢٧) في الملحق، ومطلعها:

ياظبيةَ البانِ ترعى فـــي خَمَائِلِـهِ ليهنكِ اليـومَ أنَّ القلـبَ مرعَـاكِ

فلما افتتح الشريف قصيدته بنداء "ظبية البان"، اضطر أن يستعير من الأمور مـــا يوافق الظبية كالمرعى، والماء، وهبوب رائحة من جهة تهامة الغور، عرفـــها برياهـــا، ولكنه لم يستطع أن يستمر في استعمال الكناية عن المحبوبة، فعاد يوجه الخطـــاب إلـــى صورة تلك المحبوبة، ولكن مع الحفاظ على مشتركات بين الظبية والمحبوبـــة كالرائحـــة الطيبة، والإقامة بذي سلم، ورمي السهام من بعيـــد حتـــى أصـــابت مـــن بـــالعراق(أي الشريف)، والربط بين عيني المحبوبة وعيني الريم(أو الظبية) وإن كانت عين الحبيبـــة أجمل(وكان الفضل للحاكي) وتصوير الطرف، وأنه أخبر يوم الجزع بما طـــوى مـــن أسماء قتلاها، وأن عينيها أصدرتا له وعداً ولكنها لم تف به، فقال:

ثـــمَّ انثنينـــا إذا مـــا هزَّنـــا طَـــرَبٌ على الرِّحَـالِ تعلَّلنـا بِذكـــرَاكِ
سهمٌ أصـــابَ ورامِيـــهِ بـــذي سَـلَمٍ مَنْ بالعراقِ لقـــد أبعـــدْتِ مرمَـــاكِ
وعدٌ لعينَيكِ عندي مـــا وَفيـــتِ بـــهِ يا قُربَ مـــا كَذَبَـــت عينـــيَّ عَينَـــاكِ
حَكتْ لِحاظُكِ ما في الرِّيمِ من مُلَـــحٍ يومَ اللِّقاءِ فكـــانَ الفضـــلُ للحـــاكِي
كأنَّ طرفَـــكِ يـــومَ الجِـــزعِ يُخبرُنـــا بما طَوَى عنكِ مـــن أســـمَاءِ قتـــلاكِ

وينتقل من هذه الصورة إلى صورة المحبوبة وكيف أنـــها تجمـــع بيـــن النعيـــم والعذاب، بين الحلاوة والمرارة، وأن لديه رسائل، وكان يمكنه أن يوصلـــها إلـــى ثغـــر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحبوبة لولا وقوف الرقيب (البغيض)، وذكر الرقيب وما أشبه، تحرز من الشاعر لكي لا يخل بالعفة ولو مرة واحدة، فقال:

أنتِ النَّعيمُ لقلبي والعذابُ لهُ ... فمَا أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ

عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكرُها ... لولا الرَّقيبُ لقد بلَّغتُها فَاكِ

ثم يدعو –على عادة الشعراء– بالسقيا لمنىً ولليالي الخيف حيث يلتقي المحبون، ويحيي المحبوبة كما يحيي منازلها، ويقف عند حلاوة اللقاء وأنه موحد في حبه، ويتمنى نفحة مرت بفم الحبيبة ويتغنى بتلك الوقفة القصيرة التي أتيحت له، فقال:

سَقَى مِنىً ولياليَ الخَيْفِ ما شَرِبَتْ ... من الغمامِ وحيَّاهَا وحَيَّاكِ

إذا يلتقي كُلُّ ذي دَينٍ وماطِلَهُ ... مِنَّا ويجتمِعُ المشكُوُّ والشَّاكي

لما غَدَا السَّربُ يَعطُو بينَ أرحُلِنَا ... ما كان فيه غَريمُ القلبِ إلاَّكِ

هامَتْ بكِ العَينُ لم تتبعْ سِواكِ هوىً ... من علَّم العينَ أنَّ القلبَ يهواكِ

حتى دَنا السَّربُ ما أحيَيتِ من كمَدٍ ... قتلى هَوَاكِ ولا فاديتِ أسرَاكِ

يا حَبَّذا نفحَةٌ مرَّت بفيكِ لنا ... ونُطفَةٌ غُمِسَت فيها ثَنايَاكِ

وحَبَّذا وقفَةٌ والرَّكبُ مغتَفِلٌ ... على ثَرىً وخَدَت فيه مَطَايَاكِ[1]

ثم يزيده حسرة أنه أشيب الرأس، وأن ليس من عدده اللمة السوداء، ولولا ذلك(وهو سبب آخر لتأكيد العفة)، لما أفلتت المحبوبة من أشراكه، فقال:

لو كانتِ اللِّمَّةُ السَّوداءُ من عُدَدي ... يومَ الغَميمِ لما أفلَتِّ أشْرَاكي

[1] يعطو: رفع الرأس واليدين لتناول الأوراق. وخدت: أسرعت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه القصيدة الجميلة تعد خير أنموذج يصور موقف الشريف من الحنين إلى الحجاز ونجد. وهذه القصيدة اشتهرت نظراً لرقتها وعذوبتها. ويقول الصفدي في هذا السياق:" سمعت القاضي شهاب الدين محموداً رحمه الله تعالى يقول: الله يرزق المليحة بخت الوحشة، ما من شاعر إلا وعارض هذه القصيدة، وليس له ديباجتها"[1].

ومن الجدير بالذكر أن الرضي قد اعتمد في تصويره على التجسيم ، لتحريك المتلقي وإدهاشه، ثم ابتهاجه. ومعنى التجسيم هو جعل المعنوي محسوساً، وكأنه ماثل أمامك. فالرضي أمسك اللامحسوس، فجعل له جسماً، وبث فيه الحياة والحركة،[2] مستغلاً قدرته الخيالية في ذلك. فالهوى والقلب يتجسمان في عالم الشريف الرضي كما نلاحظ في القصيدة رقم(١١)، حيث يقول:

ولمَّا تدانى البَيْنُ قال لِيَ الهَوَى: رُويداً. وقالَ القلبُ: أينَ تريدُ؟
أتطمعُ أن تَسلو على البُعدِ والنَّوى وأنتَ على قربِ المزارِ عَميدُ
ولو قالَ لي الغادون ما أنتَ مُشتَهٍ غداةَ جزعنا الرَّملَ قلتُ أعودُ

ومن الصور الجميلة التي استوقفتني صورتان: صورة الريح الغيرى، وصورة القلب الضائع. فالريح تتحول إلى امرأة غيور تسعى للتفريق بين الشاعر ومحبوبته، فتشد الفضول من أطراف ثيابها، وتسل الخصلات الشاردة من شعرها، فيقول: (ق٣٦)

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٧٨/٢. وكان أول من عارضها أخوه الشريف المرتضى، انظر ديوانه: ٤٥٩/٢، حيث قال موازناً قصيدة أخيه الرضي:

مرَّت بنا بمصلى الخَيْفِ سانحةً كظبيةٍ أفلتت أنساءُ أشواكِ
نبكي ويُضحكها منَّا البكاءُ لها ماذا يمُرُّ من المسرورِ بالباكي

[2] انظر: عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمستِ الريحُ كـــالغَيرى تُجاذِبُنَـــا على الكَثِيب فُضُولَ الرَّيطِ واللِّمَمِ[1]

أما الصورة الثانية، فيطلب الرضي من أصحابه أن يبحثوا عن قلبه الذي تجســـم مرة أخرى ليصبح إنساناً أو طفلاً صغيراً-ولك أن تصوره كما تشاء- أضاعه بين حشد من الحسان بين جمع ومنى، فيقول: (ق٢٤)

ضاعَ قلبي فانشُده لي بيـــنَ جَمْـــعٍ ومِنىً عندَ بعـــضِ تلـــكَ الحِـــدَاقِ

هل من عناصر فنية أخرى؟

نعلم يقيناً أن الشريف الرضي عاش في عصر غلب عليه ما يسمى" البديـــع" فـــي الشعر، والبديع كلمة جامعة لظواهر شتى في مقدمتها الاستعارة، ومن أهـــم ظواهرهـــا الأخرى الطباق والجناس، وقد وصل أبو تمام بفن البديع إلى ذروته وأكـــثر منـــه حتـــى عرف به، وتفوق به على مسلم بن الوليد(صريع الغواني) وعلى غيره من الشعراء.

ومع ذلك كله، فإن الشريف لم يكثر في حجازياته ونجدياته من أصناف البديـــع، و إن كان مدركاً أثره الفعال في إحداث دفقات موسيقية، ونغمات متنوعة داخـــل الأبيـــات الشعرية، وأحب أن أؤكد أن صنوف البديع تأتي عفو الخاطر إلا فيما ندر، خاليـــة مـــن التكلف والتصنع، وهي تخضع للطبع وحده.

[1] الريط: جمع ريطة، ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة. اللمم: جمع لمة، شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوادي الغضا وشجر البان والرند مما توحيه البادية وطبيعتها. وقد لحظ الشريف المرتضى هذه النزعة البدوية في شعر أخيه الرضي، فاستحسن قوله:

طَرقَ الخيالُ ببطنِ وَجْرَةَ بعدما ... زعمَ العواذلُ أنَّه لا يَطْرُقُ[1]

فقال المرتضى:" هذه أبيات ناصعة رائقة، عليها مسحة من أعرابية، وعبقة من بدوية"[2].

وإلى جانب هذه الروح البدوية، نلمح كثرة الأضداد، وسبب ذلك حالة الشريف النفسية، فهو يعيش في صراع بين القلب والعقل، وتعارض بين الرغبة والعفة، ونزاع بين حبه للبادية وحبه لبغداد حين يرحل عنها، ورغبته في الرجوع إلى حمى الجاهلية لولا إيمانه بالله وخوفه منه، فهذا التمزق النفسي انعكس بوضوح على لغة الشريف التي راحت" تعبر عن نوازع النفس، ومتطلبات العقل، وتتناوب بين الواقع الذي يعيش والمثال الذي يطلبه"[3]، فنسمعه يقول: (ق٢٥)

أاللهُ، إنِّي إنْ مررتُ بأرضِها ... فُؤادِيَ مأسورٌ ودَمعِيَ مُطلَقُ

أكُرّ إليها الطَّرفَ ثمَّ أردُّهُ ... بإنسانِ عينٍ في صَرَى الدّمعِ يغرقُ

هوايَ يَمانٍ كيفَ، لا كيفَ نلتقي ... وركْبيَ منْقَادُ القرينةِ مُعرِقُ[4]

انظر إلى هذه المقابلة الضدية:

فؤادِيَ مأسورٌ ... ودَمعيَ مُطلَقُ

هوايَ يمانيٌّ ... والرَّكبُ مُعرِقُ

---

[1] الديوان: ٢/ ٤٠.

[2] الشريف المرتضى، طيف الخيال، ٩٧.

[3] أحمد الجنابي، لغة الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٣١٤.

[4] الصرى: الماء إذا طال مكثه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد استطاع الرضي أن يوظف هذه الأضداد للتعبير عن شعوره بالاغتراب المكاني، فهو لم يتكيف مع نفسه ولا حتى مع مجتمعه، لكنه حين يصل البادية(الحجاز و نجد)، يذهب هذا القلق النفسي لتكيفه مع الوضع الجديد، فيشعر بالراحة والانسجام، لكنه لا يلبث أن يحن إلى موطنه العراق مرة أخرى، فيعاوده القلق والأرق، فتعود هذه الأضداد إلى الظهور من جديد، فيقول في إحدى نجدياته:(ق٤)

قالوا وقد قُرِّبَتْ ركائبُنا ... والقلبُ يظمأ بهم ولا يَرِدُ

أتاركٌ أرضَنا؟ فقلتُ لهم: ... أنجدَ قلبي وأعرقَ الجَسَدُ

فقلبه في نجد، بينما جسده في العراق !

وساهمت هذه الأضداد أيضاً في التعبير عن مشاعره بالاغتراب الزماني، فيقول: (ق٣٠)

تُرَى الجاهليَّةُ أحْمَى لنا ... وأنأى عن الموقفِ الأرذَلِ

فلولا الإلهُ وتَخْوَافُهُ ... رجعنا إلى الطَّابَعِ الأوَّلِ

فهو يتمنى لو أنه يعيش في زمان الجاهلية حيث العروبة الأصيلة والنخوة والإباء بدلاً من عيشه في زمان طغى فيه الأراذل، وهو من غير شك يقصد طغيان الأعاجم على مقاليد الحكم، وعلى الحياة بما أشاعوا من عادات وتقاليد تأباها النفس العربية، ويأباها الفتى العربي. وهذه الازدواجية في المشاعر– وإن كانت ضارة بشخص الرضي، مؤرقة له– فإنها هي التي خلقت هذا الإبداع في شعره " فمن التكيف وعدم التكيف تخلق القدرة والإبداع، بل ويخلق الفن أيضاً".[1]

[1] عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ١٠٠، جامعة اليرموك، اربد، ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتمعن في حجازيات الرضي ونجدياته يلحظ أنه يفصل الألفاظ على قدر المعاني، فلا يفضل المعنى على لفظه، ولا اللفظ على المعنى، كما صرح هو بذلك في ديوانه حيث قال:

ومُستَهِلاَّتٍ كصَوبِ الحَيَا تبقَى وأقوالُ الفتى تفنَى
مُنتصِبَاتٍ كالقَنَا لاتَرَى عيَّاً من القَوْلِ ولا أفنَى
لا يفضُلُ المعنَى على لَفْظِهِ شيئاً ولا اللَّفظُ على المَعنَى[1]

ولنأخذ أمثلة على ذلك، قوله: (ق١٢)

ويا رُبَّما والهَوى ضَلَّةٌ ترى العَينُ ما لا تَنَالُ اليَدُ

فقد كان صادقاً في تعبيره، مستخدماً كلمات تنبئ عن المعنى المراد والمطلوب، وما يعتمل في نفسه على الحقيقة والواقع. فهو يهم ويريد، وتكتفي العين بنصيبها من النظر.

ويقول في حجازية أخرى: (ق١٦)

عندَ قلبِي علاقَةٌ ما تَقَضَّى وجَوىً كُلَّما ذَوَى عادَ غَضَّا

إنه تعبير صادق عن واقعه، ولفظ مناسب لمعنى واضح، عشق متجدد مع كل صبابة، وجمال أخاذ يأسر قلب الشاعر، ويحرك جوانحه.

وقوله: (ق٤٧)

نظرتُ ببطنِ مكَّةَ أمَّ خِشفٍ تبغَّمُ وهيَ ناشِدَةٌ طَلاهَا
وأعجَبَني ملامِحُ منك فيها فقلتُ أخا القرينَةِ أم تُرَاهَا

[1] الديوان، ٢/ ٥٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما تدانى البَيْنُ قال لـــي الـــهوى رويداً وقـــالَ القلـــبُ أيـــن تريـــدُ
أتطمعُ أن تسلو على البعد والنَّـوى وأنتَ على قربِ المـــزارِ عميـــدُ
ولو قالَ لِي الغادونَ ما أنتَ مُشـتَهٍ غداةَ جزعْنَا الرَّملَ قلـــتُ أعـــودُ

فالهوى والقلب مندغمان، وموقفهما واحد من البقاء.

ولنستمع إليه مرة أخرى وهو يخاطب ويحاور صديقاً له في إحدى نجدياته:(ق١٠)

ولقـــد أقـــولُ لصـــاحبٍ نبَّهتُـــهُ فوقَ الرِّحالَـــةِ والمَطِـــيُّ رَوَاقِـــي
أوما شممتَ بذي الأبـــارقِ نفحـــةً خَلَصَتْ إلى كبدِ الفتـــى المُشـــتَاقِ
فَأوى وقـــالَ أرى بقلبـــكَ لسـعةً للحُـــبِّ ليـــسَ لدائـــها مـــن رَاقِ
فصِفِ الغرامَ لمُفْرقٍ مـــن دائـــهِ إنِّي لأقـــدَمُ منـــكَ فـــي العُشَّـــاقِ

فالرضي نبه صديقه من أجل أن يسأله عن نفحة مرت بهما، هل كانت حقيقـــة أم وهماً توهمه من فرط شوقه للحبيب، عندها يدرك الصديق أن في قلب الشاعر لسعة للحب لا دواء لها، وأنهما في العشق مشتركان، وإن كان الصديق أقدم منه في ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن مشهد الصديق الذي يرافق الرضي في رحلاته، ويودعـــه أسراره، ويسأله إبلاغ تحياته لركائب الأحباب، من المشاهد المتكررة في شعره، وهي من الصور التي ألح الرضي على رسمها، مظهراً وقعها الانفعالي على نفســـه، وهـــي مـــن الصور المستوحاة من القديم. ولم يكتف الرضي بهذه الصورة في حجازياته ونجدياته، بل ثمة العديد من الصور والمجازات التقليدية التي جاء على معظمها الشعراء القدماء كامرئ القيس ومجنون ليلى، وجميل بثينة، وكثير عزة، وأبي فراس الحمداني، والمتنبي، وحيـــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صارت هذه الصور بين يدي الرضي صهرها في قالب جديد كما يقول إحسان عباس[١]، فالرضي قد انتقد بنفسه أن يطرق الشاعر معاني القدماء دون أن يضيف عليها شيئاً جديداً مبتكراً، فقال:" فأما المحدث الذي قد نخل الأشعار الكثيرة، وتصفح الدواوين القديمة، وكان متبعاً لا مبتدعاً، وحاذياً لا مخترعاً، فلا ينبغي له أن يتعرض لمعنى قد سبق إليه، فيورده على جهته من غير زيادة عليه، فتكون الفضيلة للأول باختراعه وتقدمه، وتكون النقيصة له باحتذائه وتأخره، ويا ليته إذا زاد على المعنى المقول زيادة بينة، وألبسه ألفاظاً مستحسنة نسب إليه وترك حينئذ عليه. فعلى هذا القياس إذا لم يجهد المحدث نفسه في اختراع المعاني وابتداعها، والكشف عن غوامضها ودقائقها، والزيادة على من تقدم فيها، لم يحصل له تقدم السابق المنفرد، ولا حظ اللاحق المجتهد"[٢].

وقد وظف الرضي بعض ألفاظ مناسك الحج في صوره، كالنحر في قوله الآتي: (ق٤٧)

وما نحروا بخَيْفِ منىً وكَبّوا ... على الأذقانِ مُشعَرَةً ذُراها

والنفرة في قوله: (٥١)

فلم أرَ يومَ النَّفرِ أكثرَ ضاحكاً ... ولم أرَ يومَ النَّفر أكثرَ باكيا

وأيام جمع ومنى وموقف التجمير في قوله: (٤٢)

فلم يبقَ من أيّامِ جَمْعٍ إلى منَى ... إلى مَوقفِ التَّجميرِ غيرُ أمَاني

---

[١] إحسان عباس، الشريف الرضي، ٢٥٧.

[٢] لقد صرح الرضي بذلك في نسخة أرسلها للصابي الذي طلب منه الحكم على أبيات قيلت في حفظ السر له ولغيره. انظر : رسائل الصابي والشريف الرضي، ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتلبية في قوله: (ق٣)

لو دَعاني مِـــنْ غـيرِ أرضِـكَ داعٍ لغـــرامٍ لكنـــتُ غـــيرَ مُلَـــبِّ

والمتبصر في حجازيات الرضي ونجدياته يلحظ فيها سمة التكرار لبعض الصـور والمعاني، فعلى سبيل المثال، يستكثر الرضي من استخدام صـــورة "الالتفـات"، وهـي "صورة حركية مختلفة عن الصورة المألوفة للنظر. ففي الالتفات قلق مشوب بـالفزع أو المحاذرة أو الاستحياء، بينما يكون النظر مطمئن الحالة مستقرها".[١]

ويجيء الالتفات لدى الرضي مرتبطاً بالشوق والحنين للماضي ولقـاء الأحبـاب، وممزوجاً بالتساؤل والدموع حيث يقول: (ق٣٣)

فلولا الشَّوقُ مـــا كَـثُر التفَـاتي ولا زُمَّـتْ إلـى طَلَـلٍ جمـالي

وقد تتكرر لفظة" الالتفات" في القصيدة مرتين، لتوحي بآلام الشريف وحزنه، وهو سلاح الموجوع بألم الفراق، وبخاصة التلفت غير المنقطع بالقلب، وذلك دليل آخر علـى الإخلاص، وتمكن الحب منه تمكناً لا فكاك لفؤاده منه، فيقول: (ق١١)

تلفَّتَ حتى لم يَبِـنْ مـن بلادكـم دُخـانٌ ولا مِـنْ نـارِهِنّ وَقُـودُ
وإنّ التفاتَ القلبِ من بعدِ طَرْفـه طـوالَ اللّيـالي نحوكُـم لـيَزِيدُ

وقد يصاحب هذا الالتفات سيل من الدموع، فنسمعه يقول في إحدى نجدياته:(ق٧)

تلفَّتَ دونَ الرَّكـبِ والعَيـنُ غَمـرةٌ وقد مَدَّها سَـيلُ الدّمُـوعِ بمـا مَـدّا
لَعلّـي أرى داراً بأسـنِمَةِ النَّقَـا فأطرَبُنَـا للـدَّارِ أقرَبُنَـا عَـهدَا

[١] عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأينما نظرنا في قصائده تطالعنا الآه المعبرة عن عاطفة الوجد والتوجع، والحنين إلى المرابع ومعاهد الصبا، وكثرة التمني بليت وياحبذا، والرجاء بلعل وعسى، وكثرة المناداة والتساؤل والسؤال، وهي وسائل استخدمها الرضي لتأكيد التردد العاطفي والوجداني الذي يعاني منه، فضلاً عن" إشباع الوجدان وإقناعه"[1].

ولنستمع إلى أسئلته الكثيرة في إحدى حجازياته، حيث يقول: (ق٢٠)

ألا هلْ إلى ظِلّ الأثِيلِ تَخَلّصٌ ... وهلْ لِثَنِيَّاتِ الغُوَيْرِ طُلُوعُ

وهلْ بَلِيَتْ خَيمٌ على أيمَنِ الحِمى ... وزالت لنا بالأبْرَقَينِ رُبُوعُ

وهلْ لليالينا الطِّوالِ تصرُّمٌ ... وهل لليالينَا القِصَارِ رُجُوعُ

ونلمح في القصيدة(رقم٢٩) تكراره لأداة النداء خمس مرات، فتكرارها يفيد التوجع والتأوه، حيث يقول:

أيا أثَلاتِ القاعِ كم نَضْحُ عبرةٍ ... لعيني إذا مَرَّ المطيُّ بذي الأثْلِ

ويا عَقَداتِ الرَّملِ كم لي أنَّةٌ ... إذا ما تذكَّرتُ الشَّقيقَ من الرَّمْلِ

ويا ظُعُنَاتِ الحَيّ يومَ تحمَّلُوا ... عُقِرْتِ وأفنى اللهُ نسلَكِ من إبلِ

ويا ظَبيات الجِزْع يسنَحنَ غَدْوةً ... لقد طُلّ من تَرْشُقنَ بالأعينِ النُّجُلِ[2]

ويا بانَةَ الوادي أدمُعي في الهوى ... أبرُّ حَياً أم ما سَقاكِ من الوبَلِ

---

[1] عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربي، ٤٢، جمع وتحقيق: محمد رجب البيومي، الدار المصرية واللبنانية.

[2] الأثلات: شجر الأثل، وهو شجر صلب الخشب جيده، يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية. الظعنات: الجمال التي يسافر عليها. طل: أصيب، قتل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يأتي التكرار تعريفاً لما سبق، ويكون في هذه الحال محمولاً على التوضيح، وليس محمولاً على التأكيد(وهو ما يسمى في علم البديع بالاشتراك[١])، حيث يقول الرضي في نجدية له: (ق٣)

ويا صَاحِبيَّ اليومَ عُوجا لتسألا ... رُكَيْباً من الغورِيْنِ أنضاؤهم تَخدِي

عن الحَيِّ بالجَرْعاءِ جَرْعاءِ مالكٍ ... هلِ ارتَبعوا واخضَرَّ واديهمُ بعدِي[٢]

وهكذا، فإن التكرار يتخذ أشكالا متنوعة في حجازيات الرضي ونجدياته، مثل تكرار صور معينة، أو معان محددة، أو ألفاظ بعينها، أو التركيز على حروف بعينها، لإعطاء كثافة صوتية تسهم في نقل أحاسيس الشاعر وانفعالاته، إضافة إلى الموسيقى المنبعثة والمتدفقة في حنايا الأبيات بفعل التكرار الذي يؤدي إلى تقوية رنينها وجرسها الذي يرسخ في الأذهان.

ومن السمات الأسلوبية التي تكررت في حجازيات الشريف ونجدياته، تعليق الكلم بعضه على بعض، بحيث لا يتم المعنى إلا في البيت الذي يليه، وبمعنى آخر أن وزن البيت يتم قبل أن يتم معناه[٣]، وهو ما سماه العروضيون بالتضمين[٤]، خذ مثلا قوله الآتي: (ق٤٧)

فَأُقسِمُ بالوقوفِ على أُلالٍ ... ومَن شَهِدَ الجِمارَ ومن رَماهَا

وأركانِ العتيقِ وبانِيَيْها ... وزَمزَمَ والمقَامِ ومن سَقَاها

---

[١] الاشتراك: أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو عرفيا، فيسبق ذهن سامعها إلى المعنى الذي لم يرده الناظم، فيأتي بعدها في البيت أو في بيت آخر بما يؤكد أن المقصود غير ما توهم السامع. انظر: عبد الغني النابلسي، نفحات الأزهار، ٤٣٣، ط١، تحقيق: سعيد الكوسا، دار التقدم، دمشق، ١٩٩٨.

[٢] تخدي: تسرع. الجرعاء: رملة مستوية لا ينبت فيها شيء. وهي هنا موضع. ارتبعوا: نزلوا في مكان معشب.

[٣] انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، ٨٩/٢، ط٣، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٦٤.

[٤] انظر في ذلك: القاضي التنوخي، القوافي، ١٩٣، ط٢، تحقيق: عون عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٨. يوسف بكار وليد سيف، العروض والإيقاع، ٣٩٩، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأَنــتِ النَّفــسُ خالصــةً فــإن لــمْ تَكُونيــــها فَــــأنتِ إذاً مُنَاهــــــا

ومنه أيضا قوله: (ق١٧)

قُل للغزالِ إذا مـــررتَ بـذي النَّقَـا فلعــلَّ جأشَـكَ للبلابـــلِ رَابِـــطُ

لِمْ أنتَ فـــي هِبَـةِ القليـلِ مُنَـاقِشٌ أبداً وفـــي عِـدَةِ الوصَـالِ مُغَـالِطُ

وبناء على ما تقدم أستطيع أن أقول إن الأســـاليب التـــي اســتخدمها الرضـــي، استطاعت أن تنهض بأفكاره، وتستوعب أحلامه، وهواجسه، وأمانيه. وقد وصف أديـــب تقي الدين أسلوبه بعبارات قليلة، لكن معناها كبير، فقال:" إنما يغمر أسلوبه نقاء الديباجـة، وصفاء التعبير، وسلامة الطبع، وحسن الإيراد، وملاحة السبك، وقوة الصياغة".[١]

[١] أديب تقي الدين، الشريف الرضي، ٢٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرّابع

الدّلالات الرّمزيّة في حجازيّات الشّريف الرّضي ونجديّاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماذا يقصد بالرمز؟

إن للرمز دلالات على المستوى اللغوي، وعلى المستوى الاصطلاحي، حيث يقول قدامة في تعريفه:" أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها"[١]. فيما يقول إحسان عباس في تعريف الرمز:" الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري، مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً"[٢].

وما يهمنا في هذا السياق معرفة ما إذا كانت الحجازيات والنجديات قد حملت معاني الرموز والإشارات أم لا؟

يرى مارون عبود :" أن الشريف الرضي ليس شاعراً رمزياً، ولكنه شاعر ملهم له استعارات وتشابيه طريفة، أرشده إليها ذوقه الرفيع، وأسلوبه الفذ، ولغته الجزلة"[٣].

ولكننا مع ذلك، نستطيع أن نتلمس كثيراً من الصور والعبارات في حجازيات الرضي ونجدياته التي يمكن أن تكون رموزاً " بكل ما يندرج تحتها من ألوان المجاز الموروثة كالتشبيه والاستعارة والكناية"[٤].

وقد نوهت سابقاً إلى أن الشريف الرضي لم يستطع أن يقول في حجازياته ونجدياته ما اعتمل في صدره من مشاعر وأحاسيس، فشرفه وانتماؤه إلى آل البيت، وإمرته للحج، ونقابته للطالبيين، كانت عائقاً أمامه، منعته من الانطلاق والتحليق في الغزل، فكم مرة حاول فيها الرضي كبح جماح عواطفه ورغبته في لقاء المحبوبة، ووصلها وإبلاغها ما يكنه لها من عشق جارف، ووله دائم! وكم مرة لجأ إلى طيف الخيال، لإزالة التهم التي ستوجه إليه لو كان ذلك على أرض الحقيقة والواقع!

---

[١] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ٨٥، عني بتصحيحه: س. أ. بونيباكر، مطبعة بريل، لندن.

[٢] إحسان عباس، فن الشعر، ٢٠٠، ط١، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان، ١٩٦٦.

[٣] مارون عبود، الشريف الرضي بين دكتورين، ٨، الأديب، ج٦، السنة الرابعة، بيروت، لبنان، ١٩٤٥.

[٤] محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٨، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاشك في أن القارئ المتأمل في قصائد الرضي الحجازية والنجدية، لابد من أن يلفت نظره بعض الصور والعبارات التي قد تشمل على مشاعر أشمل، ودلالات أوسع مجالاً من تلك المشاعر الظاهرة المتلقي، التي يكون محورها الرئيسي ذات الشاعر، وعالمه المحدود.

والرموز في حجازيات الشريف الرضي ونجدياته تدور حول ثلاثة محاور هي:

- المرأة.
- الأماكن الحجازية والنجدية.
- البيئة البدوية العربية.

فالمرأة تعد من الرموز العميقة التي حملها الشريف دلالات متعددة، كالسرحة والظبية والغزال، ثم يتغزل بهذا الرمز، فهي مرة سرحة: (ق٣٩)

سرحةً أعجلَها البيَنُ وما ... لُبِسَ الظِّلُّ ولا ذِيقَ الجَنَى

ومرة ظبية: (ق٢٧)

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خَمائِلِه ... لِيَهْنِكِ اليومَ أنَّ القلبَ مَرْعاكِ

أنتِ النَّعيمُ لقلبي والعذابُ لهُ ... فما أمرَّكِ في قلبي وأحْلاكِ

ومرة غزال: (ق٤٩)

إني علقتُ على منىً ... لميـاءَ يقتلني لَماها

راحتْ معَ الغِزْلانِ قَدْ ... لَعِبَتْ بقلبي ما كَفاها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومرة تظهر على حقيقتها كما هي، أنثى من لحم ودم، تأتي إلى الحجاز حاجة، طائفة حول الكعبة، ساعية بين الصفا والمروة، رامية الجمرات بأنامل تشعل النار في قلب الشـــريف دون أن تعي ذلك: (١٣)

ورامينَ وهنـاً بالجِمَـار وإنَّمَـــا ... رَمَوْا بَيْن أحْشَاءِ المحبِّيـــنَ بـــالجَمْر

رَمَوْا لا يبالونَ الحشَـــى وَترَوَّحُـوا ... خَلِيِّينَ والرَّامي يُصِيـــبُ ولا يَـدْري

ومرة تظهر بدوية من بني عامر، تتسم بالورع والعفة والجمال: (٣٢)

وَمَبْنَـى قبـــاب بِنَـــي عـــامِر ... علـى الغَـوْرِ أطنابُـهُنَّ العوَالِـــي

عَقَـــائِلُ علَّمَـــهُنَّ العفَـــا ... فُ وَصْلَ المِطَال ومَطْـلَ الوِصَـال

مَرابِـعُ يشـكو بـــهِنَّ الجِـــراحَ ... أسودُ الشَّـرَى مـن ظبـاءِ الرِّمـال

مَضَاحِكُـــهُنَّ عُقُـــودُ العُقُـــودِ ... وأجيـــادُهُنَّ لآلـــي اللآلـــي[1]

فهو يحب التحدث مع البدويات، ويجد لذة في ذلك، فيتذكر أيامه بذي الأثل، ولقـاءه مـع البدويات، فيقول: (ق٤٧)

تذكَّرتُ أيامـاً بـذي الأَثْـلِ بعدمـا ... تقضَّى أواني فـي الصِّبـا وأوانُـها

ليـالِيَ تثْنِينـي عواطـفُ صَبْوَتِـي ... إلـى بَدويـَّات تَثَنَّـي لِدانُـها

ولا لـــذَّةً إلا الحديـــثُ كأنَّـــه ... لآلٍ علـى جَيْـداءَ واهٍ جُمانُـها

عَفافٌ كمـــا شـاءَ الإلـهُ يسـرُّني ... وإنْ سِيءَ منـهُ بِكْرُهـا وعَوانُـها[2]

---

[1] الطنب: حبل طويل تشد به الخيمة. العوالي: الرماح.

[2] العوان: هي من النساء من كان لها زوج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالرضي لم يسلك نهج الشعراء في التغزل والتشبب بالإمـــاء والجـواري غـير العربيات على الرغم من كثرتهن[١]، أو التغزل بالغلمان، بل فضل عليهم المرأة البدويـــة، واختار المحبوبة العربية والبدوية التي تسكن الحجاز أو تقيم في نجد أو تمكث في اليمـن. ومن هنا قد يتساءل القارئ حول عشق الرضي، هل كان عاشقاً فعلاً؟ وهل أحس بطعـــم العشق، وعرف ما في الحب من حلاوة ومرارة، ولذة وألم؟ وهل كانت مشاعره متجهـــة نحو إنسانة معينة، أم أنها مشاعر تجاه العروبة والأصالة مبطنة باسم الحب والعشق؟[٢]

يبدو أن المرأة الحجازية والنجدية أو البدوية قد تكون رمزاً لإعجـــاب الشـريف بالمرأة المسلمة الحاجة والمرأة العربية الحرة، صاحبة الخلق الرفيع والنسب العريق، فـي وقت اضمحلت فيه الأخلاق، وكثرت فيه الجواري والإماء اللواتي" فقدن الحرية وأصالـة النسب "[٣]. وهو بالتالي استطاع أن يظهر من خلال هذه المرأة إيمانه العميق والشديد بالقيم العربية الأصيلة، وأن يعبر عن رفضه للأعاجم وامتعاضه من العادات والتقاليد السائدة في مجتمعه، والأخلاق المنحطة في عصره. ويظهر أن غزله لم يكن موجـــهاً إلـــى حبيبـــة بعينها[٤]، بل ربما كان غزلاً مطلقاً يبث من خلاله شوقه وحنينه إلى محبوبه الأكبر وهـــي الخلافة، ومما يؤكد ظني قوله الآتي:

وليس نسيبي أنَّ فـــي القلـــبِ لَوعَـــةً ولكَنَّنـــي أبكـــي زَمـــاني وأَنـْـدُبُ[٥]

---

[١] انظر في ذلك: محمد الدش، الشاعر الذي جاء بين المتنبي وأبي العلاء المعري، مجلة العربي، ٣٢-٣٣، عدد ٧٢، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٤.

[٢] انظر في ذلك: عزيز حاسم، الاغتراب في شعر الرضي، ١٤٣، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

[٣] إنعام رواقة، الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي، ١٣٣، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٤.

[٤] انظر في ذلك: محمد أبو عليوي، الشريف الرضي، ٤٠٧، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٤، حيث رأى أن غزل الرضي كان مثالياً، فهو لم ينظم ذلك إلا للفن خالصاً.

[٥] الديوان، ١/٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقضية النسيب والتغزل بالحجازيات والنجديات قضية طارئة في حياة الرضـــي، فهنالك ما يشغل باله ويثقله بالهموم والأحزان[١] أكثر من مجرد انشغاله بامرأة يتعشـــقها، ويستعذب حديثه عنها في كل حين.

والرضي رجل شجاع وضع لنفسه هدفاً يجب أن يحققه، وبالتالي يجب ألا تشـغله قضايا القلب والحب عنها[٢]، فيقول:

إنِّي علـــى شَـــغفي بـــالحبِّ مُعْتَـــذِرٌ من أنْ يُقالَ شـــجاعٌ فلَّـــهُ الوَصْـــبُ[٣]

ويبدو أن للرضي هدفاً يتجاوز المرأة "الأنثى"، فيقول:

وعدتَ يا دهـــرُ شـــيئاً بِـــتُّ أرقُبُـــهُ وما أَرى منـــكَ إلا وعـــدَ عُرقُـــوبِ

وحاجـــــةٍ أتقضَّاهـــــا فتمطُلنِـــــي كأنَّـــها حاجـــةٌ فـــي نفـــسِ يعقُوبِ[٤]

ومن هنا قد يتعدد تفسير رمز"المرأة" لدى الشريف الرضي، فيصبح حبه لها-بنـاء على الرأي السابق- حباً للخلافة، وحنينه إلى المرأة هو حنين إلى الخلافة. فنرى الرضي يتضور ملتاعاً إلى رضاب المرأة البخيلة التي لم تمنحه ريقها مقابل دمه الذي بذله فـــي سبيلها، فيقول: (ق٣٦)

عَجِبتُ مِـــنْ بَـــاخِلٍ عَنِّـــي بِرِيقَتِـــهِ وقد بَذَلْـــتُ لَـــهُ دونَ الأنَـــامِ دَمِـــي

---

[١] عصام عبد علي، الإحساس بالعروبة في شعر الشريف الرضي، ٣٠٢، مجلة آداب المستنصرية، ع٥، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٠.

[٢] المرجع السابق، ٣٠٢.

[٣] الديوان، ١/١٩٠، فله: غلبه. الوصب: المرض والوجع الدائم وخمول الجسم.

[٤] المصدر السابق، ١/٦١-٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيغلب على الظن أن هذه المرأة البخيلة لم تكن سوى الخلافة التي كانت بعيدة عن متناول يده، وهو الفارس الشجاع الذي كان على أهبة الاستعداد لبذل الروح والـــدم فـــي سبيل اعتلاء عرش الخلافة. ويقول فيها: (ق٥)

أُحِبّـكِ حُبّـاً لَـوْ جَزَيْـتِ ببَعضِـهِ أطـاعَكِ مِنّـي قَـــائِدٌ وجَنيـــبُ
وفي القَلْـــبِ داءٌ فـــي يَدَيْـكِ دَواؤهُ ألاَ رُبّ داءٍ لا يَـــرَاهُ طَبِيـــبُ[1]

هنا يظهر حبه للخلافة، وهو يرى أن البقاء دون زعامة مرض يسعى إلى التداوي والتخلص منه. وهذا الدواء موجود لدى المرأة(الخلافة) فبمجرد الحصول على الخلافـة، سيزول الداء من قلبه. ويأتي شاهد آخر يدلنا على أن المرأة قد ترمز إلى الخلافـــة، وأن حبه للمرأة(الخلافة) داء قديم، فيقول: (ق٣٤)

يُظَنّوني استَطرَفتُ داءً مـــن الـــهَوى وَهَيـــهاتَ داءُ الحـــبّ كـــانَ قديمـــاً

ونلمح تردد صورة الداء والدواء أكثر من مرة في حجازيات الرضي ونجدياتـــه، فهو دوماً مريض يبحث عن علاج لهذا الداء العضال(الخلافة) الذي صرح به في إحـدى حجازياته، فقال: (ق٣٥)

مَـــنْ يـــُـــداوي داءَ أحْشَـــا ئِـــك والـــــدّاءُ عُقَـــــامُ

وعلاجه قد يكون على يدي طبيب في نجد، فنسمعه يئن قائلاً: (ق٥٣)

وَمُرّوا علـــى أبْيـــاتِ حَـــيٍّ برَامَـــةٍ فَقُولوا لَديـــغٌ يَبْتَغـــي اليَـــوْمَ رَاقِيَـــا
عَدِمْـــتُ دَوَائـــي بـــالعِرَاقِ فَرُبّمَـــا وَجَدْتُمْ بنَجـــدٍ لـــي طَبيـــبًا مُداوِيَـــا

[1] القائد والجنيب: أراد الخيل التي تستخدم وتقاد، والخيل التي تترك جانباً لحين الحاجة. كنى بذلك عن انقياده المطلق للمحبوبة إن وافقت على وصاله وحازته على حبه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون الطبيب يمانيا، فيقول: (ق٤٢)

يُعَلِّـــل دائـــي بـــالعراقِ طَمَاعَـــــةً وكيـــفَ شِـــفَائي والطّبيـــبُ يَمَـــاني

فالرضي مريض، وسبب مرضه تفكيره المستمر بالخلافة، والعلاج لا يتـــأتى إلا في البادية(نجد واليمن) مركز الثورة، ونقطة انطلاقها. والطبيب الذي سيعالجه ويخلصـــه من هذا الداء- في رأيي- هو داعيته ابن ليلى الذي عقد عليه الأمال، ولكن المرض يلازم الرضي عندما يصل إلى مسامعه خبر قتل داعيته، فتموت بموته أحلامه وآماله، فيبقـــى الرضي جريح القلب، منزوف الفؤاد كلما تذكر الخلافة، فيقول في إحدى نجدياته: (ق١٢)

كَلْـــمٌ بِقَلْبِـــي أُداوِيـــه وَيَقْرِفُـــهُ طُولُ ادِّكَارِي لِمَنْ لي منـــه نســـيان

فالخلافة مزروعة في فكره، لا تغادره ليلا ولا نهارا، حتى إنه أكثر مـــن القســـم لتأكيد رغبته فيها، فإذا لم يحصل عليها، فســـتبقى أمنيـــة يحـــدث النفـــس بـــها، حيـــث يقول:(ق٤٧)

فَأُقْسِـــمُ بِـــالوقوفِ علـــى أُلالٍ ومن شَـــهِدَ الجِمـــارَ ومـــن رَماهَـــا
وأركـــانِ العَتيـــقِ وبَانِيَـــيْـــها وزَمـــزَمَ والمَقَـــامِ ومَـــنْ سَـــقاهَا
لأَنْـــتِ النَّفْـــسُ خَالِصَـــةً فـــإن لـــمْ تَكُونِيـــهَا فـــأَنْتِ إذا مُنَاهَـــا[1]

ويتمنى لو أن ثمة ما يشغله عنها، وينسيه إياها، ولكن أنى له ذلك والخلافة تعيـش في فكره وعقله وقلبه، فيقول متوجعا: (ق١٩)

[1] ألال: جبل بعرفات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا سَـلْوةٌ تُـهي الدمـوعَ فتنتَـهي ألا مَـوْردٌ يَـرْوي الغَليـلَ فُينقَعُ[1]

فالرضي لم ينل من حبه للخلافة سوى العذاب والألم، وحروق في الحشا، وإرهاق للفكر، حتى إنه تمنى في ذروة ألمه ويأسه لو أنه لم يذهب إلى البادية، ولم يلتـق البـدو الشجعان، فيقول متأوهاً متوجعاً: (ق٥١)

فَيا لَيْتَنـي لـمْ أعْـلُ نَشْـزاً إليكُـمُ حَراماً ولم أهبطْ مـن الأرضِ واديَـا
ولمْ أدرِ ما جَمْعٌ وما جَمرَتَـا مِنًـى ولمْ ألقَ في اللاّقِيـنَ حَيّـاً يَمانيَـا[2]

ويأخذ الرضي بالتفتيش عن ملجأ للهرب من آلامه وأحزانه المزدحمة في صدره، حتى يجده متمثلاً في طيف الخيال الذي يصير اليأس أملاً، والحلم حقيقة، فيقول: (ق٣٢)

ومـا طَلَـبُ البَـذْلِ مـن بـاخِلٍ بِمَيسُـورِهِ غَـيرُ داءٍ عُضَـالِ
ومـا زَالَ يَلْـوِي دُيُـونَ الـهَوى وَيُؤيِسُـنا مِـنْ قَليـلِ النّـوَالِ
إلـى أنْ قَنِعْنَـا بِـزَوْرِ المَـزَا رِ بعَـد النّـوَى وخَيَـالِ الخيـالِ

وكان الرضي مولعاً بطيف الخيال؛ ليعوض به فشله السياسي الـذي رمـز إليـه بالظمأ والعطش. وهو إن لم يحصل على الخلافة في الواقع، فإنه لا شك حاصل عليها في الحلم والخيال" وهو يدري أن الوصول إليها لا يكون إلا في دائرة الحلم".[3]

---

[1] الغليل: حرارة العطش، وتأتي أيضاً بمعنى العطشان عطشاً شديداً.

[2] نشزاً: المكان المرتفع.

[3] عبد الإله الصائغ، الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرضي يعلم أن هذه الأحلام والأمنيات ستزول بمجرد عودته إلى أرض الواقع،ولكنها-وإن كانت سراباً- تخفف من ثقل الواقع، وتروح عن النفس، فيقول في إحدى طيفياته: (ق١٠)

زِيَارةٌ زَوّرَهَا خَاطِرِي ... مَا أَقْنَعَ النَفْسَ بِزَوْرِ المنَامْ

خَدائِعٌ أُغْضِي عَلى عِلْمِهَا ... لَعلّهَا تَنْقَعُ هَذا الأُوَامْ

وطيف الخيال يقدم له الماء ليرتوي ويطفئ ظمأه، فيقول في إحدى نجدياته:(ق٧)

أمنكِ الخيالُ الطّارِقي بَعدَ هَجعَةٍ ... يُعاطي جَوَى الظّمآنِ مبتَسماً بَرْدَا

دَنَا مِنْ أَعَالي الرَّقمَتينِ وما دَنَا ... وصَدَّ وَقَدْ وَلّى الظّلامُ وما صَدّا

وما أغرب طيف هذه المحبوبة، فهو يدنو ولا يدنو، يصد ولا يصد. وهذا ما يحصل عندما يصبح الأمر معلقاً بين الحلم والحقيقة.

وإذا انتقلنا إلى رمزية المكان والبيئة العربية البدوية، فإننا سنلحظ أن الشريف قد اتخذ بابل رمزاً للعراق، بينما اتخذ الرمل رمزاً للبادية في قوله: (ق٣٠)

أشُمُّ ببَابِلَ بَوّ الصَّغَارِ ... وَلَوْ أنا بالرّمْلِ لَمْ أفْعَلِ

ولعل رحلاته المتكررة إلى الحجاز وزياراته المستمرة لنجد، وتعرفه على حياة البادية البسيطة الصادقة الخالية من مظاهر التكلف والزيف، هي التي دفعته إلى التضجر من الحضر، والتذمر من المدينة، والإشادة بالبادية والتغني بها، وفي الوقت نفسه عمقت إحساسه بالعروبة، فتجلت الروح العربية البدوية في أشعاره، فأينما نظرنا في حجازياته ونجدياته، تطالعنا البيئة العربية الأصيلة بأهلها وطبيعتها ونباتاتها وحيواناتها، فاستخدامه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للظباء والنوق يمثل بحد ذاته دلالة عميقة على حبه الشديد للبادية، إضافة إلى احتلال النباتات الصحراوية من شيح وقيصوم مساحة تذكر في قصائده، ولا سيما النجدية، فوظفها أيضاً لتعبر عن حبه للبادية العربية، فلا نعجب إذاً من خلو قصائده من الورد والنرجس والبنفسج والياسمين المنتشرة في عصره، حيث تبارى الشعراء في وصفها، ومزجها بألفاظ الغزل والنسيب.

ومن اللافت للنظر في قصائده الحضور المستمر للأماكن الحجازية والنجدية، وتشبثه بها وبساكنيها، والوقوف مراراً وتكراراً على أطلالها وديارها، ولا سيما في حجازياته[1]، حيث هام الرضي بذكر هذه الأماكن إلى درجة ذكره تسعة أماكن في خمسة أبيات[2]، فقال: (ق٤٨)

ألا غَنّيَاني بالدّيَارِ فإنّني ... أُحِبّ زَرُوداً ما أقامَ ثَرَاهَا

وبَيْنَ النَّقَا والأُنْعُمِيْنِ مَحَلّةٌ ... حبيبٌ لقلبي قَاعُها ورُبَاهَا

ونَعْمانُ يا سُقيا لنَعمانَ ما جرَتْ ... عليهِ النَّعَامَى بعدَنَا وصَبَاهَا

وللقلبِ عِنْدَ المَأزَمَينِ وجَمْعِها ... دُيُونٌ ومَقضَى خَيْفِها ومِنَاهَا

وظَبيٍ بأطوارِ الجِمَارِ إذا غَدا ... رَمَى كَبِداً مَقْرُوحَةً ورَمَاهَا

فهذه الأبيات السابقة تشعرنا بأنه كان مشدوداً لهذه الأماكن، تواقاً إلى زيارتها حيث الطمأنينة والهدوء. ويبدو لي أن هذه الأماكن الحجازية التي يستعملها الشريف ترمز في أكثرها إلى الإسلام، كما ترمز في الوقت نفسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يربط بين الشريف ومن جاء بعده، واحتذى طريقته من الشعراء، فإنهم استعملوا ذكر الأمكنة- سواء كانوا متصوفين أو غير متصوفين- في مدح الرسول صلى الله عليه

[1] انظر: محمود عبد الله الجادر، الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ١٠١.

[2] انظر: مصطفى الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزعة موجهة لنفسيات الشعراء والأدباء في البيئات العربية التي كانت تتجه إلى بعث المجد العربي، واستنقاذه من العنصريات المتغالبة"[١].

وطالما حاول الرضي بث الحمية في نفوس قومه، لكنهم لم يستجيبوا له، فلم يجد لديهم آذاناً صاغية لما يعتمل في نفسه من رغبة في الثورة والتمرد على الأوضاع المتردية في وطنه. فتألم الرضي لذلك، وبلغت به الأمور إلى حد تمنى فيه الدمار والهلاك لبغداد، وأن يرسل الله إليها الدماء بدلاً من الأمطار؛ عقاباً لأبناء بلده الذين قبلوا الذل، وخضعوا للهوان، وهاهو يدعو عليهم بقوله: (ق٤٨)

فلا سُقِيَتْ إلا الصَّوارِمَ والقَنَا ولا صَابَ إلاَّ بِالدِّمَاءِ حَيَاهَا

فالرضي عندما يدعو على وطنه، لا يعني ذلك أنه يكن له الكره والحقد ، لكنه يقول ذلك بدافع الحب والحرص عليه. فهو لا يطيب له أن يرى وطنه الذي نشأ فيه وترعرع مسرحاً للأحداث الدامية، ومعرضاً للغش والخداع والنفاق والالتواء.

من أجل ذلك، أراد إذكاء النخوة في نفوس أبناء شعبه وقومه، فمن خلالهم يستطيع الثورة، فهم وقودها، وهو متحمس لذلك، فهو القائل:

وما مذهبي إلاَّ التَّقحُّمُ بالقَنَا بينَ الضُّلوعِ وللرِّجالِ مذاهِبُ[٢]

فلن يهدأ له بال إلا عندما يرى بغداد " نقية من كل عيب، طاهرة من كل دنس، خالصة من كل تسلط أعجمي"[٣]. لكنه شعر في قرارة نفسه أنه فشل في هذه المهمة، خاصة بعد موت داعيته ابن ليلى، فدب اليأس في نفسه، وبدأ حلمه في الخلافة يبعد عن ناظريه، ويتلاشى شيئاً فشيئاً، ليدرك أنه أمام واقع لا بد من قبوله، فلجأ إلى البادية

[١] إحسان عباس، الشريف الرضي، ٢٢٦.

[٢] الديوان، ١/٨٤.

[٣] أديب تقي الدين، الشريف الرضي، ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتلاشى شيئاً فشيئاً، ليدرك أنه أمام واقع لا بد من قبوله، فلجأ إلى البادية "يستلهم الشعور بالأصالة، والعزة والأنفة، وفيها ينفس عن همومه وآلامه"[١].

ومن هنا نشأت الحجازيات التي عدها الدكتور حميد الهيتي وجهاً من وجوه الرفض والثورة على الواقع المعاش، فيقول:" إن الحجازيات وجه من الرفض، أفلا يكون التصرف البلاغي في الرمز، والتمسك بالشكل التقليدي المتين لبناء القصيدة العربية، والتهديد بمبارحة بغداد إلى الشام أو مصر، وعشق البادية بديلاً عن الحاضرة، والترفع عن قبول هدايا الحكام،وجوهاً للرفض في أدب الرجل؟ "[٢].

وما ينطبق على الحجازيات ينطبق على النجديات، فهما وجهان لعملة واحدة، ألا وهي البادية رمز العروبة والأصالة.

وأستطيع أن أقول إن الحجازيات والنجديات، كانتا المتنفس الوحيد الذي يروح بهما الرضي عن نفسه، ويخفف من الضيق والهموم المثقلات كاهله، ولا سيما أنه يعيش في بيئة كثرت فيها الدسائس والمؤامرات، وانحلت فيها القيم والأخلاق، وتكفي الإشارة إلى قوله في هذه المقطعة الحجازية التي تجمل مشاعره، وتلخص قيمة الحجازيات في قلبه[٣]: (ق١٥)

إذا ضَافني هَمٌّ أَمَلُّ طُرُوقَهُ ... ببعضِ اللَّيالي أو أُضِيقُ بهِ صَدرا

ولم أرَ لي ما يطردُ الهَمَّ مِثلَهُ ... سماعاً يُجَلّي عن ضَميرٍ ولا خَمْرا

أقولُ لندمانَيَّ كُرَّا إلى المُنَى ... وذكرِ التَّصَابي واندُبا ذلكَ العَصْرا

فقد طالَ ما أحدثْتُ عهداً بطَيْبَةٍ ... فُرُدَّا عليَّ القولَ أُحدِثْ بهِ ذِكْرَا

فما كانَ إلاَّ خِلْسَةً ثُمَّ إنَّني ... رأيتُ يَدِي ممَّا عَلِقتُ بهِ صِفْرَا

---

[١] ابتسام مرهون الصفار، المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٧٩.

[٢] حميد الهيتي، الرفض في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ١٥٥.

[٣] انظر: مصطفى الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل من أقوى العوامل التي دفعت به إلى حب البادية وعشق الحجاز، والتذمر من المدينة(العراق)، السلطة والإمرة، فكما نعلم أن الرضي كان أميراً للحج، ومسؤولاً عن الحجيج، فهو كان "يجد في الحضر إذا عاد إليه بعد الحج، ضياع هذه السلطة من يده، وتقيده بما لم يكن يتقيد به من سلطان الملوك والخلفاء في العاصمة، فهو بعد أن يكون حاكماً مطلقاً في البادية، يصبح محكوماً في الحضر".[1] ويؤكد ذلك قوله:

صاحَتْ بِذَودِي بغداد فآنَسني ... تقلّبي في ظُهورِ الخيلِ والعِيرِ
وكُلّما هَجْهَجَتْ بي عن منازِلِها ... عارضتُها بجِنانٍ غيرِ مَذعُورِ
أطغَى على قاطِنِيها غيرَ مُكترثٍ ... وأفعلُ الفعلَ فيها غيرَ مأمُورِ
خطْبٌ يهدّدُني بالبعدِ عن وطني ... وما خُلقْتُ لغيرِ السّرجِ والكُورِ[2]

فالبادية والحجاز استطاعت أن تقدم له ما لم تستطع المدينة(العراق) أن تقدمه إليه. فهو على الأقل عاش تجربة الحاكم المطلق في رحلاته أثناء موسم الحج، وإن كانت هذه التجربة قصيرة الأمد. ومع هذا، يظل الرضي يحلم بالخلافة التي شغلت باله، وعششت في عقله وكيانه، فأصبحت هدفه الوحيد الذي طالما منى النفس بالحصول عليها، فنسمعه يقول:

وعن قُربٍ سيشغُلُني زَمَاني ... بِرَعْيِ النّاسِ عن رَعْيِ القُرُومِ[3]

---

[1] أديب تقي الدين، الشريف الرضي، ٨١.

[2] الديوان، ١/ ٤٨٧. الذود: قطعة من الإبل. هجهجت: هدرت. الجنان: القلب. الكور: الرحل.

[3] المصدر السابق، ٢/٤١١. القرم: السيد الشجاع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وديوانه مليء بالأبيات الصريحة الواضحة في رغبته الشديدة في تسلم مقاليد الحكم، حتى لو كان ثمن هذه الخلافة حياته وروحه، فيقول:

سأمضي للتّي لا عيبَ فيها ... وإن لمْ أستفدْ إلاَّ عَنَاءَ

وأطلُبُ غايةً إن طوَّحَتْ بي ... أصابَتْ بي الحِمامَ أو العَلاء[1]

وهو يصر ويلح على أن يصبح خليفة، بصرف النظر عن العقبات والمصاعب، فيقول:

سأخطُبُها بحدّ السَّيفِ فِعلاً ... إذا لمْ يُغْنِ قولٌ أو خِطَابُ

وآخُذُها وإن رُغِمَتْ أُنُوفٌ ... مغالَبَةً وإن ذَلَّت رِقَابُ[2]

ورغبته في الثورة والخلافة تفاقمت وتزايدت عندما رأى ضعف الخلفاء العباسيين، وأنهم مجرد ألعوبة بيد السلاطين البويهيين، إضافة إلى شعوره بالظلم" وقلة الشأن في مجتمع ارتفع فيه من لا نسب يعليه، ولا مواهب ترفعه، وهو الموهوب الشاعر، والفقيه العالم، والعربي العلوي، الذي يسمو بنفسه إلى الإمام (علي) فيتضخم في نفسه الشعور بالعزة، وبعلو المنزلة"[3].

ولكن الرضي لم يستمر في الإفصاح عن رغبته في الخلافة بالدرجة نفسها من الصراحة، لذلك لجأ إلى الإيماء والمواربة والتلميح، فلم يجد إلا الرموز يحملها الكثير من الدلالات كما لاحظنا سابقاً.

---

[1] الديوان، ١٩/١.

[2] المصدر السابق، ١٢٧/١.

[3] محمد شلش، من صور البطولة والحماسة في شعر الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسيبقى الرمز في حجازيات الشريف الرضي معرضا لاختلاف وجهات النظـــر على صعيد المرأة والمكان والبيئة العربية البدوية التي قد ترمز في مجموعها إلى شـــيء أسمى وأرفع، لعل منه حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، وسلالته التي ينتمي إليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

الحجازيّات والنجديّات بعد الشّريف الرّضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاعت ظاهرة التغني بالديار الحجازية والنجدية في الشعر العربي بعد الشـــريف الرضي، وبخاصة عند تلميذه مهيار الديلمي[١] ومن بعده من الشعراء الذين كانوا في حاجة إلى التعبير عن مشاعر مبهمة دون أن يكون لديهم كل ما كان لدى الرضي من أســـباب اجتماعية ودينية، لكن كان تعلقهم بهذه الطريقة محض اتباع لتقليد شعري أحبوه ووجـدوه مركبا سهلا، لأنه يعفيهم من التساؤل حول مدى عمق تجربتهم الواقعية.

ومن الطبيعي أن يكون مهيار الديلمي -الذي صحب الشريف طويلا، فكـان يـده اليمنى، وظله الذي يصحبه -أشد الناس إعجابا وتأثرا بهذه الظاهرة. ففي ديوان مـــهيار بمجلداته الأربعة، نجد الشبه كبيرا بينه وبين أستاذه الشريف الرضي، من حيـث التغنـي بنجد، والديار الحجازية، والتغزل بالحاجات في الخيف أومنى أوجمع أو في أماكن أخرى في عفة واحتشام، وفيه شوق إلى البادية وأهلها، وحنين إلى الشباب والماضي، وشـكوى من الزمان، وتذمر من الشيب، إضافة إلى ولعه مثل أستاذه بطيف الخيال الـذي" يعلـل المشتاق المغرم، ويمسك رمق المعنى المسقم"[٢].

ومما يلاحظ على حجازيات مهيار ونجدياته مبالغاته وإطالاته في القصائد، فـهو بعامة ذو نفس طويل، ونتاج ضخم. وعندما يمدح أو يهنئ ، يفتتح معظم قصائده بالنسيب المشتمل على مواضع حجازية ونجدية، ويطلق العنان لنفسه، حتى إنك تستطيع أن تجعـل أبيات النسيب الممزوجة بالحنين قصيدة قائمة بنفسها[٣]. ولنستمع إليه في هذه المقطوعـة المحملة بالحنين والشوق، حيث يقول:

بطرفك والمسـحورُ يقسـمُ بالسِّـحْرِ ... أعمداً رماني أم أصـاب ولا يـدري
تعرَّضَ بي في القانصين مسدِّدَ الـ ... إشارة مدلول السِّـهام علـى النَّحـرِ

---

[١] وردت ترجمته في الفصل الأول ص٢٧.

[٢] الشريف المرتضى، طيف الخيال، ٥.

[٣] انظر: علي الفلال، مهيار الديلمي، ١٤٠، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٤٨. وانظر: ديوان مهيار، ٢/ ٩٥-٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رمى اللحظةَ الأُولى فقلتُ مجرِّبٌ ... وكرَّرها أخرى فأحسستُ بالشَّرِ
فهل ظنَّ ما قد حرَّم الله من دمي ... مباحاً له أم نام قومٌ على الوِترِ
بنجدٍ ونجدٌ دارُ جودٍ وذمّةٍ ... مطالٌ بلا عُسرٍ ومطلٌ بلا عُذْرِ
خليليَّ هل من وقفةٍ والتفاتةٍ ... إلى القُبّةِ السّوداء من جانب الحجرِ
وهل مَنْ أرانا الحجَّ بالخَيفِ عائدٌ ... إلى مثلها أوعدَّها حِجَّةَ العمرِ
فللّه ما أوفى الثلاثَ على منىً ... لأهل الهوى لو لم تحن ليلةُ النَّفْرِ
لقد كنتُ لا أوتي من الصبر قبلها ... فهل تعلمان اليوم أين مضى صبري
وكنت ألوم العاشقين ولا أرى ... مزيّة ما بين الوصال إلى الهجرِ
فأعدى إليَّ الحبَّ صحبة أهله ... ولم يدر قلبي أنَّ داء الهوى يَسري
أيشرد لبّي يا غزالة حاجرٍ ... وأنتِ بذات البان مجموعة الأمرِ[1]

ولا نعدم أن نجد إلى جانب هذا النفس الطويل مقطعات صغيرة تضم مواضع حجازية، نظمها مهيار محاكيا في ذلك أستاذه الرضي، ومن ذلك قوله:

مَنْ بسَلْعٍ مُطْلِعٌ لي ... قمراً طال مَغيبُهْ؟
وأصيلا بالحِمَى نُغِّـ ... ـص بالعاذل طِيبُهْ
كلُّ شيء حَسَنٍ حِا ... كِ فالعينُ نصيبُهْ
عنَّفوا القلب على قا ... تله وهو حبيبُهْ
كلُّ جُرْمٍ لِك إلّا الـ ... ـغَدْرَ فالقلبُ وُهوبُهْ
وأقلُّ النّاس ذنباً ... قادرٌ عدَّت ذنوبُهْ[2]

---

[1] ديوان مهيار، ٢/٧٥-٧٦. الوتر: الثأر.

[2] المصدر نفسه، ١/٤٠. نغص: كدر. وهوبه: مبالغة واهب أي المعطي. وانظر: ١/ ٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقتصر مهيار على التغني بنجد، والأماكن الحجازية كالخيف وجمع ومنى والمأزمين وغيرها، بل ذكر أماكن جديدة لم يأت الرضي على ذكرها، منها " حومل" و"خبت" و" أشي" و" ثهمد" التي يقول فيها:

تظنُّ ليالينا عُدًّا ... على العهد من برقَتَي ثَهْمدا
وهل خبر الطيفِ من بعدهم ... إذا طاب يصدُقُك المَوعِدا[1]

ولعل هيام مهيار بهذه الأماكن لا يمثل له شيئاً سوى أنه تأثر ومحاكاة لأستاذه الرضي، ولا سيما إذا عرفنا أن مهياراً لم يغادر العراق، ولم تطأ قدماه الأراضي الحجازية، ولم يتنشق هواء نجد الممزوج برائحة الشيح والقيصوم والخزامى. وقد أشار عصام علي إلى ذلك بقوله:" ومهيار كما يبدو لنا في ديوانه أنه لم يغادر بغداد"[2]. وأيد الدكتور كامل الشيبي ذلك بقوله:" ولم يعرف الحجاز ولا نجداً ولا تهامة ولا غيرها"[3]. ومع ذلك كان يحن إلى نجد والحجاز، ويشتاق لها كلما هم بمغادرتها أو أومض برق أو هبت رياح الصبا أو زاره طيف الخيال.

وفيما يبدو في تعليل هذه الظاهرة، أن مهياراً الديلمي كان يرى الرضي قدوة له في هذه الحياة، فعشرته الطويلة له وإعجابه الشديد به، جعلاه يحذو حذو أستاذه في كل شيء[4]، حتى في نزعته البدوية. فمهيار لم يكن عربياً بل أعجمياً، ويقال إنه أسلم على يد الرضي[5]، وأقام معه مدة طويلة، فتشرب منه هذه الروح البدوية التي ظهرت بوضوح في

---

[1] ديوان مهيار، ١/٢٦٣.

[2] عصام علي، مهيار الديلمي، ٦٠، سلسلة الكتب الحديثة"٧٨"، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٦. ويقول في موضع آخر:" أما مهيار فلم يعرف عنه أنه ترك بغداد في سفرة طويلة، أو قطع مفازة، أو تطلع إلى نجد والحجاز، وعرف العقيق والمنحنى ورامة وسويقة". ٢١٦.

[3] كامل الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٤٦.

[4] انظر: علي الفلال، مهيار الديلمي، ١٣٩.

[5] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٣٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعره، حتى إنه فاق الرضي في ذلك، فهام بوصف الإبل والبرق، وحن إلى زرود وسلع، وعشق الروائح المنبعثة من نجد، فهام بالشيح والخزامى والقيصوم مثل أستاذه، فكان أقل التفاتاً من غيره إلى مظاهر الحضارة[١].

ولقد تأثر مهيار بأستاذه حتى أضحى قلبه منفصلاً عن جسده، فقلبه مسافر إلى الحجاز ونجد، وجسده مقيم في بغداد، وقد عبر عن ذلك في أكثر من موضع، فيقول:

وبجرعاءِ الحِمَى قلبي فعُجْ ... بالحِمَى فاقرأ على قلبي السّلاما
وترجّلْ فتحدّثْ عجَباً ... أنّ قلباً سار عن جِسْمٍ أقاما[٢]

ويشارك مهيار أستاذه في اغترابه وشعوره بالوحدة وهو مقيم في بلده العراق، ولا يزول هذا الشعور المرير إلا عندما يجد نفسه في أحضان تلك الديار، حيث يقول:

ولقد أَحِنُّ إلى زَرودَ وطينتي ... من غيرِ ما فُطِرتْ عليه زَرودُ
ويشوقُني عَجَفُ الحجازِ وقد ضَفا ... ريفُ العراقِ وظلّهُ الممدودُ[٣]

وحبه لنجد لا يقل عن حبه للحجاز، فهو دائم الحنين إليه، وقلبه متعلق به[٤]، حيث يقول:

بالغورِ دارٌ وبنجدٍ هوىً ... يا لَهْفَ مَنْ غارَ لِمَنْ أَنْجدا[٥]

---

[١] عصام علي، مهيار الديلمي، ١٩٣.

[٢] ديوان مهيار، ٣/٣٢٨. الجرعاء: رملة مستوية لا ينبت فيها شيء. وانظر: ٤/١٦٩.

[٣] المصدر السابق، ١/ ٣٢٧. العجف: ذهاب السمن، وهو هنا كناية عن الجدب. ضفا: فاض. الريف: ما أخصب من الأرض وكثر زرعه.

[٤] انظر: المصدر نفسه، ٢/٢٣٣.

[٥] المصدر نفسه، ١/٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ أن ناقته أيضاً تشاركه في هذا الشعور، حيث تفضل أن يكون غذاؤها من أراك حاجر وبشامها على العلف البابلي المتشكل من خليط الرطب، فيقول:

يعزُّ عليها نومُها تحت كُورها ... بما فات من أيامها في مَسامِها

وأن تُعلَفَ الرَّطْبَ الخليطَ ببابلٍ ... مكانَ أراكِ حاجرٍ وبَشَامِها[1]

والفرق بين التلميذ وأستاذه، أن الرضي قد عاش واقع هذا الانفصام والانشطار في حبه الموزع بين بابل وبين نجد والحجاز، وعانى من هذه الحالة المضطربة على أرض الواقع، أما مهيار فتجربته لم تتجاوز حدود التقليد، وإن نجح فنياً في هذه المقابلة.

ومع ذلك فإن أشواق مهيار وحنينه إلى تلك الديار بقيت نبع ماء لا ينضب، عبر عنه بأساليب شتى، كأن يرسل أشواقه الحارة وتحياته لأحبته في نجد والحجاز مع الركب المسافر والسؤال عنهم سؤال العاشق الولهان الحيران ، فيقول مخاطباً صاحبه:

احمل سلامي إلى أبانَ ... فاحطُطْهُ عنّي بالبانتينِ

وحيِّ واسألهما حَفِيّاً ... عن ظبيةٍ أمّ جؤذَريّنِ

تنسب قحطانَ مِنْ أبيها ... وأمها في الذُّؤابتينِ[2]

وأحياناً يناجي نفسه، ويتمنى تخيلاً عودة أيام جمع ومنى، فيقول:

يا هلْ للياتٍ بجمعٍ عودةٌ ... أم هل إلى وادي مِنىً من نظرةٍ

والحاصبات وكلّ موقع جمرةٍ ... ينبُذْنَها في القلبِ مَوقِدُ جمرةٍ

---

[1] ديوان مهيار، ٣/٣٠٥. الكور: الرحل. الرطب: ضد اليابس، وقيل الناعم من الغصن. البشام: شجر عطر يستاك بعيدانه.

[2] المصدر نفسه، ٤/١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــن المحـــرَّم صيدُهـــن خليعـــةً طـــابت لـــها تلـــك الدِّمـــاء وحَلَّتِ[1]

ومن اللافت للنظر أن مهياراً في حجازياته ونجدياته كان قليل الابتكـــار، كثـــير الاقتباس والتقليد حيث كرر كثيراً من المعاني والتشبيهات والصور التي جاء على ذكرهـا الشريف الرضي بشكل خاص- وإن كان لها جذور في الشعر العربـــي القديـم- لكنـه وضعها في قالب جديد[2].

ومن الشعراء الذين تأثروا بالشريف الرضي وطريقته الأبيـوردي[3]، وهـو مـن شعراء القرن الخامس الهجري الذين راقتهم طريقة الشريف في الحجازيات والنجديـات، فأطلق على القسم الثاني من ديوانه "النجديات". ومن يتأملها يجد أنـــها لا تختلـف عـن حجازيات الشريف ونجدياته، حيث تغنى الأبيوردي بالأماكن الحجازية والنجدية، وأكـثر من ترداد نجد، فهام بها، وبساكنيها وظبائها الرشـيقة ونباتاتـها الصحراويـة العطـرة. ولنستمع إليه يقول متلهفاً لنجد وعرار نجد، ومن ضمه نجد:

متـــى طرقَتْنـــي نفحـــةٌ غضويـــةٌ يفـوح بَرَيَّاهـا العَـرارُ أو الرَّنـــدُ

أزالتْ فؤاد الصـــبِّ عـن مسـتقرِّه بوَجْدٍ كما يفـتَرُّ عـن نـاره الزَّنـدُ

---

[1] ديوان مهيار، ١/١٥٤.

[2] انظر المصدر السابق، ١/٧٦، ٢/٢٣٣.

[3] أبو المظفر محمد بن أحمد أبي العباس بن محمد، يرتفع بنسبه إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية. كان من الأدباء المشـاهير، راويـة نسـابة شاعراً ظريفاً. قسم ديوان شعره إلى أقسام، منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات، وله تصانيف كثيرة منها:"المجتبى من المجتـبى" و "المختلف والموتلف". كانت وفاته يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة كما جاء في الوفيات، إلا أن اكـثر المصادر أجمعت على أن وفاته كانت سنة سبع وخمسمائة وهو الأرجح. انظر ترجمته في: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهـب، ٤/ ١٥٣، ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/١٢٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٤٤٤. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/ ٩١. ابن كثير، البداية والنهايـة، ١٢/ ١٧٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥/ ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا ما الغمـــام الجَـوْد حـلّ نِطاقَـهُ فخُصَّ به نَجْدٌ ومَـنْ ضمّـه نجـدُ[١]

ويبلغ به حبه لنجد وساكنيها أن فضلها على بغداد مقر إقامته الحقيقية، تماماً كمـا فعل الشريف، فيقول:

فـهل سـبيلٌ إلـى نجـدٍ وسـاكنِهِ يهزّ مَنْ أَلِـفَ المِصْرَيْـنِ للظّعَـنِ
ليس العراقُ له بعـد الحمـى وطنـاً يَميسُ عافِيهِ بين الحَـوْضِ والعَطَنِ[٢]

ولم تخل نجديات الأبيوردي من بعض المقطعات الحجازية التي تذكرنا بالشـريف الرضي، كقوله:

يـا خليلـيَّ قفـا تحـ ـت ظـلال السَّـمُراتِ
وأَعـيرانِيَ طَرْفـاً شَـرِقاً بـالعَبَراتِ
فمِـنَ الخَيْـفِ بَـدَتْ ظَمْـ ـياءُ ترمـي الجمَـراتِ
فـي عـذارَى بجلابيـ ـبِ الدُّجَـى معتَجِـراتِ
ثمـلاتِ الخَطْـوِ يَسْحبـ ـنَ ذيـولَ الحَـبراتِ
فـتركْنَ القلـبَ يشـكو مـا جَنَتْـه نَظَراتـي[٣]

---

[١] ديوان الأبيوردي، ٢/٢٣١، تحقيق: عمر الأسعد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧. نفحة غضوية: نسبة إلى الغضا، وهو شـجر صلب يبقى جمره زمناً طويلاً لا ينطفئ. الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به النار. الجود: المطر الجيد، جعل الغمام نفسه مطراً للمبالغة.

[٢] المصدر السابق، ٢/٢٣٦. المصرين: الكوفة والبصرة. الظعن: الارتحال. يميس: يميل ويتبختر. العافي: كل طالب فضل أو رزق. الحـوض: مجتمع الماء. العطن: موضع الإناخة.

[٣] المصدر نفسه، ٢/١٨٧. السمرات:ضرب من الشجر. معتجرات: اعتجرت المرأة، اختمرت بالمعجر وهو ما يشد على الرأس. الحـبرات: البرد اليماني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله:

شجاني بأعْلام المحصَّبِ مِنْ منىً ... خفيُّ حنينٍ رجّعتهُ الأباعرُ

وقد رفَعَ الشُّعثُ الملبّون أيْدياً ... بحاجاتهمْ واللهُ معطٍ وغافرُ

فيارَبِّ إنّ المالكيّة حاجتي ... وأنتَ على أن تجمعَ الشّمْلَ قادرُ

ولم أرها إلّا بنَعْمانَ مرّةً ... وقد عطّرتْ منها ثراه الضّفائرُ

فلا الحبُّ يُجْديني ولا الشوقُ يَنقضي ... ولا دارُها تدنو ولا القلبُ صابرُ[1]

ويبدو أن هذه الأماكن الحجازية والنجدية التي وردت في " النجديات" لا ترتبط بوجدان الشاعر ارتباطاً حقيقياً[2]. ولعله لم يمر بهذه الأماكن، وإنما كان محاكياً لغيره من الشعراء القدماء بشكل عام، والشريف الرضي بشكل خاص، بل إنه صرح بذلك تصريحاً حين قال في مقدمة نجدياته: " ثم إن صاحبي أباحنش هذيماً العليمي من كلب بن وبرة، وأباالمغوار سعداً المضري من كنانة بن خزيمة، كانا يرتاحان للنسيب الرقيق، وينظمهما وطالبي اللهو سلك الطريق، ويختاران من القريض ما رعفت به خياشيم نجد....فسألاني أن أنظم في ذلك ما أنتهج به من هذه المسالك....فلم يرتدعا عن سؤالهما، ولم أجد بداً من تحقيق آمالهما. وهذه ألف بيت في النسيب، وسمناها بالنجديات، وهما أول من نشرها من الرواة "[3].

فالأبيوردي استجاب لطلب صديقيه، فنظم هذه النجديات. وسواء مر الأبيوردي بنجد أو لا[4]، فإنه كان محاكياً للرضي في حنينه لنجد، وعشقه للنباتات الصحراوية

---

[1] ديوان الأبيوردي، ٢/٢٨٤. الشعث: أصحاب الشعر المتلبد المغبر.

[2] انظر في ذلك: عبد اللطيف الحديدي، قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي، ٣٦-٣٧، ط١، ١٩٩٧.

[3] ديوان الأبيوردي، ٢/١٧٠-١٧١.

[4] انظر في هذه القضية: محمد الربيع، نجديات الأبيوردي، ٢١-٢٥، المكتبة السعودية "سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون "، ١٩٨٣، حيث أورد عدة أدلة رجحت أن الأبيوردي" قد نظم النجديات لبيان مقدرته الشعرية لا للتعبير عن حب حقيقي، وأنه قد أقام في نجد زمنا". ولا بأس من استعراض بعض هذه الأدلة بشكل سريع وموجز-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظبائها، وشوقه للأماكن المقدسة، حتى إن الحاجات الملبيات لم يسلمن من غزله، فـراح يغازلهن ويحاورهن كما كان يفعل عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي، إلا أن غزلـه مغلف بالعفة والوقار، فيقول:

ثنتْ طرفَها عنّي نَـوارُ وأعرضَـتْ ... وللرَّكـبِ بيـن المَـأْزَمَيْنِ ضَجيـجُ
ومـا ذاكَ إلاَّ مِـنْ عِتـابٍ نبذتُـهُ ... إليها علـى ذُعـرٍ ونحـنُ حَجيـجُ
وقُلتُ لـها كَـمْ تـهجرينَ وعيشُـنا ... لـهُ زهـرٌ يُصبـي القلـوبَ بَـهيجُ
فقالت مَعِي إن زرتُ ما يُوقظُ العِـدا ... وهُمْ كالأُسودِ الغُلْـبِ حيـنَ تَـهيجُ
فَلِلْحَلْـي لا عَـزَّ الدَّنـانيرُ رنَّـةٌ ... وللمِسْـكِ لا عـاشَ الظِّبـاءُ أَريجُ[1]

ولقد أتى الأبيوردي على صورة خالية من الابتكار، اقتبسها من الشريف الرضي، حيث يقول في إحدى نجدياته:

ومـا فَتْخَـاءُ تنفُـضُ كُـلَّ أرضٍ ... بعيـنٍ إنْ رنَـتْ بلغَـتْ مَداهـا
جريمَـةُ نـاهضٍ يشـكو طـواهُ ... إليـها وهـي شـاكيةٌ طَواهـا
فطـارت والفـؤادُ لـهُ التفـاتٌ ... إليـهِ وقـد عَنَـاهُ مـا عَناهـا
وعـادَتْ تبتغيـهِ ولـم تجـدهُ ... وكـادَ يُذيـبُ مُهجتَـها جَواهـا
وبـاتَتْ وَهْـي تنشُـدُهُ بعيـنٍ ... مؤرَّقَـةٍ يُصارِمُـها كَراهـا

- مقدمة النجديات تظهر بوضوح سبب نظمها.
- يظهر في خاتمة المقدمة أن الأبيوردي قد نظم النجديات وفاء بوعد قطعه على نفسه لصديقيه.
- الحضور المتكرر لصديقيه في كثير من المقاطع النجدية، مما يدل على أنها خيال لا حقيقة.
- لم تكشف المصادر القديمة عن أي معلومات تفيد بزيارته لنجد، وإقامته فيها. أما ممدوح حقي فيرى أن الأبيـوردي أقـام بنجـد، وارتبط بعلاقات طيبة مع رجالها، فيقول:" واتصل في نجد بالقبائل، وارتبطت صلاته بكثير من رجالها، وعاشرهم في حلهم وترحالهم بضع سنوات أكسبته عمقاً بلغة العرب....وأثرت فيه تأثيراً بالغاً حتى صبغت شعره بالصبغة البدوية طوال حياته"، انظـر: ممـدوح حقي، الأبيوردي، ٧٢-٧٣، دار اليقظة العربية، دمشق.

[1] ديوان الأبيوردي، ٢/٢٢٣-٢٢٤. نبذته: ألقيته. الحلي: ما يزين به من مصوغ المعدنيات، أو الحجارة الكريمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأبرحَ مـــن أخيـكَ أسـىً ووجْـدا إذا الحَسـناءُ شَـطَّ بـها نَواهـــا[1]

فالأبيوردي اقتبس صورة " تلفت القلب " التي ابتكرها الرضي، ووظفها في شـعره فـي صورة جميلة. فالعقاب الأم طارت وابتعدت لتبحث عن طعام يسد جوع فرخها، ولشـدة تعلق الأم بطفلها الصغير وخوفها عليه، التفت قلبها التفاتاً يشوبه الخوف والقلق. وقد وفق الأبيوردي في إيصال شدة المعاناة والقلق اللذين انتابا الأم من خلال صورة القلب الوجـل المتلفت دون استقرار والمفتقد للطمأنينة. ويكرر الأبيوردي هذه الصورة " تلفت القلـب " مرة ثانية في قوله:

تلفَّتَ القلبُ نحـو الرَّكـبِ حيـنَ ثَنَـى عن التَّأمُّلِ طرْفِـي دَمعِـيَ الـهَتِنُ[2]

فالدموع هي التي منعت الأبيوردي من متابعة التحديق، فجاء دور القلب ليكمل عنه هـذه المهمة. أما الرضي فقد ظل يراقب الركب حتى اختفى تماماً عن الأنظار، عندهـا جـاء دور القلب بحيث لم تستطع المسافات أن تحجب عنه رؤية الأحباب.

وبقيت الحجازيات مستقرة بعد مهيار والأبيوردي[3]، ولم يطرأ عليها تغيير، حتـى إذا انتقلنا إلى نهايات الربع الأخير من القرن السادس للهجرة، وجدنا أن الحجازيات قـد انتقلت من عالم العذرية إلى عالم التصوف الواسع على يد ابن الفارض الملقب بسـلطان العاشقين[4] الذي رحل من مصر متوجهاً إلى الحجاز ليعيش فيها خمسة عشر عاماً، سائحاً بين أوديتها، عابداً فيها، متأملاً متفكراً في هذا الكون الجميل، وخالقه الأجمل.

---

[1] ديوان الأبيوردي، ٢/٢٠١-٢٠٢. فتخاء: تأنيث أفتخ وهو العقاب. ناهض: الفرخ الذي يقرب للطيران. يصارمها: يهجرها ويقاطعها. كراها: نومها.

[2] المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٩. الهتن: المطر المتتابع، وأراد هنا دموعه المنصبة على خديه.

[3] انظر: كامل الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٤٨.

[4] أبو حفص وأبو القاسم عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري. ولد على الأرجح سنة ست وسبعين وخمسمائة كمـا يقـول معاصره ابن خلكان لمعاصرته له. وقد نشأ تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة، وعبادة وديانة، فلما شب وترعرع اشتغل بفقه الشـافعية. ثم =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك في ظل الأجواء الإيمانية والأماكن المقدسة، نظم ابـــن الفـــارض أغلـــب قصائده الحجازية مقتفياً فيها أثر الرضي بوجه خاص، فرصع قصائده بذكر العديد مـــن الأماكن الحجازية، وعطرها بالروائح والنفحات التي تهب من صوب نجد.

وقد كان ابن الفارض محاكياً للرضي في حنينه وشوقه لهذه الديار، على الرغم من مجاورته لها. ويظل هذا الحنين مرافقاً له حتى عند عودته إلى مصر، لتوديع الشيخ البقال الذي استدعاه من خلال التواصل الروحاني، ليحضر وفاته ويجهزه ويصلي عليه ويدفنـــه في البقعة التي أشار بها شيخه. ولا ضير من إيراد حديث ابن الفارض عن إقامتـــه فـــي الحجاز، وبيان السبب الذي جعله يعود إلى مصر، حيث تقول الروايـــة:" شـــرعت فـــي السياحة في أودية مكة وجبالها، وكنت أستأنس فيها بالوحوش ليلاً ونهاراً، وأقمت بـــواد كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد، وكنت آتي منه كل يوم وليلة وأصلي فـــي الحرم الشريف الصلوات الخمس....ثم بعد خمس عشرة ســـنة، ســـمعت الشـــيخ البقـــال يناديني: يا عمر، تعال إلى القاهرة احضر وفاتي وصل علي، فأتيته مســـرعاً...فســـلمت عليه وسلم علي، وناولني دنانير ذهب، وقال: جهزني بهذه وافعل كذا واعط حملة نعشـــي إلى القرافة كل واحد منهم ديناراً، واطرحني على هذه البقعة، وأشار بيده إليـــها، وهـــي بالقرافة تحت الجبل المعروف بالعارض بالقرب من مراكع موسى بسفح الجبل المقطـــم عند مجرى السيل تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض"[1].

-حبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد ثم ذهب إلى مكة ثم عاد إلى القاهرة حيث توفي فيها يوم الثلاثاء الثاني من جمـــادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة عن ست وخمسين سنة إلا شهراً، ودفن بالمقطم. انظر ترجمته في: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهـــب، ٥/ ٢٥٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٤٥٤. تاريخ أبي الفداء، ٢/ ٢٥٨. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيـــات المشـــاهير والأعـــلام، ١٠٩، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨. العسقلاني، لسان الميزان، ٥/ ٢١٠. ابن كثير، البدايـــة والنهاية، ١٣/ ١٤٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٢٥٥.

[1] شرح ديوان ابن الفارض، ديباجة الديوان، ١/٥، ط١، جمعه: رشيد بن غالب من شرحي حسن البوريني وعبد الغني النابلسي، المطبعـــة الأزهرية المصرية، ١٣١٩هـــ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد مكث ابن الفارض أربعة أعوام في مصر حتى قضى نحبه فيها سنة ٦٣٢هـ. ولا شك أنه كان في هذه المدة يشتاق بين الحين والآخر إلى الحجاز، ويحن إلى جبالها وأوديتها وتلعاتها، ويهفو إلى صبا نجد وروائح الشيح والخزامى المحملة بسلامات المحبين، فيقول:

هل نارُ ليلى بدتْ ليلاً بذي سَلَمِ ... أم بارقٌ لاحَ في الزَّوراءِ فالعَلَمِ
أرْواحَ نَعْمَانَ هلاَّ نسمةٌ سَحَراً ... وماءَ وَجْرَةَ هلاَّ نهلةٌ بفَمِ
يا سائقَ الظَّعنِ يطوي البيدَ مُعتَسِفاً ... طَيَّ السِّجلِّ بذاتِ الشِّيحِ من إضَمِ
عُجْ بالحِمَى يا رعاكَ اللهُ مُعتَمِداً ... خميلةَ الضَّالِ ذاتَ الرَّنْدِ والخُزُمِ
وقفْ بسَلْعٍ وسَلْ بالجِزعِ هل مُطِرَتْ ... بالرَّقمتَينِ أُثَيْلاتٌ بمُنسَجِمِ
ناشَدتُكَ اللهُ إنْ جُزتَ العقيقَ ضُحىً ... فاقْرِ السَّلامَ عليهِمْ غيرَ مُحتشِمِ
وقُلْ تركتُ صريعاً في ديارِكُمُ ... حَيَّاً كميْتٍ يُعِيرُ السُّقمَ للسَّقَمِ
فَمِنْ فُؤادي لهيبٌ نابَ عن قَبَسٍ ... ومِنْ جُفُونيَ دمعٌ فاضَ كالدِّيمِ
وهذهِ سنَّةُ العشَّاقِ ما عَلِقُوا ... بشَادِنٍ فَخَلا عُضْوٌ من الأَلَمِ[1]

إن القارئ لهذه الأبيات سيلاحظ أن ابن الفارض في هذه القطعة كأنه يترسم خطوات الشريف الرضي، وألفاظه التي ألفناها في حجازياته ونجدياته، فكأننا نحس بنفس الأخير يجول ويتردد في جنبات هذه الأبيات. وهذا الأمر يعطينا مؤشراً واضحاً على أن حجازيات الرضي ونجدياته قد تكون ينبوعاً من الينابيع التي نهل منها سلطان

[1] ديوان ابن الفارض، ٧٢، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥. إضم: موضع. الخميلة: الحديقة. الضال: شجر. الرند والخزم: نوع من النبات طيب الرائحة. سلع والرقمتين: موضعان. أثيلات: تصغير أثل، وهو شجر صلب الخشب جيده، يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية. القبس: شعلة نار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العاشقين.[1] فأكثر من ذكر الأماكن الحجازية والنسمات النجدية، والنباتات الصحروية من شيح وبان ورند، والبرق الذي يذكره بالأحباب، فيوقظ الحنين في نفسه.

وقد لجأ ابن الفارض إلى استعمال الحنين المعاكس لنجد والحجاز، وهو أن يطلب إلى الزائرين أن يحملوا أشواقه، ويبلغوا سلامه كما ظهر ذلك في الأبيات السابقة.

ونلمح في بعض قصائد ابن الفارض الحجازية أنه يلجأ إلى تصوير الرحلة ومراحلها ومنازلها للتعبير عن حنينه وشوقه لتلك الديار، فيقول مخاطباً حادي العيس، مظهراً ما أصابها من الجوع والعطش والهزال:

خَفِّفِ السَّيرَ وانْثُدْ يا حَادِي ... إنَّما أنتَ سائِقٌ بفُؤَادِي
ما تَرَى العِيسَ بين سَوْقٍ وشَوْقٍ ... لِرَبيعِ الرُّبُوعِ غَرثَى صَوادِي
لم تُبْقِ لها المَهامِهُ جِسْماً ... غير جلدٍ على عِظامٍ بَوادِي
وتحَفَّتْ أخفافُها فهيَ تمشِي ... مِنْ وَجَاها في مِثلِ جَمْرِ الرَّمَادِ
وبَرَاهَا الونى فحلَّ بُرَاها ... خَلِّها ترتَوي ثِمَادَ الوِهَادِ
شَفَّها الوَجْدُ إن عَدِمْتَ رِوَاها ... فاسْقِها الوَخْدَ مِنْ جِفَارِ المَهَادِ[2]

فهو يصور الناقة المتعبة العطشة كأنها تشاركه في الوجد الذي أنحلها مثلما أنحله، ولم يكتف بذلك، بل كان يوجه الخطاب لها في بعض الأحيان، فيقول:

خَفِّفِي الوَطأَ فَفِي الخَيْفِ سَلِمْـ ... ـتِ على غَيْرِ فُؤادٍ لم تَطَيْ[3]

---

[1] يوسف اليوسف، ابن الفارض شاعر الحب الإلهي، ٦٨، ط١، دار الينابيع، ١٩٩٤.

[2] ديوان ابن الفارض، ٧٤. غرثى صوادي: الجياع العطاش. الوجى: مشي الناقة التي تشتكي من باطن خفها. البرى: حلقة تجعل في أنف البعير. ثماد: بقية الماء. الوهاد: الأراضي المنخفضة. شفها: أنحلها. الوخد: ضرب من السير سريع. الجفار: الآبار.

[3] المصدر السابق، ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شك أن القارئ سيلحظ أن حجازيات ابن الفارض لم تخرج عن القصائد التي اعتمدها الشريف الرضي الممزوجة بالحنين والشوق للديار الحجازية ونجد، التي لا تخلو من الغزل العفيف. لكن المتمعن في هذه القصائد، سيدرك أن هذا الحنين ينطلق من هذه الأماكن الأرضية إلى الذات العليا، بمعنى أن التوجه لم يعد منصباً نحو الحجاز ونجد، بل إلى الله سبحانه وتعالى.

فقصائد ابن الفارض تعد مرحلة من مراحل الحنين، ولكن إلى الحضرة الإلهية. وهذه الأبيات تبين السبب المباشر وراء حنينه إلى الحجاز، فيقول:

يا سَمِيري رَوِّحْ بمكَّةَ رُوحِي ... شادياً إن رغبْتَ في إسعَادِي
فذَرَاهَا سِرْبِي وطِيبِي ثَرَاهَا ... وسَبيلُ المَسِيلِ وِرْدِي وزَادِي
كان فِيها أُنْسِي ومِعْرَاجُ قُدْسِي ... ومُقَامِي المَقَامُ والفَتْحُ بَادِ[1]

فحنينه إلى الحجاز هو حنين للفتح الإلهي الذي بشره به الشيخ البقال[2].

وقد عبر ابن الفارض عن حبه للذات الإلهية " بلغة الحب الإنساني، جارياً في ذلك على طريقة الصوفية في الإشارة إلى مواجيدهم، والتلويح لأذواقهم ومعانيهم من خلال أساليب مستعارة من الشعر الغرامي"[3].

ومن هنا، قد يقع قارئ هذه القصائد في حيرة من أمره، فيخلط بين الغزلين، فلا يفرق بين ما كان منه موجهاً للذات الإلهية أو لمخلوق من البشر[4]. ولكن سرعان ما تتبدد

---

[1] ديوان ابن الفارض، ٧٥.

[2] انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/ ٢٥٧.

[3] عاطف نصر، شعر عمر بن الفارض، ١١٢، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

[4] لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، ١٠٩-١١١، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الحيرة، ويزول اللبس عندما يعلم أن الصوفي " إنما يصف من خلال العواطف الإنسانية حبا إلهياً ملأ كيانه".[١]

وإذا كان الشاعران (الرضي وابن الفارض) قد التقيا في السطح، إلا أنهما اختلفا وافترقا في العمق.

ولدى رجع النظر في أبيات ابن الفارض السابقة يلاحظ الحضور المستمر للأماكن الحجازية ورياح الصبا، والطيف الذي يأتي في المنام، والتلذذ بعذابات الحبيبة الناشئة عن الصد والتمنع، وإظهار الخضوع لها، وكثرة الشكوى من الزمان، وتأسفه على الماضي، إضافة إلى البرق الذي يحرك الأشواق ويهيج الذكريات، والمطر الذي يسقي منازل المحبوبة ورباها. لكن ابن الفارض قد خلع على هذه المعاني والألفاظ دلالات رمزية صوفية، فندخل القصيدة " كما لو كنا نفسر رؤيا أو نؤول حلماً"[٢].

وقد أحال ابن الفارض الحج ومشاعره إلى رموز صوفية، فالحج كما نعلم هو قصد البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً لأداء الفريضة، لكنه عند ابن الفارض قد اكتسب دلالة رمزية جديدة، فأصبح الحج بالمفهوم الصوفي " قصد الحضرة الإلهية، والتوجه القلبي إلى التحقق بالوجود الحق الحقيقي المتجلي بالأعيان الكونية بعد الإحرام"[٣]. والصفا أصبحت "المقام الروحاني والسر الإنساني"[٤]. حتى إن الأماكن الموجودة داخل الحرم والمجاورة له قد اكتسبت دلالات رمزية كشف عنها النابلسي، فالكعبة هي " الحضرة المقصودة من حيث تجليها في قلوب العارفين الكاملين"[٥]،والمصلى" كناية عن

---

[١] عاطف نصر، شعر عمر بن الفارض، ١١٣.

[٢] المرجع السابق، ١٢٢.

[٣] عبد الغني النابلسي، الصوفية في شعر ابن الفارض، ١٥، تحقيق: حامد عبود، ط١، مطبعة زيد بن ثابت، ١٩٨٨.

[٤] المرجع السابق، ٥٧.

[٥] المرجع نفسه، ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقام عبادة الله تعالى الذي فيه العبد قائم بنفسه، ونفسه قائمة بربه عنده-فنفسه حجابة عن ربه تعالى"[١]. والمأزمان "كناية عن الأمر والنهي الواردين في الشريعة"[٢].

هذا هو المنهج الذي اتبعه الصوفية في تأويلاتهم الرمزية للشعائر القائمة على الاستبطان[٣]، والنابعة من شعورهم الديني العميق.

وقد يتساءل البعض، لماذا لا تكون هذه الأماكن مجرد معالم رآها ابن الفارض، وارتبط بها ارتباطاً نفسياً وجدانياً- شأنه في ذلك شأن الشريف الرضي- ولا سيما أنه أقام في بلاد الحجاز مدة طويلة؟ إلا أن معظم الشراح يصرون على اتباع خطى الصوفيين في التأويل، فيجعلون من هذه الأماكن إشارات وكنايات بعيدة المرمى[٤].

وإذا كانت الرموز الصوفية قد اقترنت بالأماكن الحجازية، فإن المرأة أيضاً- لدى الصوفية- ماهي إلا معبرٌ للحب الإلهي، ورمزٌ للحضرة الإلهية، وظفوها في شعرهم، ليصلوا من خلالها إلى الدلالة الروحية. وهي تختلف عن المرأة التي ظهرت في شعر الشريف الرضي، فالمرأة لدى الرضي تحمل الدلالتين: الرمزية والواقعية، فهي وإن كانت ترمز إلى الخلافة أو العروبة الأصيلة، إلا أنها تبقى محتفظة بشكلها الأنثوي الدنيوي، فلا تخرج عن الواقع في شيء، أضف إلى ذلك أن المتصوفة أرادوا الوصول إلى الله من خلال هذه الكلمة(المرأة)، أما الشريف الرضي، فكان يعرف الخالق سبحانه وتعالى، ويقدسه من خلال هذه الحياة[٥].

---

[١] عبد الغني النابلسي، الصوفية في شعر ابن الفارض، ٩٩.

[٢] المرجع السابق، ١٠٠.

[٣] انظر: عاطف نصر، شعر عمر بن الفارض، ١٩٩.

[٤] انظر: المرجع السابق، ٢٠٠. وانظر: محمد حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، ٥٨، ١٠٦-١٠٧.

[٥] انظر: عزيز حاسم، الاغتراب في حياة الشريف الرضي، ١٤٣-١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن كانت الحجازيات في عالم التصوف تتجه إلى الحب الإلهي والتشوق له- مثلما تبين في شعر ابن الفارض-فإنها قد سلكت طريقاً جديداً يتجه إلى المدائح النبوية في خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وقدوة المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم.

ومما هو جدير بالذكر، أن فن المدائح النبوية ليس فناً طارئاً على الأدب العربي في عصر الشريف وفي العصور اللاحقة، بل هو فن قديم عرف في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم[١]، ثم ازدهر وتطور ليصبح فناً ناضجاً مستقلاً قائماً بذاته في العصور المتأخرة، ولا سيما بعد أن اتسعت ظاهرة التصوف التي أغنت المدائح النبوية بعقائدها الممزوجة بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، ورموزها المستغلقة، ودورانها حول الحقيقة المحمدية[٢].

وقد وجد غير المتصوفة أيضاً ضالتهم المنشودة في الحجازيات، وتمسكوا بها باعتبارها "موطن مثلهم الأعلى وطريقهم إلى زيارته ومجاورته"،[٣]فساروا على خطى الشريف، فأكثروا من ذكر الأماكن الحجازية، وتغنوا بها لا سيما الأماكن المقدسة، والبقاع التي شهدت مولد النبي الكريم، ونشأته وبعثته ونبوته، والحنين إلى طيبة التي حضنت وضمت جسده الطاهر. ولذلك قلما تخلو قصيدة لمتصوف، ولغير المتصوف من ذكر المقدسات[٤]. ونجد ذلك جلياً في معظم قصائد الصرصري[٥]التي نظمها في مدح الرسول

---

[١] انظر: محمود سالم، المدائح النبوية، ١٢، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦.

[٢] انظر المرجع السابق، ١١١.

[٣] كامل الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٥٢.

[٤] انظر : محمود سالم، المدائح النبوية، ١١٢.

[٥] جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري الحنبلي الضرير البغدادي. نسبه إلى صرصر قرية على فرسخين من بغداد. ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. كان من العلماء الفضلاء الزهاد العباد، وكان له اليد الطولى في النظم وشعره في غاية الجودة. مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة. ولما دخل التتار بغداد كان الصرصري بها، فلما دخلوا عليه قاتلهم وقتل منهم بعكازه نحو اثني عشر نفساً، ثم قتلوه شهيداً، وحمل إلى صرصر فدفن فيها. وبذكر ابن كثير أن الصرصري كان قد أعد حجلوة في بيته، فلما دخل عليه التتار رماهم بها، فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم ثم قتلوه شهيداً سنة ست وخمسين وستمائة، وله من العمر ثمان وستون سنة. انظر في ترجمته: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/ ٤١٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧/ ٦٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢١١. الزركلي، الأعلام، ١٧٧/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريم عليه الصلاة والسلام، حيث كان يفتتحها بـــالحنين والتشـــوق للديـــار الحجازيـــة والأماكن المقدسة، شارحاً هيامه بها وتلهفه لرؤيتها، فيقول والدموع تملأ عينيه:

دُمـــوع العيـــنِ مَوعـــدك الفِـــراقُ ... هنـــالك مـــا خزنـــتِ دمـــاً يُـــراقُ

ومـــا رِفـــقُ المتيَّـــم يـــومَ بَيْـــنٍ ... بأدمعـــه وقـــد ســـارَ الرِّفـــاقُ

أيا ركـــبَ الحجـــازِ هُديـــت رِفقـــاً ... بقلـــبٍ هـــائمٍ معكـــم يُســـاقُ

عَجبـــتُ لـــه يحـــلُّ بـــذاتِ عِـــرْقٍ ... بهمَّتـــه ومنزِلـــه العِـــراقُ

ويســـكنُ أرضَ نَعْمَـــانَ اشـــتياقاً ... ولـــم تشـــعرْ بمســـراهُ النِّيـــاقُ

فيا ليـــلاتِ خَيْـــفِ مِنَـــى أتقضـــى ... مـــآربُ فـــي ظلالـــك أم تُعـــاقُ

ويـــا بطحـــاءَ مكَّـــةَ هـــل ســـبيلٌ ... إلـــى وصـــلٍ يلـــذّ بـــه المَـــذاقُ

وهـــل ردَّ إلـــى أعـــلام سَـــلْعٍ ... لصـــبٍّ لا يُزايلـــه اشـــتياقُ

طليـــقٌ جَفنـــهُ سَـــهراً ودمعـــاً ... أســـيرٌ لا يُفَـــكُّ لـــه وَثـــاقُ

جَليـــدٌ لا يطيـــقُ الصَّـــبرَ ضعفـــاً ... ويحملُ فـــي الـــهوى مـــا لا يُطـــاقُ

يجيـــبُ دواعـــيَ الأشـــجانِ طوعـــاً ... وعـــن حُكـــم السُّـــلوِّ لـــه إبـــاقُ

يحـــنُّ إذا تـــألَّق وَمْـــضُ بَـــرقٍ ... وإنْ هَتف الحمَـــامُ ضُحـــى يشُـــاقُ

إذا ذُكـــر الحمـــى يـــهتزُّ وَجـــداً ... كمـــا تـــهتزُّ مُرهفَـــةٌ رِقـــاقُ[1]

والمتأمل في مدائح الصرصري يجد أن أكثرها تحمل المشاعر ذاتها، فـــهو دائـــم الحنين لليالي الخيف ومنى، وأرض نعمان، وبطحاء مكة، دائم التطلع لرؤية سلع، دمعه لا ينضب، وجفنه لا يغمض، فهو أسير للشوق، لا يفك له وثاق. وهو يشبه الشريف الرضي في مشاعره الموزعة بين قلبه وجسده، فقلبه يسكن الحجاز، وجسده مخلف في العـــراق،

[1] ديوان الصرصري، ٣٣٦، تحقيق وتقديم: مخيمر صالح . الإباق: الهرب، وهي من قولهم أبق العبد إذا هرب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الأسباب المؤدية إلى ثنائية المشاعر مختلفة بعض الشيء، فالصرصري صرح في أكثر من موضع في مدائحه أن حبه للحجاز عائد إلى وجود محبوبه(الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) الذي تيمه بحبه، ولولا هذا الحبيب ما عشق الحجاز، ولا اهتزت معاطفه برؤية البرق، ولا هاجت ذكرياته لدى شدو الورقاء على فنن الأراك والبان، فيقول معبراً عن حبه العميق للحجاز، وتعلق قلبه بها:

لي فيك عهدُ هوىً قديم ليس للـ ـعذّالِ في الإقلاعِ عَنهُ مَطمعُ
لولا ادّكارك لم يهزَّ معاطفي برقٌ على شَعْبِ الأَبارقِ يلمَعُ
ولَمَا أرقتُ وهاج شَجوي في الدُّجى ورقاءُ في فننِ الأراكةِ تَسجعُ
كلفي ببانات العقيقِ وإنَّما وَجهُ اشتياقي بالحجازِ مُبرقَعُ
عجباً لجسمٍ بالعراقِ مخلَّفٍ وفؤادُه مُغرىً بطيبةَ مُولَعُ[1]

ولكن الغزل في مدائحه لم يكن موجهاً إلى حبيبة بعينها، فالغزل هنا رمزي، حمله الصرصري مشاعر وجده الديني وأحاسيسه السامية.[2]ولا شك في أن الحبيبة هنا ما هي إلا ذات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي أحبه حباً شديداً.

ولا عجب إذن أن يحن الشاعر إلى تلك الديار المقدسة كلما برق الصبح، أو دجا الليل، أو أومض البرق، أو جرى النسيم الذي يعيد الروح في الجسد الميت[3]. وقد بلغ حنينه إلى حد تمنى فيه لو أنه يقضي حياته كلها في أكناف سلع مشت ومقيظ، حتى لو اقتصر طعامه على الرمان البري فقط، فيقول:

---

[1] ديوان الصرصري، ٢٧٧-٢٧٨.

[2] انظر: فداء فيصل زياد، الصرصري حياته وشعره، ١١٨، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، ١٩٩٦.

[3] انظر: ديوان الصرصري، ٧٣-٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَحِنُّ إلى أَكنافِ سلعٍ فليتني ... بأَرضِ حمى سَلعٍ مشتٍ مقيّظ
بودّيَ أنّي عاكفٌ بجنابها ... ولو كُنتُ من مَظّ الفَلا أتلمظُ[1]

وقد أشرك النياق في حنينه وتشوقه، حين خلع عليها مشاعره وأحاسيسه، فأخذت تغذ السير لتطفئ شوقها الجامح، ورغبتها الجارفة بمجرد رؤيتها لتلك الديار المقدسة، فيقول:

ليالي نحنُ سُفّرٌ والمطايا ... سراعٌ ترتمينَ بنا ارتماء
سرت من رحبةِ الزوراء تنْحُو ... إلى البلد الحَرامِ بِنا نحاء
غدا قصرُ العذيب لها أَماما ... وأَضحَتْ بابلٌ منها الوراء
وأَصبَح وجْدها بلوى زرود ... وصحراءُ الغوير لها غِطاء
وطارحها الغَرامُ بذكرِ نجد ... فَأَطرَبها وكان لها حداء
وطارت في أَزِمّتِها مراحا ... تروم إلى ذُرى المجد ارتقاء
دعاها للهوى عهدٌ قديمٌ ... فلبّت حين أسمَعها النداء[2]

ويظهر حنين الصرصري عندما يحمل الركب الحجازي أشواقه وتحياته، وهو لا يمل من ذلك، فيقول:

يا رائحاً نحو الحِجازِ ميمّماً ... يطوي الفلا بنجائبٍ ونِياقِ
بالله إن جئتَ العَقيقَ فقِفْ بهِ ... وابلغْ تَحيّةَ مُغرمٍ مُشتاقِ
واقرِ السَّلامَ على أُهيل المنحنى ... واشرحْ لَهُم وجدي وما أنا لاقي

---

[1] ديوان الصرصري، ٢٧٢. مشت مقيظ: أي يقضي الشتاء والصيف في ربوع ذلك الحمى. المظ: الرمان البري. التلمظ: تتبع بقايا الطعام باللسان.

[2] المصدر نفسه، ١٠. وانظر: ٣٨٧، ٦٢٢-٦٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَعساهُم أن يَسمحوا بزيارةٍ تُطفي الجَوى ولواعجَ الأشواقِ[١]

فالصرصري لم يكن بعيداً عن طريقة الشريف في التعبير عن حنينه إلى الحجاز والديار المقدسة ونجد، وإن اختلفت الأسباب المؤدية إلى هذا الحنين بين الشاعرين.

وإذا بقينا في العصر نفسه، فإننا سنجد فيه ظهور شاعر آخر برز في المدائح النبوية بفضل قصيدته المشهورة الموسومة بـ" البردة "، هو البوصيري[٢]. وهذه القصيدة منظومة في مدح النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد افتتحها بالنسيب والتشوق للأماكن والديار الحجازية مقتفياً آثار ابن الفارض في قصيدته ذات المطلع:

هل نارُ ليلى بدت ليلاً بذي سَلَمِ أمْ بارقٌ لاحَ في الزَّوراءِ فالعَلَمِ[٣]

محولاً إياها من الحب الإلهي إلى المدح النبوي، وجذور هذه القصيدة تمثل في قول الرضي:

لولا تذكُّرُ أيامي بِذِي سَلَمٍ وعندَ رَامَةَ أوطَارِي وأوطَاني
لَما قَدَحتُ بنارِ الوَجدِ في كَبِدي وَلا بَلَلْتُ بماءِ الدّمعِ أجْفاني[٤]

ومثيلتها الأبيات الآتية من بردة البوصيري:

أَمِن تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزَجْتَ دمعاً جَرى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ من تِلْقاءِ كاظِمَةٍ وَأوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ من إِضَمِ

---

[١] ديوان الصرصري، ٣٥١.

[٢] محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. ولد بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة. برع في النظم. كانت وفاته سنة خمس وتسعين وستمائة. انظر ترجمته في: شذرات الذهب، ٦/ ١٠٢. الوافي بالوفيات، ٣/١٠٥. فوات الوفيات، ٢/ ٣٤١.

[٣] ديوان ابن الفارض، ٧٢.

[٤] ديوان الرضي، ٢/ ٤٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما لِعَيْنيْكَ إنْ قلتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... وما لِقلبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أيحسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بَيْنَ منسَجِمٍ منه ومضطَرِمِ

لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدما شَهِدَت ... به عليك عدولُ الدَّمعِ والسَّقَمِ

وأثبتَ الوجدُ خُطَّى عَبْرَةٍ وضَنَى ... مثلَ البَهَار على خديك والعَنَمِ

نعم سرى طيفُ من أهوى فأرَّقني ... والحبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالأَلَمِ[1]

فالبوصيري الذي استهل قصيدته بتساؤلات محملة بالشوق والحنين لا يلبث أن يعترف بحبه لساكني هذه الديار بعدما فضحته عبراته وصفرة وجهه وشحوبه. وعندما لاح له طيف محبوبته(الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) أرقه ومنعه من النوم، فهو سعيد لرؤيتها في الحلم لكنه معذب في الواقع، فهذه السعادة ممزوجة بالألم.

وسارالبوصيري على خطى الرضي في عفته ونقائه وطهارته، ولا سيما إذا عرفنا أن هذا النسيب والغزل العفيف المحتشم ما هو إلا تمهيد ومدخل لمدح سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. والقارئ لهذه الأبيات يلحظ أن البوصيري يتغزل بمحبوبة مجهولة لا تحديد لها، إلا أن روحها ترفرف داخل القصيدة.

ونلحظ أن ثمة علاقة وثيقة بين الشعر الصوفي وشعر المدائح النبوية، فكلاهما يتخذ من الحجازيات والنجديات مدخلاً لما نظمه شعراء الصوفية في حبهم الإلهي وتشوقهم لرؤية الذات العليا، والمداح في مدحهم للنبي الكريم وبيان صفاته ومعجزاته، ويحملون هذه الأماكن أشواقهم وأحاسيسهم[2]. فالمتأمل في ديوان البوصيري يلمح تأثره

---

[1] ديوان البوصيري، ٢٣٩، تحقيق: محمد سيد الكيلاني. المنسجم: الدمع السائل. المضطرم: المشتعل بالحب. البهار: ورد أصفر. العنم: شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب.

[2] انظر المصدر السابق، ٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكبير بحجازيات الشريف الرضي ونجدياته، فهو دائم التطلع والشوق لبيت الله الحـــرام، ويهفو قلبه حنيناً لزيارة مدينة رسول الله وقبره الكريم، وهو لا يمل من ترداد ذكر النبـــي صلى الله عليه وسلم، فالذكر زاده، والشوق مركبه[١].

ويستعين البوصيري بذكر حنين العيس مثلما فعل الرضي في حجازياتـــه، حيـث تشاركه في اللهفة، وتشاطره في الوجد والحنين لرؤية الحجاز على الرغم من المشقة التي تصاحبها في السفر، فيقول:

سـارَتِ العِيـسُ يُرَجِّعْـنَ الحَنِينـا ... ويُجَـاذِبْنَ مِـنْ الشَّـوقِ البرُينـا
دامِيـاتٍ مِـنْ حَفَـيٍّ أخفافُـها ... تقطَـعُ البِيـدَ سُـهُولاً وحُزُونـا
وعلـى طُـولِ طَواهـا حُرمَـتْ ... عُشْبَهَا المُخْضَـرَّ والمـاءَ المَعِينـا
كلَّمـا جَـدَّ بـها الوَجْـدُ إلـى ... غايَـةٍ لـم تَدْرِهـا إلاَّ ظُنُونـا
قُلْـتُ للحَـادِي أَعِـذْ أَشْـواقَها ... بالسُّـرَى إنَّ مِـنَ الشَّـوقِ جُنُونَـا[٢]

ولا شك أن البوصيري يشعر بالسعادة والفرح العظيم لدى توجهه إلـى الحجـاز، لكن سرعان ما تتحول هذه الفرحة إلى حزن واكتئاب إذا هم بمغادرة الديـار الحجازيـة ومفارقة الأحبة. فهو لا يعرف طعم الراحة والسعادة إلا عندما يذكـر الحمـى وعقيقـه ونباته، لأن ذكرها يهيج شوقه للمدينة وحرمها الذي يضم جسد النبي الطاهر، فيقول:

يَرْتَـاحُ إنْ ذُكِـرَ الحِمَـى وعقِيقُـهُ ... وآراكُـه وثُمامُـه والشِّـيحُ
شـوقاً إلـى حـرم بطيبـة آمِـن ... طـابَتْ بذلـكَ روضَـةٌ وضَرِيـحُ

---

[١] انظر ديوان البوصيري، ٩٥.

[٢] المصدر السابق، ٢٥٧. العرنا: جمع برة، وهي الحلقة توضع في أنف البعير، ويشد بها الزمام. أعاذه: حماه بالتعاويذ التي تقرأ على المجـانين ليفيقوا، أي جعل السرى مكان التعاويذ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنـــي لأرجُـــو أن تقَـــرَّ بقُربِـــه عينـــي ويُؤْســـي قَلبـــيَ المَجْـــرُوح[١]

والمتصفح لديوان البوصيري سيلاحظ أنه عمل بنصيحة ابن حجة الحمـــوي فـــي خزانته حيث يقول:" إن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي، يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب، ويتضاءل ويتشبب، مطرباً بذكر سلع ورامة، وسفح العقيق والعذيب، والغوير ولعلع، وأكناف حاجر، ويطرح ذكر محاسن المرد، والتغزل في ثقـــل الأرداف، ورقـــة الخصر، وبياض الساق، وحمرة الخد،وخضرة العذار، وما أشبه ذلك"[٢].

وهذه النصيحة لا تبعد عن الحجازيات في شيء، بل هي صدى لها وتـــرداد لمـــا جاء به الشريف الرضي خاصة، والشعراء بعده عامة، حتى أصبحنا نـــرى أن اســـتهلال القصيدة بالتشبيب والتشوق للأماكن المقدسة التي ذكرها الرضي من مستلزمات المدحـــة النبوية، وفناً شعرياً قائماً بذاته[٣]. ولا ننس بإستمرار أن أول من اختط نهج المدائح النبويـــة هو كعب بن زهير، وأنها تلتقي مع حجازيات الشريف ونجدياته في ذكر الأمـــاكن التـــي تغنى بها الشريف، والحنين إليها.

ولم تتوقف المدائح النبوية عند عصر معين، فقد ظل الشعراء والفقهاء يعبرون عن حبهم للرسول الأمين، وإعجابهم بشخصه الكريم، مفتتحين هذا الحب وذلك الإعجاب بذكر الأماكن المقدسة، والنسمات النجدية التي اعتاد الشريف على ذكرها. ومصداق ذلـــك أنـــا وجدنا أحمد شوقي في العصر الحديث قد نظم قصائد في المديح النبوي، أشهرها في هـــذا السياق المعني بذكر الأماكن الحجازية والنجدية قصيدته "نهج البردة" التي منها الأبيـــات الآتية:

---

[١] ديوان البوصيري، ١٠٦/٢.

[٢] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ١٤، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٧٤.

[٣] انظر: محمود سالم، المدائح النبوية، ٨١، ١٢٢، ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ ... أحلَّ سفكَ دمي في الأشهُرِ الحُرُمِ
رمَى القضاءُ بعيني جُؤذرٍ أسداً ... يا ساكِنَ القَاعِ أدركْ ساكِنَ الأَجَمِ[1]

وقد سهل علينا يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت الرجوع إلى مدائحهم النبوية، المستهلة بذكر الأماكن المقدسة، والروائح النجدية حين عكف على جمع هذه الأشعار وتبويبها على حروف القوافي[2]، ليخرج هذا العمل في أربعة أجزاء أطلق عليها اسم " المجموعة النبهانية في المدائح النبوية "، وقد طبع في بيروت في المطبعة الأدبية سنة ١٣٢٠/ ١٩٠٢. ويقول النبهاني في مقدمة هذا الكتاب:"إني قد بذلت جهدي في جمعها(القصائد النبوية) من البلاد البعيدة والقريبة حتى حصلت على مقادير وافرة من درر بحور الأولياء والعلماء وغرر فحول الأدباء والشعراء.....فدونكها مجموعة جامعة لأبكار المحامد المحمدية،ساطعة بأنوار المدائح الأحمدية....اشتملت على أكثر من عشرين ألف بيت، كلها عامرة بمحاسن الصفات والأسماء".[3]

وقد أورد النبهاني في الفصل الرابع من الجزء الأول نصيحة وجهها لكل من سلك هذا الطريق، فقال:" يستحسن لمن يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أن يشبب بذكر الديار الحجازية، ومعالمها، وحب سكانها، والشوق إليهم، والبكاء ووصف النياق والسير والمناهل، ووصف السحاب والبرق والريح التي تجيء من نحوهم،والدعاء لهم بالسلامة ولديارهم بالعمران والسقيا، وما أشبه ذلك"[4].

---

[1] أحمد شوقي، الموسوعة الشوقية، ٥/ ٧٠، ط١، جمع وترتيب وشرح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤. الريم: الظبي الخالص البياض. القاع: الأرض السهلة المطمئنة. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الأجم: الشجر الكثير الملتف، وهو مسكن الأسد.

[2] انظر: كامل الشيبي، حجازيات الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، ٥٣.

[3] يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ١/١، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٢.

[4] المصدر السابق، ١/ ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وختاما أقول، إن الديار الحجازية والأماكن النجدية التي تغنى بها الشريف الرضي وحن إليها مرارا وتكرارا قد بقيت حية في أشعار من لحقوه من الشعراء[١]، يرسلون إليها أشواقهم وحنينهم مع الركب والنسيم والبرق.

[١] وقد ذكر النبهاني عددا منهم مثل: الإمام عبد الرحيم البرعي اليمني، وشمس الدين النواحي، وشهاب محمود الحلبي، وجمال الدين ابن نباته، وأبي إسحاق إبراهيم القيراطي، وصفي الدين الحلي، والشهاب أحمد بن عبد الملك المعروف بالعزازي، وابن مليك الحموي، وعبد العزيز الزمزمي، وابن حجر العسقلاني. وانظر في ذلك الجزء الرابع من أنوار الربيع لابن معصوم الذي جمع فيه أشعارا لشعراء تغنوا في الديار الحجازية والنجدية، ١١٥-١٢٩، ١٥٤-١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

كشفت حجازيات الشريف الرضي ونجدياته جانباً من جوانب شخصية هذا الشاعر الكبير كاد يخفى، وهو الجانب العاطفي والوجداني. فالشريف الرضي نشأ في بيت تسوده الرفعة والعزة، ونشأ في كنف والدين جليلين، يرتفع نسبهما إلى علي بن أبي طالب من خلال زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وكان والده أبو أحمد نقيباً للطالبيين، له مكانة رفيعة ومنزلة عالية لدى خلفاء بني العباس والبويهيين. وكان الرضي معجباً جداً بوالده، فحذا حذوه، فاتصف بالهيبة والجلال، والورع والعفة، والإباء والاعتداد بالنفس. وقد خولته هذه الصفات أن يقطف ثمرة الإعجاب من كبار الدولة قبل صغارها، وأن يتقلد المناصب الدينية التي كان يتقلدها والده من قبله، وهي نقابة الطالبيين، والنظر في المظالم، وإمرة الحج، إضافة إلى حيازته الكثير من الألقاب التي منحه إياها بهاء الدولة.

وقد كانت الحياة السياسية والاجتماعية والدينية شغل الشريف الشاغل، لا مجال فيه لإظهار مشاعره الوجدانية، وأحاسيسه العاطفية، فالحياة العملية قد طغت على وقته بحيث لم يكن هناك متسع للحب والحنين. ومن هنا جاءت إمرته لركب الحجيج، والإشراف على رحلتهم متنفساً له وراحة من ضجة المدينة وصخبها وآلامها، فأخذت قريحته تنطلق بقول هذه الأشعار المليئة بالحنين للأماكن التي اعتاد ارتيادها في كل رحلة له من رحلات الحج، والشوق لرؤية طوائف من الحسن المكنون في موسم الحج، ومع ذلك فهو لم يترك العنان لنفسه ليقول ما يعتمل في صدره من حب وغرام، فشرفه ونسبه وانتماؤه إلى آل البيت، عدا عن كونه أميراً للحج، كان بمثابة الحاجز الذي لا يستطيع أن يتجاوزه، بل عليه أن يلتزم بحدوده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من ثمرات رحلات الشريف الرضي المتكررة إلى نجد والحجاز أنها خلقت لديه مشاعر جديدة تجاه هاتين البقعتين، ملكت كيانه وشغفت قلبه. ومع الوقت أخذت هذه المشاعر الجديدة تزاحمه في حبه لبغداد، حتى استطاعت أن تتصدر القمة في كثير من الأحيان. فبات في صراع بين حبه لبغداد، وحبه لنجد والحجاز، وشعر أنه مشتت مكانياً وزمانياً، وأنه لن يجد الراحة أبداً إلا إذا تحقق حلم حياته في أن يصبح خليفة للمسلمين، وذلك بمساعدة داعيته البدوي ابن ليلى ومن والاه من القبائل العربية، فهو" كان يحس في قرارة نفسه أن أي عربي يريد أن يؤسس لنفسه مجداً، فلا بد له من أن يضمن ولاء قبيلة من قبائل هؤلاء البدو"[١]، ولكن حلمه تحطم بمجرد مقتل داعيته، فدب اليأس في نفسه، وبدأ حلمه في الخلافة يتلاشى ويبعد عن ناظريه شيئاً فشيئاً، ليدرك أنه أمام واقع لا بد له من أن يعايشه، مما زاد من حنينه إلى نجد والحجاز. ويجب أن نتذكر أن الحنين إلى هاتين البقعتين لا يمثل إلا شعبة من عواطف الحنين لدى الشريف، إذ رأيناه شديد الحنين إلى الشباب، وبخاصة كلما تذكر أنه شاب مبكراً، وكأنه شعر بأن أيام الشباب تتفلت من بين يديه حين رأى شعيرات بيضاء تتساقط منه في منى دون أن يحقق شيئاً مما كان يسعى إليه.

لقد كانت رحلات الشريف إلى نجد والحجاز حاجاً أو أميراً ذات أثر عميق في ترقيق عواطفه، إذ كان " يعود من رحلاته ثري الوجدان، مضطرم النفس بلواعج الحب والشوق والتأمل، فأطربنا بشعره، وحلق بنا في أجواء عبقريته".[٢] وإنّ " إمارة الحج التي قام بها مرات عديدة، كانت نعمة على الأدب العربي، فقد وقعت عيناه في طرق الحج ومواسمه على طوائف الحسن المكنون، فأتحف أدبنا العربي بالحجازيات الغزليات"[٣] التي

---

[١] إحسان عباس، الشريف الرضي، ١٣.

[٢] عبد الفتاح الحلو، الشريف الرضي، ٢١٨/١.

[٣] محمد المطرودي، الشريف الرضي، ٢٠١، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتسمت-إضافة إلى النجديات- بالبساطة والسلاسة والاسترسال في التعبير عن الحنين وآلام الفراق وعذابات الشوق، وإن لم يخل بعضها الآخر من الحذلقات الشعرية. وهذه السلاسة والبساطة لم تمنع حجازياته ونجدياته من أن تحافظ على جزالتها ورصانتها، وبخاصة عندما تظهر الروح البدوية الواضحة فيها بشكل لافت للنظر. وقد جمعت هذه القصائد بين القديم والجديد، فالشريف كان يأتي إلى المعنى القديم فيصهره في قالب جديد، دون التوقف عن الإتيان بما هو جديد مبتكر.

وقد أوضحت هذه الدراسة أن الشريف الرضي في حجازياته ونجدياته لا يختلف كثيراً عن شعراء الغزل العذري، فهو ألح على العفة والحشمة، وأكدها بأشكال مختلفة منها: رعايته لمحاسن المرأة وعدم تجسيمها، وقد يكون ذلك مؤشراً على أن الرضي لم يكن يعشق امرأة بعينها، وإنما كان يعشق المرأة المسلمة والعربية الأعرابية المثال للنقاء والصفاء والطهر والعفاف.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تكشف قدرة الرضي في تحميل المرأة دلالات متعددة، فضلاً عن رمزية المكان والبيئة العربية البدوية في حجازياته ونجدياته، حيث يمكن القول إن المرأة في حجازياته تحمل الدلالتين: الواقعية والرمزية، فهي وإن كانت ترمز إلى المرأة المسلمة والعربية الأعرابية التي عمق من خلالها إيمانه بالعروبة الأصيلة، قد ترمز إلى الخلافة. أما بالنسبة للبيئة العربية البدوية بأهلها وطبيعتها وحيواناتها ونباتاتها، فقد وظفها الرضي للتعبير عن حبه الشديد للبادية العربية، فحل القيصوم والشيح مكان النرجس والبنفسج، وحلت النوق والظباء مكان كلاب الصيد. أما هيامه بالأماكن الحجازية والنجدية، فربما لأنها ترتبط بذكرياته مع العرب البدو، ولا سيما داعيته ابن ليلى الذي كان يؤمل أن يصل به إلى مبتغاه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكون الحجازيات والنجديات وجها من وجوه الرفض والتمرد علـــى واقعـه الأليم، خاصة بعد أن خاب مسعاه فيما يصبو إليه. وقد يكون ذكر الأماكن المقدســة فــي الحجازيات ضربا من حبه للرسول محمد عليه الصلاة والسلام وحب آل بيته، ولا ســيما إذا عرفنا أن الرسول يمثل في النظرة العلوية-فضلا عن النظرة الإسلامية- الإمـام الأول للمسلمين، وأن أحفاده وأولاده والشريف منهم، أحق بالخلافة الإسلامية من القائمين عليها.

وقد بينت هذه الدراسة أن ظاهرة التغني بهذه الأماكن الحجازية والنجدية قد شاعت في الشعر العربي بعد الشريف الرضي، ولا سيما عند تلميذه مهيار الديلمي، ومن بعده من الشعراء، دون أن يكون لديهم كل ما كان لدى الشريف من أسباب سياســية واجتماعيــة ودينية، وإنما كان تمسكهم بهذه الطريقة مجرد تقليد شعري أحبوه واتبعوه، فلـــم تخــرج قصائدهم عن القصائد التي اعتمدها الشريف الممزوجة بالحنين والشوق لتلك الديار.

وكانت نقلة ابن الفارض في الحجازيات نقلة نوعية، إذ خرج بها من عالم العذرية إلى عالم التصوف الواسع، وأصبح الحنين إلى هذه الديار منطلقــا إلــى الــذات العليــا، والحضرة الإلهية. كما أصبح الحنين إلى نجد والحجاز عند الصرصـــري والبوصــيري حنينا لموطن مثلهم الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم، وطريقهم إلى زيارته ومجاورته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد (ت٥٠٧هـ)،ديوان الأبيوردي، ط٢، تحقيق: عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
- ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط١، راجعه وصححه: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الباخرزي، علي بن الحسن (ت٤٦٧هـ)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ط٢، ٢م، تحقيق: سامي العاني، مكتبة دار العروبة، النقرة، الكويت، ١٩٨٥.
- البوصيري، محمد بن سعيد الدلاصي (٦٩٥هـ)، ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد الكيلاني.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني (ت٥٠٢هـ)، حماسة أبي تمام، ط بولاق، ١٢٩٦.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، ١٦م، قدمه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التنوخي، أبو يعلي عبد الباقي عبد الله بن المحسن (ت٣٨٤هـ)، القوافي، ط٢، تحقيق: عوني عبد الرؤوف، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٨.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت٤٢٩هـ)،يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط١، ٥م، تحقيق: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ١٠م، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ط١، ١٠م، حقق نصوصه مكتب التحقيق، بإشراف: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٥.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ)، نهج البلاغة، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩.
- الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي الازراري (ت٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٧٤.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- الخطيب البغدادي، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام،ط١، ٢٤م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبـــي بكـــر (ت٦٨١هـــ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بـــيروت، لبنان.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، العبر في خـبر من غبر، ٤م، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، تحقيق: عمر عبد الســلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن الأزدي (ت٤٥٦هـ)، العمدة في محاســـن الشعر، ط٣، ٢م، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٦٤.
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة المضري (ت١١٧هـــ)، ديوان ذي الرمة، ٣م، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، حققه وقـــدم لـــه وعلق عليه: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ١٩٧٩.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦هـ)، تلخيص البيان فـــي مجازات القرآن، ط١، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتـــب العربيـــة، القاهرة، ١٩٥٥.
- الشريف الرضي، المجازات النبوية، تحقيق: محمود مصطفى، مطبعة مصطفـــى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٧.
- الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ٢م، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ)، طيف الخيال، ط١، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مراجعة: إبراهيم الأبياري، دار إحياء الكتب العربي، الجمهورية العربية المتحدة.
- الشريف المرتضى، ديوان الشريف المرتضى، ط١، شرح محمد ألتونجي، ٣ج، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧.
- الشيرازي، صدر الدين علي بن خان المدني (ت١١٢٠هـ)، الدرجات الرفيعة، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢.
- رسائل الصابي والشريف الرضي، تحقيق: محمد يوسف نجم، التراث العربي، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١.
- الصرصري، جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى (ت٦٥٦هـ)، ديوان الصرصري، تحقيق وتقديم: مخيمر صالح.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، اعتناء: س.ديدرينغ، ط٢، ج٢، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٤٧.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ط٢، باعتناء: أيمن فؤاد سيد، فرانز شتايلر شتوتغارت، ١٩٩١.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، ١٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- ابن عنبة، جمال الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢٨هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الفارض، أبو حفص وأبو القاسم عمر بن علي بن مرشد (ت٥٣٢هـ)، ديوان ابن الفارض، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥.
- أبو الفداء، اسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ)، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، ط١، ٤م، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣١٩هـ)، نقد الشعر، عني بتصحيحه: س.أ. بونيباكر، مطبعة بريل، لندن.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، المحمدون من الشعراء، تحقيق: حسن معمري، راجعه: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض.
- قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى(ت٦٨هـ)، ط١، شرح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، ط١،٢م، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، منشورات: محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن كثير، اسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط٢، ١٤م، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٥٨هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ط١، ٣م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (٤٢١هـ)، شرح ديوان الحماسة، ط١، ٤م، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١.
- ابن معصوم، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، ط١، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٨.
- مهيار الديلمي، أبو الحسن مهيار بن مرزويه(ت ٤٢٨هـ)، ديوان مهيار، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠.
- اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد (ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان، ط١، ٤م، وضع حواشيه: خليل منصور، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

المراجع الحديثة

- أحمد شوقي، الموسوعة الشوقية، ط١، ٩ج، جمع وترتيب وشرح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤.
- أديب تقي الدين البغدادي، الشريف الرضي، ط٢، مطبعة الكرم، ١٩٦٩.
- الأمين، السيد محسن (ت١٣٧١هـ) أعيان الشيعة، ٥٦ج، تحقيق: حسن الأمين، مطبعة الإنصاف، بيروت، ١٩٥٩.
- الأميني، عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط٣، ١١ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
- إحسان عباس، الشريف الرضي، دار بيروت ودار صادر، بيروت، ١٩٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣.
- إحسان عباس، فن الشعر، ط١، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، ١٩٦٦.
- حسن البوريني وعبد الغني النابلسي، شرح ديوان ابن الفارض، ديباجة الديوان، ط١، جمعه: رشيد بن غالب، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣١٩هـ.
- الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت١٣٩٠هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ٨ج، تحقيق: أسد الله اسماعيليان، طهران، ١٩٧٠.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢.
- الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، ١٩٨٥.
- عاطف نصر، شعر عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.
- عبد الحسين الحلي، حياة الشريف الرضي، قدم له: علي الخاقاني، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٦٨.
- عبد الرحمن شكري، دراسات في الشعر العربي(مجموعة بحوث نشرت في الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال وغيرها)، جمعها وحققها: محمد رجب البيومي، الناشر: الدار المصرية واللبنانية.
- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار، ط١، تحقيق: سعيد الكوسا، دار التقدم للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الغني النابلسي، الصوفية في شعر ابن الفارض، ط١، تحقيق: حـــامد عبـــود، مطبعة زيد بن ثابت، ١٩٨٨.
- عبد الفتاح محمد الحلو، الشريف الرضي حياته ودراسة في شعره، ط١، جـــزءان، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٦.
- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة الـــيرموك، إربـــد، ١٩٨٠.
- عبد اللطيف الحديدي، قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي، ط١، ١٩٩٧.
- عزيز السيد جاسم، الاغتراب في حياة الشريف الرضي، ط٢، دار الشؤون الثقافيـة العامة، ١٩٨٧.
- عصام عبد علي، مهيار الديلمي حياته وشـــعره، سلســلة الكتـــب الحديثـــة"٨٧"، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٦.
- علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، ط١، دار البشير للثقافة، ودار المنارة، جـــدة، ١٩٩٨.
- علي الفلال، مهيار الديلمي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٤٨.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ط٥، ترجمة: عبـــد الحليـــم النجـــار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.
- محمد حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، ط١، مطبعة لجنة التـــأليف والترجمـــة والنشر، ١٩٤٥.
- محمد عبد الرحمن الربيع، نجديات الأبيوردي، ط١، سلسلة تصدر عـــن جمعيـــة الثقافة والفنون، المكتبة السعودية، ١٩٨٣.
- محمد عبد الغني حسن، الشريف الرضي، ط٣، دار المعارف، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط٢، دار المعارف، مصر،١٩٧٨.
- محمد المطرودي، الشريف الرضي، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨٤.
- محمود سالم محمد، المدائح النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٩٩٦.
- ممدوح حقي، الأبيوردي ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي، دار اليقظة العربية، دمشق، سورية.
- ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ط١، راجعه: يوسف عاد، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٩٥.
- يوسف بكار ووليد سيف، العروض والإيقاع، ط١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٧.
- يوسف بن إسماعيل النبهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ٤ج، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٢.
- يوسف اليوسف، ابن الفارض شاعر الحب الإلهي، ط١، دار الينابيع، ١٩٩٤.

الرسائل الجامعية

- إنعام موسى إبراهيم رواقة، الرؤية السياسية والاجتماعية في شعر الشريف الرضي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٤.
- حسن محمود أبوعليوي، الشريف الرضي: دراسة في عصره وأدبه، رسالة دكتوراه، جامعة القديس يوسف، بيروت، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- فداء فيصل زباد، الصرصري حياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعـــة دمشـــق، سوريا، ١٩٩٦.

الدوريات

- عصام عبد علي، الإحساس بالعروبة في شعر الشـــريف الرضـــي، مجلـــة آداب المستنصرية، العدد الخامس، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢٩٣-٣١٠.
- مارون عبود، الشريف الرضي بين دكتورين، الأديب، ج٦، السنة الرابعة، بيروت، لبنان، ١٩٤٥م، ص٥-٨.
- محمد محمود الدش، الشاعر الذي جاء بين المتنبي وأبي العلاء المعـــري، مجلـــة العربي، عدد٧٢، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٤م، ص٢٨-٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسماء بعض الأماكن الحجازيّة والنجديّة الّتي وردت في شعر الشّريف الرّضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبانان: جبلان ، أبان الأبيض وأبان الأسود، فأبان الأبيض شرقي الحاجر فيه نخل وماء يقال له أُكْرَةُ، وهو العلم لبني فزارة وعبس. وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان، وقد اختلف في النسبة.
- الأَبْرَقُ: غير مضاف، منزل من منازل بني عمرو بن ربيعة. وإذا جاءوا بالأَبْرَقَيْنِ في شعرهم هكذا مثنى، فأكثر ما يريدون به ابرقي حجر اليمامة، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رَمْيَلَة اللّوى للقاصد مكة.
- أَبْرَقُ الحَنَّانِ: هو ماء لبني فزارة.
- الأَثْلُ: ذات الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة، كانت لهم بها وقعة مع بني أسد.
- الأَثْلَةُ: موضع قرب المدينة.
- الأَجْفَرُ: موضع في أسفل السبعان[1] من بلاد قيس، والأصمعي يقول: هو لبني أسد.
- الأَخْشَبَانِ: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى وهما واحد، أحدهما: أبو قبيس، والآخر قعيقعان. وقال الأصمعي: الأخشبان أبو قبيس، وهو الجبل المشرف على الصفا، وقيل غير ذلك.
- الأَرَاكُ: في الأصل شجر معروف يستظل به. وهو وادي الأراك قرب مكة، و قال الأصمعي: أراك جبل لهذيل، وقيل غير ذلك.
- الأَلال: جبل بعرفات.
- الأَنْعَمُ: جبل ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة عند منعج وخَزار[2] . و هناك آخر قريب منه يقال له الأَنْعَمَانِ و يصغَّر أُنيعِم. وقال نصر: الأنعم بضم العين جبل بالمدينة عليه بعض بيوتها.
- إِضَمٌ: واد في المدينة المنورة.
- بَطْنُ مَرٍّ: من نواحي مكة، عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران واديا واحداً.

---

[1] السبعان: موضع معروف في ديار قيس.

[2] منعج: واد يصب من الدهناء، وقيل: جانب من الحمى حمى ضرية. وخزار: جبل ما بين البصرة إلى مكة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بَطْنُ السِّرِّ: واد بين هجر ونجد.
- جَمْعٌ: هو المزدلفة، وهو المشعر. سمي جمعاً لاجتماع الناس به.
- الحجاز: جبل ممتد حال بين الغور غور تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر، فهو حاجز بينهما. وقال الأصمعي: وإنما سمي حجازيّاً لأنه حجز بين تهامة ونجد، فمكة تهامية، والمدينة حجازية والطائف حجازية.
- الحِمَى: قال الأصمعي: الحِمَى حميان حمى ضرِيَّةَ وحمى الرَّبَذَة، قال المؤلف: ووجدت أنا حمى فَيْد وحمى النير وحمى ذي الشّرى وحمى النَّقيع، فأما حمى ضريَّة فهو أشهرها وأسيرها ذكراً. وهو كان حمى كليب بن وائل فيما زعم لي بعض أهل بادية طيء. وحمى الربذة أيضاً أراده الرسول بقوله: لنعم المنزل الحمى، لولا كثرة حياته. قال ثعلب: الحمى حمى فَيْد إذا كان في أشعار أسد وطيّء، فأما أشعار كلب فهو حمى بلادهم قريب من المدينة.
- الخَيْفُ: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخَيْفِ من مِنىً. وقيل: هو بطحاء مكة أو مبتدأ الأبطح. وقال الزهري: الخَيْفُ الوادي، وقيل غير ذلك.
- ذاتُ عِرْقٍ: مَهَلُّ أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق.
- ذو بَقَر: وادٍ بين أخيلة الحمى حمى الرَّبَذَةِ.
- رَامَةُ: منزل بينه وبين الرَّمادة[1] ليلة في طريق البصرة إلى مكة.
- الرقمتان: قال العمراني: الرقمتان روضتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد. وقال الأصمعي: الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة.
- الريان: جبل في ديار طيئ، وهو في مواضع كثيرة منها: أن الريان جبل في طريق البصرة إلى مكة. والريان موضع على ميلين من معدن بني سليم، كان الرشيد ينزله إذا حج.

[1] الرمادة: على طريق البصرة، وقيل: موضع في شق بني تميم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- زَرُودُ: رمال بين الثَّعلبيَّة والخُزيميَّة[١] بطريق الحاج من الكوفة.
- سَلْعٌ: جبل بسوق المدينة، قال الأزهري: سلع موضع بقرب المدينة.
- السَّلَمُ: في الأصل شجر ورقة القرظ الذي يدبغ به، وبه سمي هذا الموضع.وذو سلم ووادي سلم بالحجاز.
- السُّمُرَاتُ: من نواحي العقيق.
- السَّنَدُ: بلد معروف في البادية. وقيل: ماء معروف لبني سعد.
- السُّوَيقَةُ: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.
- الشَّرَى: جبل بنجد في ديار طيء، وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع.
- طَيْـبَةُ:اسم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- عُسْفَانُ: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة [٢]ومكة.
- العَقِيقُ: منطقة حول المدينة.
- الغَضَا: من شجر البادية، والغضا: أرض في ديار بني كلاب كانت بها وقعة لـــهم. والغضا: وادٍ بنجد.
- الغُوَيْرُ: تصغير لغور. وقال أبو عبيد السكوني : الغوير ماء بين العقبه و القاع[٣] في طريق مكة فيه بركة و قباب لأم جعفر تعرف بالزُّبيدِيَّة.
- قُبَا: قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.
- القَرِيْنَةُ: اسم روضة بالصَّمَّان[٤]، وقيل واد.
- اللِّوى: في الأصل منقطع الرمل، وهو وادٍ من أودية بني سليم.
- المَأْزَمَانِ: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعب بين جبلين.

---

[١] الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق. والخزيمية: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية مـــن الكوفة وقبل الأحفر.

[٢] الجحفة: قرية كبيرة على طريق أهل المدينة من مكة، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة. وقال الســـكري: الجحفـــة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة.

[٣] القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة.

[٤] الصمان: جبل في أرض تميم، وقيل: قرب رمل عالج بينه وبين البصرة تسعة أيام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مُرْبَخٌ: رمل بالبادية بعينه. وقيل: مُرْبَخ رمل مستطيل بين مكة والبصرة. وقال العمراني: مَرْبَخ بفتح الميم والباء رمل من رمال زَرُود.
- المُصَلَّى: وهو موضع بعينه في عقيق المدينة.
- مِنًى: في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم.
- نَجْدٌ: قيل: كل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد. قال ابن السكري: حد نجد ذات العرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة، وما وراء ذات عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله، فإذا انقطعت الجبال من نحو تهامة فما وراءها إلى البحر فهو الغور، والغور و تهامة واحد.
- نَعْمَانُ: واد بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليلتين من عرفات. وقال الأصمعي: نَعْمَانُ واد بين أدناه ومكة نصف ليلة، به جبل يقال له المدراء.
- وَجْرَةُ: قال الأصمعي: وَجْرَةُ بين مكة والبصرة بينها وبين مكة نحو أربعين ميلا.
- الوَعْسَاءُ: موضع بين الثعلبية والخزيمية على جادة الحاج، وهي شقائق رمل متصلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة تبيّن مواقع بعض الأماكن الّتي وردت في شعر الشّريف الرّضي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

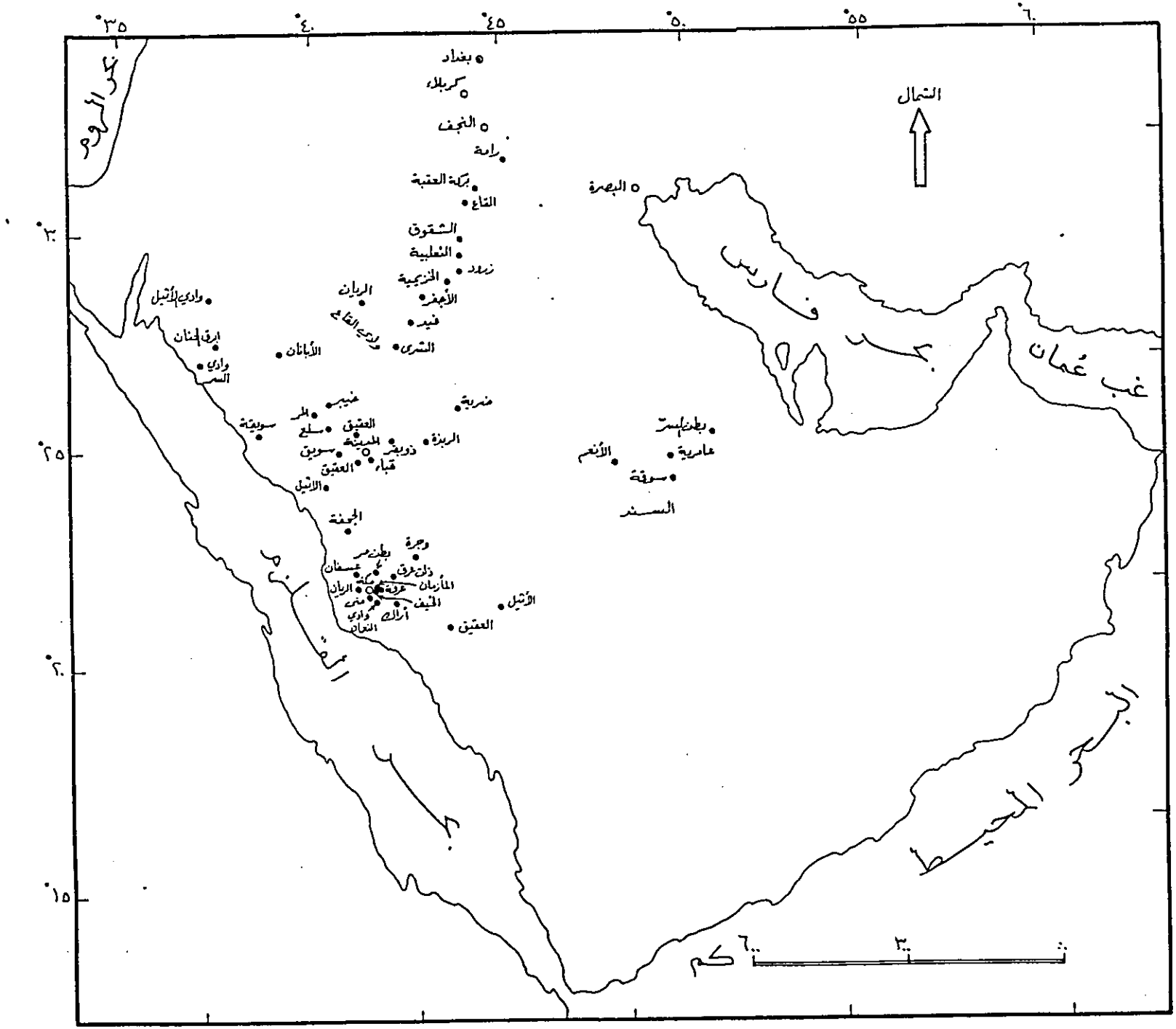

خريطة رقم (٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

[الخفيف]

حيِّ بَيْـنَ النَّقَـا وَبَيْـنَ المُصَلَّـى ... وَقَفَـاتِ الرِّكَـــائِبِ الأَنْضَـــاءِ
وَرَوَاحَ الحَجيـج لَيْلَـــةَ جَمْـــع ... وَبِجَمْـــعٍ مَجَـــامِعُ الأَهْـــوَاءِ
وَتَذَكَّـرْ عَنِّـي مُنَـاخَ مَطِيِّـــي ... بأعَـالي مِنـىً ومَرْسَـى خِبـائي
وَتَعَمَّدْ ذِكْـرِي إذا كنـتَ بالخيـــ ... ـفِ لظبيٍ من بعضِ تلكَ الظِّبَـاءِ
قُلْ لهُ هل تُـراكَ تذكـرُ مـا كـا ... نَ ببَـابِ القُبَيْبَـةِ الحَمْـــراءِ
قالَ لـي صـاحِبي غـداةَ التَقَيْنَـا ... نَتَشَـاكَى حَـرَّ القُلُـوبِ الظَّمَـاءِ
كُنتَ خَبَّرْتَنِي بـأنَّكَ فـي الوَجْـ ... ـدِ عَقِيـدي وأنَّ داءكَ دائـــي
ما تَرَى النَّفْـر والتَّحَمُّـلَ للبَيْـ ... ـنِ فَمـاذا انتِظارُنـا للبُكَـاءِ
لَمْ يُقَلْها حتـى انثنَيْـتُ لمَـا بـي ... أتَلَقَّـى دَمْعـي بفَضْـلِ رِدائـي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

[السريع]

هَلْ نَاشِـــدٌ لـــي بِعقيـقِ الحِمَـــى ... غُزَيِّـلاً مَـرَّ عَلـــى الرَّكْـــبِ

أفْلَـتَ مِـــنْ قَانِصِـــهِ غِـــرَّةً ... وَعَـادَ بـالقَلْبِ إلـى السِّـــرْبِ

وَأظْمَـأ القَلْـبَ إلـــى مَـــالِكٍ ... لا يُحْسِـنُ العَـدْلَ عَلـى القَلْـبِ

يَعْجَبُ مِنْ عُجْبي بهِ فـي الـهَوَى ... وَاعَجَبـي مِنـْهُ وَمِـنْ عُجْبِـــي

أقْـرُبُ بـــالوُدِّ وَيَنْـــأى بـــهِ ... وَيْلي عَلـــى بُعْـدِكَ مَـنْ قُـرْبِ

مُنَعَّـمٌ يَعْطِـفُ مِنـْـهُ الصِّبَـا ... لِعِنْبَ الصَّبَـا بـالغُصُنِ الرَّطْـبِ

بَـلادةُ النِّعْمَـةِ فـــي طَبْعِـــهِ ... وَرُبَّمَـا نَـاقَشَ فـــي الحُـــبِّ

أمَـا اتَّقَـى اللهَ عَلـى ضَعْفِـــهِ ... مُعَـذِّبُ القَلْـــبِ بِـــلا ذَنْـــبِ

يا مَـــاطِلاً لـي بِدُيُـونِ الـهَوَى ... مَـنْ دَلَّ عَيْنَيْـكَ عَلـى قَلْبـــي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

[الخفيف]

أيُّ عِيدٍ مِن الـــهوَى عـادَ قَلبـي ... بعدما جَعجَـعَ الدّجَـى بـالرّكْبِ[١]

لو دَعَاني مِنْ غَـيرِ أرْضِـكَ داعٍ ... لغَـرَامٍ لَكُنْـتُ غَـيرَ مُلَبّـي

أيْن ظَبيٌ بِذِي النّـقَا يُوقِـدُ النّـا ... رَ عِشَـاءً بـالمَنْدَلِيّ الرّطْـبِ[٢]

كُلّمَا أُخْمِدَتْ زَهَاهَا بضَـوءِ الـ ... ـحُسنِ مِن جِيدِهِ وَضَـوْءِ القَلـبِ

سَكَنَ الهَضْبَ مِـنْ قَبَـا فوَجَدنـا ... أثَـراً للـهَوَى بـذاكَ الـسَـهْضبِ

لَيْـتَ أحبَابَنَـا وَقَـدْ أشْـرَقُونَا ... سَوّغُونَا بَـرْدَ الـزُّلالِ العَـذْبِ[٣]

يَا لهَا نظرَةً عَلى الشّـعبِ دَلّتْـ ... ـني غُرُوراً عَلى غَزَالِ الشّـعْبِ

قَسَمُوا السّوءَ بينَ عَيْنِـي وَقَلبـي ... لِمْ جَنَـى نـاظري فَعَـذّبَ قَلبْـي

---

[١] جعجع بالركب: اضطرهم للنزول إلى الأرض، وجعجع بمعنى صوت وضج.

[٢] المندلي: العود الهندي.

[٣] أساغ الطعام والشراب: سهل مدخله إلى الحلق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

[الكامل]

وَلَقَدْ مَرَرْتُ على دِيَارِهِمُ ... وَطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَى نَهْبُ
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ ... نِضْوِي وَلَجَّ بِعَذْلِيَ الرَّكْبُ[1]
وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ ... عَنْهَا الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ

[1] اللغب: التعب. النضو: البعير المهزول. لج: ألح عليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥)

[الطويل]

يَقِرُّ بعَيْنِي أنْ أرَى لَكِ مَنْزِلاً ... بِنُعمَانَ يُزْكُو تُرْبُهُ وَيَطِيبُ
وَأرْضاً بِنُوّارِ الأقَاحي صَقيلَةً ... تَرَدَّدُ فيهَا شَمْأَلٌ وَجَنُوبُ
وَأيُّ حَبيبٍ غَيَّبَ النأيُ شَخْصَهُ ... وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وخُطُوبُ
تَطاوَلَتِ الأعلامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَأصْبَحَ نَائي الدارِ وَهوَ قَرِيبُ
لكِ اللهُ من مَطلولَةِ القَلبِ بالهَوى ... قَتيلَةِ شَوْقٍ والحَبيبُ غَريبُ
أُقِلُّ سَلامي إنْ رأيْتُكِ خِيفَةً ... وَأُعْرِضُ كَيما لا يُقَالَ مُرِيبُ
وَأُطْرِقُ والعَينانِ يُومِضُ لحظُها ... إلَيكِ وَمَا بَيْنَ الضّلوعِ وجيبُ[1]
يَقُولونَ مَشغُوفُ الفُؤادِ مُرَوَّعٌ ... وَمَشغُوفَةٌ تَدْعُو بِهِ فَيُجِيبُ
وَمَا عَلِمُوا أنّا إلى غَيرِ رِيبَةٍ ... بَقَاءَ اللّيَالي نَغْتَدِي وَنَؤُوبُ
عَفَافِيَ مِنْ دُونِ التّقِيّةِ زَاجِرٌ ... وَصَوْنُكِ من دونِ الرّقيبِ رَقيبُ
عَشِقتُ وَما لي يَعلَمُ اللهُ حاجَةٌ ... سوَى نَظَري والعاشِقُونَ ضُرُوبُ
وَمَا ليَ يَا لَمْيَاءُ بالشّعرِ طائِلٌ ... سِوَى أنّ أشعاري عَلَيكِ نَسيبُ
أُحِبّكِ حُبّاً لَوْ جَزَيْتِ بِبَعضِهِ ... أطاعَكِ مِنّي قَائِدٌ وَجَنِيبُ[2]
وَفي القَلبِ داءٌ في يَدَيْكِ دَوَاؤُهُ ... ألاَ رُبّ داءٍ لا يَرَاهُ طَبِيبُ
سَرَى لكِ مِنْ أوْطانِهِ كلُّ عارِضٍ ... تَضاحَكَ فيهِ البَرْقُ وهَوَ قَطُوبُ
وَلا زَالَ خَفّاقُ النّسيمِ مُرَقْرِقاً ... عَلَيْكِ وأنْوَاءُ الغَمَامِ تَصُوبُ

---

[1] الوجيب: الخفقان.

[2] قائد وجنيب: أراد الخيل التي تستخدم وتقاد والخيل التي تترك جانباً لحين الحاجة. كنى بذلك عن انقياده المطلق للمحبوبة إن وافقت على وصاله وجازته على حبه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦)

[الكامل]

وَشَمَمْتُ في طَفَلِ العَشِـــيّة نفحَـــةً ... حَبَسَتْ بِرَامَةَ صُحْبَتَـــي وَرِكِـــابي[١]

مُتَمَلْمِلِيـــنَ عَلَـــى الرّحَـــالِ كأنّمَـــا ... مَرّوا ببَعْـــضِ مَنَـــازِلِ الأحْبَـــابِ

ذَكَرَتْ ليَ الأرَبَ القَدِيم مَن الـــهوَى ... عَهْدَ الصِّبَـــا وَلَيَـــاليَ الأطْـــرَابِ

فَبَعَثْتُ دَمعي ثمّ قُلْـــتُ لصَـــاحبي ... إيـــهٍ دُمُوعَـــكَ يَـــا أبَـــا الغَـــلاّبِ

في سَاعَةٍ لَمّا التَفَتُّ إلـــى الصِّبَـــا ... بَعُـــدَتْ مَسَـــافَتُهُ عَلَـــى الطُّـــلاّبِ

وَتَـــأرّجَتْ مِنـــهَا ذَلاذِلُ رَيْطَتـــي ... حَتّى تَعَـــارَفَ طيبَـــهَا أصْحَـــابي[٢]

فَكَأنّمَـــا اســـتَعبقَتْ فَـــارَةَ تَـــاجِرٍ ... وَبَعَثْـــتُ فَضْلتَـــهَا إلـــى أثْوَابـــي[٣]

أشْكو إليكَ ومَن هَـــوَاكَ شِـــكايتي ... وَيَهُونُ عِندَكِ أنْ أبيتَ كَمَـــا بـــي

يا مَاطِلي بـــالدَّين وَهـــوَ مُحَبَّـــبٌ ... مَنْ لـــي بِدائِـــمِ وَعْـــدِكَ الكَـــذّابِ

---

[١] طفل العشي: قبل غروب الشمس. برامة: السآمة والضجر.

[٢] تأرجت: تعطرت بالأريج. ذلاذل: جمع ذلذل، وهو أسفل الثوب. وقد جاءت في الديوان زلازل، والصواب ما ذكر. الريطة: الملاءة من نسج واحد، أي من قطعة واحدة.

[٣] استعبقت: طلبت العبق، وهو الرائحة الطيبة. فارة: وعاء الطيب والمسك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧)

[الطويل]

ألا أيّها الرّكبُ اليمَـــانُونَ عَـــهْدكم ... عَلى مَـــا أرَى بـــالأبْرَقَينِ قَرِيـــبُ
وإنَّ غَـــزَالاً جُزْتـــُـــمُ بكِنَاسِـــــهِ ... عَلى النّأيِ عِندِي وَالمطالِ حبيَـــبُ
وَلمّا التَقَينَا دَلّ قَلْبي عَلى الجَـــوَى ... دَليلان: حُسنٌ في العُيُونِ وَطيـــبُ
وَلي نَظْرَةٌ لا تَمْلِكُ العيَـــنُ أُختَـــها ... مَخَافـــةَ يثنوهـــا علـــيّ رَقِيـــبُ
وَهَلْ يَنْفَعنّي اليَوْمَ دَعْـــوَى بـــراءةٍ ... لقَلبي وَلحظي يـــا أَميَـــمَ مُرِيـــبُ
وَأنْهلَنَي في القَعْبِ فَضْـــلُ غَبوُقـــهِ ... خَليطان: رِيقٌ بَـــارِدٌ وَضَرِيـــبُ[1]
وَلَوْ نَفَضَتْ تِلكَ الثّنِيـــاتُ بَرْدَهـــا ... عَلى الصّبِرِ المَمْرُورِ كادَ يَطِيـــبُ
فَيَا بَرْد مَاءٍ ذابَ مـــا ذيـــقَ بَـــرْدُهُ ... بَلَى إنّ لـــــي قَلْبـــًا عَلَيـــهِ يَـــذُوبُ

[1] القعب: القدح. الغبوق: ما يشرب في العشي. الضريب: العسل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨)

[الكامل]

لا يُبعِدَنّ اللهُ بُرْدَ شَبيبةٍ ... ألقيتُه بِمِنىً ورُحْتُ سَليبا
شَعْرٌ صَحِبتُ بهِ الشبابَ غُرَانقاً ... والعيشَ مُخضَرَّ الجنَابِ رَطيبا[1]
بعدَ الثلاثِينَ انْقِراضُ شَبيبة ... عَجَباً أميمَ لقد رأيتُ عَجيبا
قد كانَ لي قَطَطاً يُزينُ لِمّتي ... شَرْوَى السِّنانِ يُزَيِّنُ الأُنبُوبا[2]
فاليَومَ أطْلُبُ الهَوى مُتَكلِّفاً ... حَصِراً وَألقَى الغانياتِ مُرِيبَا[3]
إما بكيتُ على الشّبابِ فإنّهُ ... قدْ كانَ عهدِي بالشبابِ قريباً
لو كانَ يَرجِعُ مَيِّتٌ بتَفَجّعٍ ... وجَوىً ، شَقَقتُ على الشبابِ جيوبا
ولَئن حَنَنْتُ إلى مِنىً من بَعدِها ... فلقدْ دفنتُ بها الغَداةَ حبيبا

---

[1] الغرانق: الشاب الأبيض.

[2] القطط: الشعر القصير المجعد. اللمة: شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن. شروى: مثل. السنان: نصل الرمح. الأنبوب: الرمح.

[3] حصرا: ضيق الصدر حرجا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٩)

[الطويل]

أغيبُ فأنسَي كلّ شيءٍ سوى الهوَى ... وإن فَجَعَتْني بالحَبيب النَّوائبُ
ولا زادَ يومُ البَيْنِ إلاّ صَبابَةً ... فلا الشوقُ مَنْسيٌّ ولا الدمعُ ناضِبُ
أحِنّ إذا حَنّتْ ركابي وفي الحشا ... بلابِلُ لا تَعْيَا بهِنّ النّجَائبُ[1]
فعندي اشتياقٌ ما يَحِنّ أخو الهَوى ... وعندي لُغُوبٌ ما تَحِنّ الركائبُ
وإني لأرْعَى مِن وَدادِ أحِبّتي ... على بُعْدٍ مَا لا تُراعي الأقارِبُ

[1] النجيب من الإبل: القوي، الخفيف السريع. والنجائب هنا بمعنى النياق الكريمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٠)

[مجزوء الرمل]

مَنْ مُعيدٌ لي أيّا ... مي بجزْعِ السّمُرَاتِ
ولَيالِيّ بِجمْعٍ ... ومنِيّ والجَمَراتِ
وظِباءً حالِياتٍ ... كَظباءٍ عاطِلاتِ
رائِحاتٍ في جَلابيـ ... ـبِ الدّجَى مُختَمِراتِ
رامياتٍ بالعُيونِ الـ ... ـنُّجْلِ قَبْلَ الحَصياتِ
أَلِعِقْرِ القلبِ راحُوا ... أم لِعِقْرِ البُدُناتِ
كيفَ أودَعْتُ فُؤادي ... أعيناً غيْرَ ثِقاتِ
أيّها القانصُ ما أحْـ ... ـسَنْتَ صَيْدَ الظَبْياتِ
فاتَكَ السّرْبُ وما زُوّ ... دْتَ غيرَ الحَسَراتِ
يا وُقوفاً ما وَقَفْنَ ... في ظِلالِ السّلَماتِ
مَوْقِفاً يجمعُ فِتْيَا ... نَ الهَوى والفَتَياتِ
نَتشاكى ما عَنانا ... بِكَلامِ العَبَراتِ
نَظَرٌ يَشْغَلُ منّا ... كلَّ عينٍ بقَذاةِ
كم نَأى بالنّفْرِ عنّا ... مِنْ غزالٍ ومَهاةِ
آهِ مِنْ جِيدٍ إلى الـ ... ـرِ كثيرِ اللّفَتاتِ
وغرامٍ غيْرِ ماضٍ ... بِلقاءٍ غَيْرَ آتِ
فسقى بطْنَ منىً والـ ... ـخَيْفَ صَوْبَ الغادياتِ
وزماناً نائِمَ العُذْ ... الِ مأمونَ الوُشاةِ
في لَيالٍ كاللآلي ... بالغَواني مُقْمِراتِ
غرَسَتْ عِندي غَرْسَ الـ ... ـشّوْقِ مَمْرورَ الجَناةِ
أينَ راقٍ لِغَرامي ... وطَبيبٌ لِشَكاتي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١١)

[الطويل]

أقولُ وقدْ جازَ الرِّفاقُ بـــذي النّقَـا ... ودونَ المطايـا مُرْبَـــــخٌ وَزَرُودُ
أتَطْلُبُ يا قَلْبي العِراقَ من الحِمَـــى ... لِيَهْنَكَ مِـــنْ مَرْمَـــىً عليـك بَعيـدُ
وإنّ حديثَ النفسِ بالشـــيءِ دونَـــهُ ... رِمالُ النّقـــا مِـنْ عـــالجٍ لَشـديدُ
ترى اليومَ في بغدادَ أندِيةَ الـــهَوى ... لـــها مُبْـدِئٌ مِـنْ بَعدِنـا وَمُعيـدُ
فمِنْ واصفٍ شوقاً ومِن مُشتكٍ حشـاً ... رَمَتْـــهُ المَرامـــي أعْيُـنٌ وخُـدودُ
تَلَفّتَ حتى لم يَبِـــنْ مِـنْ بلادِكـم ... دُخـــانٌ ولا مِـنْ نـارِهِنّ وَقُـــودُ
وإنّ التِفاتَ القلبِ منْ بعـدِ طَرْفـه ... طَـوالَ اللّيـالي نَحْوكُـم لَـيَزيدُ
ولما تدانى البَيْنُ قالَ لـيَ الـهَوى: ... رُويداً ! وقالَ القلبُ: أيـــنَ تُريـدُ
أتطْمَعُ أن تَسْلو على البُعدِ والنّـوَى ... وأنتَ على قُرْبِ المـــزارِ عَميـدُ[1]
ولو قالَ لي الغادونَ: ما أنتَ مُشـتَهٍ ... غَداةَ جَزَعْنا الرملَ قلـتُ : أعـودُ
أأصْبِرُ والوَعْســـاءُ بينـــي وبَينكُـم ... وَأعـــلامُ خَبْـتٍ إننـــي لَجَليـــدُ[2]

---

[1] عميد: مريض.

[2] جليد: صابر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٢)

[المتقارب]

تَحَمَّلَ جيرانُنا عَنْ مِنًى ... وقالُوا: النَّقَا بيْنَنَا موعِدُ
وهَلْ ناقِعٌ قَوْلُ ذي غُلَّةٍ ... وقَدْ بَعُدَ الرَّكْبُ: لا يَبْعَدُوا[1]
تَنادَوْا بأَنَّ النَّوَائي غَدًا ... لكَ السوءُ مِنْ طالعٍ يا غَدُ
فللّهِ ما جَمَعَ المأزَمَا ... نِ وَجَمْعٌ لقَلْبِيَ والمَسْجِدُ
يُضاعُ فَيُنْشَدُ قَعْبُ الغَبُوقِ ... وقَلْبِي يُضاعُ ولا يُنْشَدُ[2]
وغيداءَ مِنْ ماطِلاتِ الدّيُونِ ... لها بالحِمَى زَمَنٌ أغْيَدُ
تَرِيعُ كما التَفَتَتْ ظَبْيَةٌ ... بِذِي البَانِ عَنّ لَهَا المَوْرِدُ
نَظَرْتَ وهَيهاتَ مِنْ ناظِرَيْكَ ... ظِباءُ تِهامَةَ يَا مُنْجِدُ
ويَا ربّما والهَوى ضِلّةٌ ... تَرَى العينُ ما لا تنالُ اليدُ

---

[1] ناقع: المسكن. ذو غلة: العطشان.

[2] القعب: القدح الضخم. الغبوق: ما يشرب في العشي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٣)

[الطويل]

ألا يا لَيالي الخَيفِ هلْ يَرْجِعُ الهوَى ... إليكنّ لي لا جازكنّ ندَى القَطْـــرِ[١]
فَيادِينَ قلْبي مِنْ ثَلاثٍ عَلـــى مِنـــىً ... مَضَينَ ولم يُبقِينَ غيرَ جوَى الذّكْـرِ[٢]
ورامِينَ وَهْنـــاً بالجِمـــارِ وإنمّـــا ... رَمَوا بينَ أحشاءِ المُحبّينَ بـــالجَمْرِ
رَمَوْا لا يُبالُونَ الحَشَى وتَرَوّحـــوا ... خَليّينَ والرّامي يُصيبُ وَلا يـــدري
وقالوا غداً ميعادُنا النَّفْرُ عن منـــىً ... وما سرّني أنّ اللّقاءَ مَـــعَ النَّفْـرِ[٣]
ويا بُؤس للقُرْبِ الـــذي لا نَذوقُـــهُ ... سوى ساعَةٍ ثم البَعادُ مَدى الدّهْـــرِ
فيا صَاحبي إنْ تُعطِ صبراً فـــإنّني ... نزَعتُ يدَيّ اليومَ من طاعةِ الصّبرِ
وإنْ كُنتَ لمْ تَدْرِ البُكَا قبـــلَ هـــذه ... فميعادُ دَمعِ العينِ مُنقَلَـــبُ السّـــفرِ

---

[١] القطر: المطر.

[٢] الجوى: حرقة القلب من أثر العشق.

[٣] النفر: الارتحال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٤)

[المتقارب]

أقُـولُ وقـد عَـادَ عِيْـدُ الغَـرَامِ ... لمَّـا هَبَطْـنَ بنَـا الأَجْفَـرَا
أيَـا صـاحِبي! أتَـرَى نـارَهُمْ؟ ... فقـالَ: تُرِينـيَ مَـا لا أرَى
دَعَـاني الغَـرامُ ولـمْ يَدْعُـهُ ... فَـأبصَرْتُ مـالم يكُـنْ مُبصِـرَا
فَمَـا زِلـتُ أُطرِبُـهُ بـالحَنِينِ ... وأُذْكِـرُهُ المَـنْزِلُ المُقْفِـرَا
إلـى أنْ تَنَفَّـسَ عـنْ زَفْـرَةٍ ... وَأَنَّ مِـنَ الوجْـدِ مُسْـتَعْبِرَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٥)

[الطويل]

إذا ضَـافَني هَـمٌّ أمَـلَّ طُرُوقَـهُ ... ببعض اللّيالي أوْ أضِيقُ بـه صَـدْرًا
ولَمْ أرَ لي مَـا يطْـرُدُ الـهَمَّ مِثْلَـهُ ... سَمَاعًا يُجَلّي عن ضميرٍ ولا خَمـرَا
أقُـولُ لنَدْمَـانَيّ كُـرّا إلـى المُنَـى ... وَذكرِ التّصَابي وَاندُبا ذلكَ العَصْـرا
فقدْ طالَ ما أحدَثْـتُ عـهدًا بطَيبَـةٍ ... فَرُدّا عَليّ القَوْلَ أُحـدثْ بـه ذِكْـرا
فمـا كـانَ إلاّ خِلْسَـةً ثُـمّ إنّنـي ... رَأيْتُ يَدِي مِمّا عَلِقـتُ بـهِ صِفْـرَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٦)

[الخفيف]

عِنـدَ قَلْبـي عَلاقَـةٌ مَـا تَقَضّـى ... وَجَـوًى كُلّمـا ذَوَى عـادَ غَضّـا
وَبُكَـاءٌ عَلَـى المنـازِلِ أبْلَتْـ ... ـهُنّ أيدِي الأيّـامِ بَسْـطًا وَقَبْضَـا
وَالتِفاتٌ إلى التّصَـابي وقـد أسـ ... ـرعَ بي جـامِحُ الثلاثِيـنَ رَكْضَـا
مَنْ مُعيـدٌ أيـامَ ذي الأثْـلِ أوْ مَـا ... قَـلّ مِنـها دَيْنًـا عَلـيّ وقَرْضَـا
سـامِحًا بـالقَليلِ مِـنْ عـهدِ نجـدٍ ... ربّمـا أقْنَـعَ القليـلُ وأرْضَـى
إنّ عيـدًا مِـنَ الغَوانـي إذا رُمْـ ... ـتُ التّسَلّي أشْجى لقلبـي وأنضَـى
وإذا مـا عَزمْتُ صـبرًا أرَتْنـي ... مُقَـلاً تَفْسَـخُ العزائِـمَ مَرْضَـى
مَحسِـناتٌ إلـى الغَريـمِ مطـالاً ... مَنَـعَ الـدّلُّ دَيْنَـها أنْ يُقَضّى[1]
وإذا مَـا أمَتْـنَ بـالبُعْدِ بَعْضًـا ... مِنْ فُؤادي أحيَيْـنَ بـالقُرْبِ بعضَـا
فسـقَى الرمـلَ مـنزلاً ومَعَانًـا ... هَزجـاتٌ يَنبِضْـنَ بـالبَرْقِ نَبْضَـا[2]
ومَشَـتْ فيـهِ بالنسـيمِ عَليـلاً ... قِطَعُ المُزْنِ في الريـاضِ المرضَـى
ما لِذا الزّوْرِ ما يَغِـبّ مـن الرّمْـ ... ـلِ طُرُوقا في مَضْجعٍ قَـدْ أُقِضّـا
مُهْدِيًا لي مـن طيـبِ أرواحِ نجـدٍ ... ما يُداوي نُكسَ العليـلِ المُنَضّـى[3]
لم يكن غـيرَ خَطْـرَةِ الـبرقِ مـا ... زوّدَ عَيـنَ المَشُـوقِ إلاّ ومِضَـا
قـادَهُ الغَمـضُ مِـنْ زَرُودَ فلَمّـا ... زارَ أنبَـى عَـنْ مُقلَتَـيّ الغُمْضَـا[4]

---

[1] الدل: الدلال.

[2] المعان: المنزل. هزجات: ترنيمات.

[3] النكس: معاودة المرض. المنضى: المهزول.

[4] الغمض: المطمئن من الأرض. الغمض: انطباق الجفن، النوم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٧)

[الكامل]

سَنَحَتْ لَنا بلـوَى العقيـقِ ورُبّمـا ... عَرَضَ الزُّلالُ وذيد عنهُ الفـارِطُ[1]
قَلْبي وطَرْفي يـومَ حُـمّ لِقاؤهَـا ... ضِـدّانِ ذا رَاضٍ وهـذا سـاخِطُ
نَظَرَتْ بلا قصْدٍ فأقصَدتِ الحَشَـا ... وَيُذيقُ طَعمَ المـوْتِ سـهم غـالط
قُلْ للغزالِ إذا مَرَرْتَ بـذي النّقَـا ... فلَعـلّ جَأشَـكَ للبَلابِـلِ رابِـطُ
لِمْ أنْتَ في هِبَـةِ القليـلِ مُنـاقِشٌ ... أبداً وفي عِـدَةِ الوصـالِ مُغَـالطُ

[1] الزلال: الماء العذب الصافي. ذيد: طرد عنه ودفع. الفارط: المتقدم إلى الورد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٨)

[الخفيف]

عارِضَا بي رَكْبَ الحجـــازِ أُسائلْـــ ـــــه:متـــى عـــهدُه بســكانِ سَـــلْعِ
واستَمِلاّ حديثَ مـــن ســكَنَ الخَيْـــ ـــــفَ ولا تَكتُبـــاهُ إلا بدَمعـــي
فـــاتَني أن أرى الدّيـــارَ بطَرْفـــي فَلَعلّـــي أرَى الديـــارَ بسَـــمعي
يـــا غـــزالاً بيـــنَ النّقـــا والمُصَلّـــى ليـــسَ تبقَـــى علـــى نِبَـــالِكَ دِرْعـــي
كلمـــا سُـلّ مِـــنْ فُـــؤادِيَ سَـــهْمٌ عـــادَ ســـهْمٌ لكـــم مَضِيـــضَ الوَقْعِ[1]
وتَحرّجـــتَ يـــومَ رحـــتَ حَرامـــاً مِنْ عَطـــائي فمَـــنْ أبـــاحَكَ مَنعـــي
مَـــنْ مُعِيـــدٌ أيـــامَ سَـــلْعٍ علـــى مَـــا كـــان منـــها وأيـــنَ أيـــامُ سَـــلْعِ
طـــالِبٌ بـــالعراقِ يَنْشُـــدُ هَيْـــها تَ زَمانـــا أضَلّـــهُ بـــالجِزْعِ

---

[1] مضيض: مؤلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٩)

[الطويل]

أقولُ وما حَنّتْ بذي الأثْلِ نـــاقَتي : قِرِي لا يَنَلْ منكِ الحَنينُ المُرَجَّـــعُ[١]
تَحِنّينَ إلاّ أنّ بـــي لا بـــكِ الـــهَوى وَلي لا لكِ اليومَ الخليـــطُ المُـــوَدِّعُ
وباتَتْ تَشَكّى تحتَ رَحلي ضَمانَـــةً كِلانا إذاً يـــا نـــاقَ نضْـــوٌ مُفَجَّـــعُ[٢]
أحَسّتْ بِنارٍ في ضُلوعي فـــأصبَحَتْ يَخُبّ بها حَـــرُّ الغَـــرامِ و يُوضَـــعُ
أرُوحَ بِفِتْيانٍ خِماصٍ مِـــنَ الجَـــوَى لـــهم أنّـــةٌ فـــي كـــل دارٍ وَ أدْمُعُ[٣]
إذا غَرَّدَ الرَّكْـــبُ الخَفـــيّ تـــأوّهُوا لِما وَجَدوا بَعدَ النَّـــوَى و تَوَجّعُـــوا
على أبْـــرَقِ الحَنّـــانِ كـــانَ حَنينُنَـــا وبالجِزْعِ مَبكىً إنْ مَرَرْنا ومَجْـــزَعُ
تَزافرَ صَحبي يومَ ذي الأثْلِ زَفـــرَةً تَذوبُ قلوبٌ مـــنْ لَظاهـــا وأدْمُـــعُ
منـــازِلُ لَـــمْ تَسْـــلَمْ عليـــهِنّ مُقْلَـــةٌ ولا جَفَّ بعدَ البَيْـــنِ فيـــهِنّ مَدْمَـــعُ
فَدَمْعٌ عَلـــى بَـــالي الدِّيَـــارِ مُفَـــرَّقٌ وَقَلْبٌ عَلـــى أهْـــلِ الدِّيَـــارِ مُـــوَزَّعُ
أرَى اليأسَ حتّى تَعزِمَ النّفسُ ســـلوَةٌ وَيَرْجِعَ بي داعي الغَـــرَام فـــأطمَعُ
ذَكَرْتُ الحمى ذِكرَ الطَّرِيـــدِ مَحَلّـــهُ يُـــذادُ مَـــذادَ العَاطِشَـــاتِ وَيُرْجَـــعُ
وَأينَ الحِمَى لا الدّارُ بالدّارِ بعدَهـــمْ وَلا مَرْبَـــعٌ بَعْـــدَ الحَنِيـــنِ مُرَبّـــعُ
سَلامٌ عَلى الأطْلالِ لا عَـــنْ جِنَايَـــةٍ وَإنْ كُنَّ يأساً حِينَ لَمْ يَبْـــقَ مَطمَـــعُ
نَشَدْتُكُمُ هَـــل زَالَ مِـــنْ بَعـــدِ أهلـــه زَرُودٌ وَرَامَتْـــهُ طُلُـــولٌ وأرْبُـــعُ
وَهَلْ أنْبَتَ الوَادي العَقيقـــيُّ بَعدَهـــم وَبُدِّلَ بـــالجِيرَانِ شِـــعْبٌ وَ لَعْلَـــعُ[٤]
فَيَا قلبي إنْ يَفْـــنَ العَـــزَاءُ فَطالمَـــا عَـــهِدْتُكَ بَعـــدَ الظّـــاعِنِينَ تَصَـــدَّعُ
وَقَد كانَ مِنْ قَلبي إلى الصّبرِ جـــانِبٌ فقلبيَ بَعـــدَ اليَـــوْمِ للصّـــبرِ أجمَـــعُ
نَعَمْ عادَني عِيـــدُ الغَـــرَامِ وَ نَبّـــهتْ عَلَـــيّ الجَـــوَى دارٌ بِمَيْثَـــاءَ بَلْقَـــعُ
وَ طَارَتْ بِقَلبـــي نَفْحَـــةٌ غَضَوِيّـــةٌ يُنَفّسُها حالٌ مِنَ الـــرّوْضِ مُمـــرِعُ
أصُـــدُّ حَيَـــاءَ للرِّفَـــاقِ وَإنّمَـــا زِمَامِيَ مُنقَـــادٌ مَـــعَ الشّـــوْقِ طَيِّـــعُ

---

[١] قري: أمر من وقر: أي كوني رزينة، ذات وقار، اثبتي.

[٢] ضمانة: الداء.

[٣] خماص: ضامر البطن.

[٤] الشعب: الطريق في الجبل، مسيل الماء في الوادي. اللعلع: السراب

[٥] الغضوية: نسبة الى الغضا، وهو شجر صلب يبقى جمره زمنا طويلا لا ينطفئ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نَظَرْتُ الكَثيبَ الأيمَنَ اليومَ نَظـــرَةً ... تَرُدّ إليّ الطّـــرْفَ يَدمـــى وَيَدْمَـعُ
وَرُبّ غَـزَالٍ داجِـنٍ فـي كِنَاسِـهِ ... عَلى رُقْبَةِ الوَاشِينَ يُعطي وَ يَمنَـعُ[١]
وَأُحسِنُ في الوُدّ التّقاضِي إذا لَـوَى ... وَيَبْـذُلُ مَـنزُورَ النّـوَالِ فـأَقْنَعُ[٢]
وَأيْقَظْتُ للـبَرْقِ اليَمَـانيّ صَاحِبـاً ... بذاتِ النقَا يَخفَـى مِـرَاراً وَيَلمَـعُ
تَعَرّضَ نَجدِيّاً وَ أذكَـى وَ ميضُـهُ ... عَقيقَ الحِمَى منـهُ مَعـانٌ وَ أجْرَعُ[٣]
أأنْـتَ مُعِينـي للغَلِيـلِ بنَظـــرَةٍ ... فنَبْكي عَلى تِلْكَ اللّيَـالي وَ نَجْـزَعُ
مَعاذَ الهَوَى لَوْ كُنتَ مثلي في الـهَوَى ... إذاً لدَعَاكَ الشّوْقُ من حَيـثُ تَسـمَعُ
هَناكَ الكَرَى إنّي منَ الوَجدِ سـاهِرٌ ... وَبُرْءُ الحَشَى إنّي من البَيْنِ مُوجَـعُ
فَلا لُـبّ لـي إلاّ تَمَاسُـكُ سَـاعَةٍ ... وَلا نَوْمَ لـي إلاّ النّعَـاسُ المُـرَوّعُ
تَصَامَمَ عَنـّي لاثِـئاً فَضْـلَ بُـرْدِهِ ... ولا يَحفِلُ الشّوْقَ النّـؤومُ المُقَنّـعُ[٤]
طَوَتْكَ اللّيَـالي مِـنْ رَفيـقٍ كأنّـهُ ... من العَجزِ يَرْبُوعُ المَلا المُتَقَصّـعُ[٥]
يَنَـامُ عَلـى هَـدّ الصّفَـاةِ بَـلاَدَةً ... إذا قَامَ مِنْ نَبْـذِ الحَصَـاةِ المُشَـيّعُ
ألا لَيتَ شـعري كُـلّ دارٍ مُشَـتّتٌ ... ألا مَوْطِنٌ يَدنُـو بشَـمْلٍ و يجمَـعُ
ألا سَلْوَةٌ تَنـهَى الدمـوعَ فتنتَـهي ... ألا مَـوْرِدٌ يَـروي الغليـلَ فيُنْقَـعُ
فَصَبرا على قَرعِ الزمـانِ وغَمـزِه ... وهل يُنكِرُ الحِملَ الذّلُـولُ المُوَقّـعُ
وَهَبتُ له ظهري على عَقرِ غـاربي ... فكـلُّ زِمـامٍ قـادَني منـهُ أتبَـعُ
وكم ظَهرِ صعبٍ عادَ بالذلّ يُمتَطـى ... وَعِرْنِينِ آبٍ بـاتَ بـالضّيم يُقـرَعُ
وقلْ لليـالي حـامِلي ،أو تَحـامَلي ... فلم يبقَ في قوسِ المقـاديرِ مَـنزَعُ[٦]

---

[١] داجن: رابض وساكن. الكناس: ملتف الشجر تأوي إليه الظباء.

[٢] المزور: القليل النافه.

[٣] المعان: المنزل. الأجرع: الأرض المستوية لا تنبت شيئا.

[٤] لاثئا: من لاث العمامة عصبها وربطها.

[٥] اليربوع: نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين. المتقصع: سد باب جحره، ولزمه.

[٦] نزع في القوس: مدها أي جذب وترها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٠)

[الطويل]

ألا يا غَزَالَ الرّملِ مِنْ بَطنِ وَجـــرَةٍ ... أَلِلْوَاجِـدِ الظّمْـآنِ مِنـكِ شُـــرُوعُ[١]

خَلا لكَ في الأَحْشَاءِ مَرْعىً تَـــرُودهُ ... وَصَابَكَ مِـــنْ مـــاءِ الدّمُـــوعِ رَبِيـــعُ

ألا هَلْ إلـــى ظِـــلّ الأَثِيـــلِ تَخَلّـــصٌ ... وَهَـــلْ لِثَنِيّـــاتِ الغُوَيْـــرِ طُلُـــوعُ

وهَلْ بَلِيَتْ خَيْمٌ على أيمَـــنِ الحِمـــى ... وَزَالَـــتْ لَنَـــا بـــالأَبْرَقَينِ رُبُـــوعُ

وَهَـــلْ لِلَيَالِينَـــا الطّـــوَالِ تَصَـــرّمٌ ... وَهَـــلْ لِلَيَالِينَـــا القِصَـــارِ رُجُـــوعُ[٢]

وَلَمْ أنسَ يَوْمُ الجزْعِ حُســـنَاً خَلَسَـــتُه ... بِعَيْنَـــيْ عَلَـــى أنّ الزّيَـــالَ سَـــرِيعُ[٣]

وَلَمّا تَوَاقَفْنَـــا ذَهَلَـــتُ وَلَـــمْ يَحِـــنْ ... لِطَـــيْرِ قُلُـــوبِ العَاشِـــقِينَ وُقُـــوعُ

على حينَ أعدَتْ حيرَتي قَلبَ صَـاحبي ... فَرُحْنَـــا وَسَـــوْطَ العَـــامِرِيّ مَضِيـــعُ

حديثٌ يَضَلّ القَلـــبُ عنـــدَ اســـتِمَاعِه ... فليَـــسَ عَجيبـــاً أنْ يَضَـــلّ قَطِيـــعُ

عَشِيّةَ لي مِنْ رُقْبَـــةِ الحَـــيّ زَاجِـــرٌ ... عَـــنِ الدّمْـــعِ إلا أنْ تَشُـــذّ دمُـــوعُ

وَقَدْ أمَـــرَتْ عَينَـــاكَ عَينَـــيّ بالبُكَـــا ... فَقُـــلْ لـــيَ أيّ الآمِرَيـــنِ أُطِيـــعُ

---

[١] الشروع: ورود الماء.

[٢] تصرم: تقطع، بمعنى أن تنقطع الليالي الطويلة التي تؤرقه.

[٣] الزيال: الفراق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٢)

[الطويل]

وَقَفْتُ بِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ وَقْفَةً ... فَعَزَّ اشْتِيَاقِي وَالطُّلُولُ خواضِعُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا عَلى غَيرِ رِيبَةٍ ... عَلَيْنَا عُيُونٌ للنَّهَى وَمَسَامِعُ

نَفُضَ حَدِيثًا عَنْ خِتَامِ مَوَدَّةٍ ... مَعَاقِلُهَا أَحْشَاؤنَا والأَضَالِعُ

يَكَادُ غُرَابُ اللَّيْلِ عِنْدَ حَدِيثِنَا ... يَطِيرُ ارْتِيَاحاً وَهوَ في الوكْرِ وَاقِعُ

خَلَوْنَا فَكَانَتْ عِفَّةً لا تَعَفُّفاً ... وَقَدْ رُفِعَتْ في الحَيِّ عَنَّا المَوَانِعُ

سَلُوا مَضْجَعَي عَنِّي وَعَنْهَا فإِنَّنَا ... رَضِينَا بِمَا يُخبِرْنَ عَنَّا المَضَاجِعُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٣)

[الطويل]

أقُول لـــهَا بَيْـــنَ الغَدِيرَيْـــنِ وَالنَّقَـا ... سَوَادُ الدُّجَى بَيْني وَبَيْنَ المنَـــاصِفِ[١]

خُذِي الجَانِبَ الوَحشِيَّ لا تَتَعَرَّضِـــي ... لِحَيِّ حِـــلالٍ بـــاللِّوَى والأصَـــالِفِ[٢]

أمَـــامَكِ إنَّ الخَـــوْفَ حَـــادٍ مُشَـــمِّرٌ ... وَما للمَطَايا مثلُ حَـــادي المَخَـــاوِفِ

فَمَرَّتْ تَظُنُّ النَّســـعَ صَوْتـــاً أُجيلُـــهُ ... فَـــلا عُـــذْرَ إلاّ تَتَّقِـــي بالعَجَـــارِفِ[٣]

وَقَعْتُ بِهَا فـــي أوَّلِ الفَجـــرِ وَقعَـــةً ... غِشَاشاً كمَا أقضِـــي أليَّـــةَ حَـــالِفِ[٤]

وَأشْـــمَمْتُهَا رَمْـــلَ الأُنَيْعِـــمِ غُـــدوَةً ... فَسَافَتْ بأنفٍ مُنكِـــرٍ غَـــيرِ عَـــارِفِ[٥]

أُحَمِّلُـــهَا الشَّـــوْقَ القَديـــمَ فتَنْـــبَري ... بأجلادِ عَاني القَلبِ جَـــمِّ المَشَـــاغِفِ

كَثِيرِ التفاتِ الطَّرْفِ في كلِّ مَذهَـــبٍ ... بأنَّهُ مَصْدُورٍ عَلـــى البيَـــنِ لاهِـــفِ

إذا مَـــا دَعَـــاهُ الشَّـــوْقُ رَاوَحَ كَفَّـــهُ ... على لاعجٍ في مُضْمَرِ القَلـــبِ لاطِفِ[٦]

أعَادَ لَهُ الـــبَرْقُ الحِجـــازِيُّ مَوْهِنـــاً ... عقَـــابيل أيَّـــامِ اللِّقَـــاءِ السَّـــوَالِفِ[٧]

---

[١] المناصف: جمع منصف، وهو الخادم.

[٢] الأصالف: الأرض الغليظة.

[٣] النسع: ريح الشمال، وقيل: حبل عريض تشد به الرحال. العجارف: جمع عجرفة، الإقدام في هوج.

[٤] غشاشا: على عجلة.

[٥] سافت: شمت.

[٦] لاطف: داخل.

[٧] موهنا: ليلا. العقابيل: بقايا العشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٤)

[الخفيف]

أيُّـهَا الرّائِـــحُ المُغِـــذُّ تَحَمّـــلْ ... حَاجَـــةً للمُعَـــذَّبِ المُشْـــــتَاقِ
أقرِ عَنّـــي السّـــلامَ أهـــلَ المُصَلّـــى ... وَبَـــلاغُ السّـــلامِ بَعـــــدَ التّلاقـــــي
وَإذا مَـــا مَـــرَرْتَ بـــالخَيفِ فَاشـــهَدْ ... أنّ قَلْبـــــي إليَـــــهِ بالأشْـــــــوَاقِ
وَإذا مَا سُئِلْتَ عَنّـــي فقُـــلْ : نِضْـــــ ... ـــوُهـــوَىً مَـــا أظُنُّـــهُ اليَـــوْمَ بَـــاقِ
ضَاعَ قَلبي فانشُدْهُ لـــي بَيـــنَ جَمـــعٍ ... وَمِنىً عنـــدَ بَعـــضِ تِلـــكَ الحِـــداقِ
وَابكِ عَنّي فَطالَمَا كُنـــتُ مِـــنْ قَبَـــ ... ـــلٍ أُعِـــيرُ الدّمُـــــوعَ للعُشّـــــاقِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٥)

[الطويل]

أمِنْ ذِكْرِ دارٍ بـالمُصَلّى إلـى مِنـىً ... تُعَـادُ كمَـا عِيـدَ السّـليمُ المُـؤرَّقُ
حَنِينـاً إليْـهَا وَالنّـوَاءُ مِـنَ الجَـوَى ... كَأنّكَ في الحَـيّ الوَلـود المُطَـرَّقُ[1]
أألله، إنّـي إنْ مَـرَرْتُ بأرْضِـهَا ... فُـؤادِيَ مَأسُـورٌ وَدَمْعـيَ مُطْلَـقُ
أكُـرّ إلَيْـهَا الطّـرْفَ ثـمّ أرُدّهُ ... بإنسانِ عَينٍ في صَرَى الدّمعِ يَغـرَقُ[2]
هَوَايَ يَمَانٍ كَيفَ ، لا كَيـفَ نَلتَقـي ... وَرَكْبـيَ مُنْقَـادُ القَرِينَـةِ مُعْـرِقُ
فَوَاهاً مِنَ الرّبْعِ الـذي غَـيّرَ البِلـىَ ... وَآهاً عَلـى القَـوْمِ الّذِيـنَ تَفَرّقُـوا
أصُونُ تُرَابَ الأرْضِ كَانُوا حُلولَـها ... وَأحذَرُ مِنْ مَـرّي عَلَيـهَا وَأُشـفِقُ
وَلَمْ يَبقَ عِندِي للـهَوَى غَـيرَ أنّنـي ... إذا الرّكبُ مَرّوا بي على الدّارِ أشـهَقُ

---

[1] المطرق: من طرقت الحامل بولدها: نشب في بطنها، و لم يسهل خروجه.

[2] الصرى: الماء إذا طال مكثه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٦)

[مجزوء الرمل]

خَلِّ دَمْعِي وَطَرِيقَهْ ... أحَرَامٌ أنْ أُرِيقَهْ

كَمْ خَلِيطٍ بَانَ عَنِّي ... مَا قَضَى الدَّمْعُ حُقُوقَهْ[١]

يَا شَقِيقِي وَالقَنَا يُغْـ ... ـضِبُ فِي العَدْلِ شَقِيقَهْ

عَاصِياً نَاصِحَةُ الأقْـ ... ـرَبَ وُدّاً ، وَرَفِيقَهْ

مِنْ لِبَرْقٍ هَبَّ وَهْناً ... مِنْ أبَانَيْنِ وَسُوقَهْ[٢]

مِنْ شُرَيْقِيِّ الحِمَى يَنْـ ... ـشُدُ نَجْداً وَعَقِيقَهْ

مِنْ غَمَامٍ كَالمَتَالِي ... يَنقُلُ اللَّيْلَ وَسُوقَهْ[٣]

لاحَ فاقتَادَ فُؤاداً ... عَازِبَ اللُّبِّ مَشُوقَهْ[٤]

طَالَ ذِكْرُ النَّفْسِ أرْ ... وَاحَ زَرُودٍ وَبُرُوقَهْ

وَعَقَابِيلَ غَرَامٍ ... يُذْكِرُ القَلْبَ حُقُوقَهْ

وَخَيَالٌ دَلَّسَ القَلْـ ... ـبَ عَلَى العَيْنِ طُرُوقَهْ[٥]

كَذِبٌ يَحسَبُهُ الصَّـ ... ـبُّ مِنَ الشَّوْقِ حَقِيقَهْ

أنعِمِي يَا سَرْحَةَ الحَـ ... ـيِّ وَإن كُنتِ سَحِيقَهْ

أتَمَنَّى لَكِ أنْ تَبْـ ... ـقَيْ عَلَى النَّأيِ وَرِيقَهْ

ثَمَّرَ حَرَّمَ وَاشٍ ... كِ عَلَيْنَا أنْ نَذُوقَهْ

---

[١] الخليط: الصاحب، العشير.

[٢] سوقه: موضع.

[٣] المتالي: الإبل التي نتج بعضها، وبعضها الآخر لم ينتج، والمتالي أيضا هي الأم يتلوها أولادها. الوسوق: جمع وسق، وهو الحمل.

[٤] العازب: الغائب، ويقال الذاهب.

[٥] دلس: كتم وخدع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٧)

[البسيط]

يا ظَبيَةَ البَانِ تَرْعَى فِي خَمَائِلِهِ ... لِيَهنَكِ اليَوْمَ أنّ القَلبَ مَرْعَاكِ
المَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لشَارِبِهِ ... وليس يُرْوِيكِ إلاّ مَدمَعِي البَاكِي
هَبّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رَائحَةٌ ... بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيّاكِ
ثُمّ انثَنَينَا إذا مَا هَزّنَا طَرَبٌ ... عَلَى الرِّحَالِ تَعَلّلْنَا بِذِكْرَاكِ
سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ ... مَنْ بالعِرَاقِ لَقَد أبعَدْتِ مَرْمَاكِ
وَعدٌ لعَينَيكِ عِندِي مَا وَفَيتِ بِهِ ... يا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَينِيَّ عَينَاكِ
حكَتْ لِحَاظُكِ ما في الرِّيمِ من مُلَحٍ ... يَوْمَ اللّقَاءِ فكَانَ الفَضْلُ للحَاكِي
كَأنّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبِرُنَا ... بِما طَوَى عَنكِ مِن أسمَاءِ قَتلاكِ
أنتِ النّعِيمُ لقَلبِي وَالعَذَابُ لَهُ ... فَمَا أمَرُّكِ فِي قَلبِي وَأحْلاكِ
عِندِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَستُ أذكرُهَا ... لَوْلا الرّقِيبُ لَقَدْ بَلّغْتُهَا فَاكِ
سَقَى مِنىً وَلَيَالِي الخَيفِ مَا شَرِبتْ ... مِنَ الغَمَامِ وَحَيّاهَا وَحَيّاكِ
إذا يَلتَقِي كُلُّ ذي دَينٍ وَمَاطِلَهُ ... مِنّا وَيَجتَمِعُ المَشْكُوُّ وَالشّاكِي
لَما غَدا السّرْبُ يَعطُو بَينَ أرْحُلِنَا ... مَا كَانَ فِيهِ غَرِيمُ القَلبَ إلاّكِ[1]
هامَتْ بكِ العَينُ لم تَتبَعْ سِوَاكِ هَوىً ... مَنْ عَلّمَ العِينَ أن القَلبَ يَهواكِ[2]
حتى دَنَا السّرْبُ ما أحيَيتِ من كَمَدٍ ... قَتلَى هَوَاكِ ولا فَادَيتِ أسرَاكِ
يا حبّذا نفحَةٌ مَرّت بفِيكِ لَنَا ... ونُطْفَةٌ غُمِسَتْ فِيهَا ثَنَايَاكِ
وحبّذا وَقفَةٌ والرّكْبُ مُغْتَفِلٌ ... على ثَرىً وَخَدَتْ فِيهِ مَطَايَاكِ[3]
لو كانتِ اللّمّةُ السوداءُ مِن عُدَدِي ... يومَ الغَمِيمِ لَمَا أفلَتّ أشْرَاكِي[4]

---

[1] يعطو: من العطو، وهو رفع الرأس واليدين لتناول الأوراق. الغريم: الخصم.

[2] الصواب العين، حيث وردت في الديوان: البين.

[3] وخدت: أسرعت، أو مرت بقوائمها.

[4] اللمة: شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن. الغميم: موضع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٨)

[الخفيف]

يـا أرَاكَ الحِمَـى تُرَانـي أرَاكَـا ... أيَّ قَلـبٍ جَنَـى عَليَّـهِ جَناكَـا
أعطَـشَ اللهُ كُـلَّ فَـرْعٍ بنَعمـا ... نَ مِـنَ المَـاطِرِ الـرَّوَى وَسَـقَاكَا
أيَّ نُـورٍ لِنَـاظِرَيَّ إذا مَـا ... مَـرَّ يَـوْمَ وَنَـاظِري لا يَرَاكَـا
لا يَرَى السَّوْءَ مَن رآك مدى الدَّهْـ ... ـرِ وَأحيَـا الإلَـهُ مَـن حَيَّاكَـا
وَرَعَـى كُـلَّ نَاشِـقٍ لَـكَ دَلَّتْـ ... ـهُ صَبـاً طَلَّـةً عَلـى رَيَّاكَـا
ما على البَرْقِ لَوْ تَحَمَّلَ مِـن نجْـ ... ـدٍ بأظْعَانِـهِ فسَـقَّى حِمَاكَـا[1]
يـا دِيَـارَ الأحبَـابِ كَيـفَ تَغَـيَّرْ ... تِ وَيـا عَـهْدُ مَـا الـذي أبْلاكَـا
هَل أولاكَ الذينَ عَـهدي بـهم فيـ ... ـكَ عَلـى عَـهدِهم وَأيـنَ أولاكَـا
لَـمْ تَـدَعْ فيـكَ نائِبَـاتُ اللَّيَـالي ... أثَـراً للـهَوَى سِـوَى مَغنَاكَـا[2]
وَأثَـافٍ كَأنَّـهُنَّ رَذايَـا ... وَأسَـارَى لا يَنظُـرُونَ فِكَاكَـا[3]
وَشَـجِيجٍ طَـمَّ الزَّمَـانُ نَوَاصِيـ ... ـهِ كَمَـا شَـعَّثَ الوَلِيـدُ السِّـوَاكَا[4]
الذَّمِيـلَ الذَّمِيـلَ يـا رَكـبُ إنِّـي ... لَضَمِيـنٌ أنْ لا يَخِيـبَ سُـرَاكَا[5]
خَلِّ أوْطَـانَ مَعشَـرٍ مَنَعُـوا سِـرْ ... حك رَعْـيَ الحِمَـى وَمَلُّـوا قِرَاكَـا

---

[1] الأظعان: مفردها ظعن، وهو الهودج.

[2] المغنى: المكان، المقام.

[3] الأثاف: مفردها الأثفية، وهي حجارة الموقد. الرذي: الضعيف المهزول

[4] شجيج: الوتد. شعث: فرق.

[5] الذميل: ضرب من السير السريع. السرى: السير ليلا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٩)

[الطويل]

أيَا أثْلاتِ القَاعِ كَمْ نَضْحُ عَبرَةٍ ... لِعَيْنِي إذا مَرَّ المَطِيُّ بِذي الأثْلِ[١]

وَيا عَقَدَاتِ الرَّمْلِ كَمْ لِيَ أنَّةً ... إذا مَا تَذكَّرْتُ الشَّقِيقَ مِن الرَّمْلِ[٢]

وَيا ظُعُنَاتِ الحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... عُقِرْتِ وَأفنى اللهُ نَسْلَكِ مِن إبلِ[٣]

وَيا ظَبْيَاتِ الجِزْعِ يَسنَحنَ غُدوَةً ... لقد طَلَّ من تَرْشُقنَ بالأعيُنِ النُّجْلِ[٤]

وَيا بَانَةَ الوَادي أدمعيَ فِي الهَوَى ... أبِرَّ حيَاً أم سَقاكِ مِنَ الوَبْلِ[٥]

عوَائدُ من ذِكرَاكِ يَرْقُصْنَ في الحَشَا ... وَأضرَمنَ ما بَيْنَ الذُّؤابَةِ وَالنَّعْلِ[٦]

---

[١] الأثلاث: شجر الأثل، الأثل: شجر صلب الخشب يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية.

[٢] عقدات الرمل: ما تراكم منه.

[٣] الظعنات: الجمال التي يظعن بها أو يسافر عليها. تحملوا: رحلوا.

[٤] طل: أصيب، قتل.

[٥] البان: شجر لين ورقه طويل، أبيض الزهر. الوبل: المطر الشديد.

[٦] عوائد: جمع عائدة، ما يعود إلى نفس الإنسان من الذكريات. أضرمن: أشعلن. الذؤابة: شعر في مقدم الرأس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٠)

[المتقارب]

أشُمُّ بِبَابِلَ بَوَّ الصِّغَارِ ... وَلَوْ أنَّا بِالرَّمْلِ لَمْ أفْعَلِ[١]
وَألقَى التحيّاتِ مِنْ مَعشَرٍ ... كما ارْتَجَمَ الحَيُّ بالجَنْدَلِ[٢]
وَأنْزِلُ في القَوْمِ أقْلاهُمُ ... وَلَوْلا الحَضَارَةُ لَمْ أنْزِلِ[٣]
وَلَوْ كُنْتُ رَاكِبَ هذا الجَوَادِ ... بِوَادي القَرِينَةِ لَمْ أرْحَلِ
وَلَوْ مَدَّ لي طُنُبٌ بِالفَلا ... حَمَاني لِداغَ القَنَا الذُّبَّلِ[٤]
وَأُسْرَةِ عِزٍّ طِوَالِ القَنَا ... إذا نَزَلَ الذُّلُّ قَالُوا ارْحَلِ
مُهَجَّنَةٍ أصْطَلي نَارَهَا ... وَعَزٌّ عَلى الرَّجُلِ المُصْطَلِي[٥]
وَلَوْ شُوِّرَ السَّيفُ في مِثْلِهَا ... لَقَالَ أطِعْنِي وَلا تَقْبَلِ
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ شَاهِدِيها رَأيْـ ... ـتُ هُوِيَّ الرُّؤوس على الأرْجُلِ
مَقَامٌ يُدَنِّسُ عِرْضَ الأبِيِّ ... وَيَلْعَبُ بِالقَلْبِ الحُوَّلِ[٦]
وَلَوْ كُنْتُ ذا هِمَّةٍ حُرَّةٍ ... لَرَحَّلَنِي الضَّيْمُ عَنْ مَنزِلي
وكَيْفَ تَقَلَّبُ ذي هِمَّةٍ ... وَقَدْ لُزَّ بِالقَرَنِ الأطْوَلِ[٧]
أأبَى وَلا حَدَّ أسْطُو بِهِ ... وَأيْنَ الإبَاءُ مِنَ الأعْزَلِ
تُرَى الجَاهِلِيَّةُ أحْمَى لَنَا ... وَأنْأى عَنِ المَوْقِفِ الأرْذَلِ
فَلَوْلا الإلَهُ وَتَخْوَافُهُ ... رَجَعْنَا إلى الطَّابَعِ الأوَّلِ[٨]

---

[١] البو: جلد يحشى تبنا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها. الصغار: الذل.

[٢] الجندل: الصخر العظيم.

[٣] أقلاهم: كبارهم، أرفع مكان بينهم.

[٤] الطنب: الحبل تشد به الخيمة إلى وتد. القنا الذبل: الرماح الدقيقة.

[٥] مهجنة: الكريمة الأصل والحسب.

[٦] القلب الحول: البصير بتقليب الأمور وتحويلها.

[٧] لز: شد. القرن: الحبل.

[٨] الطابع: الطبع والسجية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣١)

[الطويل]

خَليليّ هَلْ لـــي لَـوْ ظَفِـرْتُ بِنِيّـةٍ ... إلى الجِزْعِ مِنْ وَادي الأَرَاكِ سَـــبيلُ
وَهَلْ أنَا في الرّكْـبِ اليَمَـانيّ دَالِـجٌ ... وَأيـدِي المَطَايَـا بالرّجَـــالِ تَمِيلُ[١]
وَفي سَرَعَانِ الرّيحِ لي لَـــوْ عَلِمْتُمَـا ... شِـفَاءٌ وَلَـوْ أنّ النّسِـــيمَ عَلِيـــلُ
وَفي ذَلِـكَ السّـرْبِ الـذي تَرَيَانِـهِ ... أحَـمُّ غَضِيـضُ النّـاظِرَينِ كَحِيلُ[٢]
شَهِيُّ اللّمَى عَاطٍ إلى الرّكْـبِ جِيـدَهَ ... خَتُـولٌ لأيْـدي القَـــانِصِينَ مَطُولُ[٣]
وَكَمْ فيهِ مِـــنْ خَـوّ اللّثَـاتِ كَأنّمَـا ... جَرَى ضَرَبٌ مَـا بَينَـها وَشَـمُولُ[٤]
تَجَلّلْـنَ بـالرّيْطِ اليَمَـاني كَأنّمَـــا ... ضَمَمْـنَ غُصُونـاً مَسّـهُنّ ذُبُـولُ[٥]
عَلِقْناكَ يا ظَبْـيَ الصّرِيـمِ طَماعَـةً ... أعِنـدَكَ مِـنْ نَيـلٍ لَنَـا فَتَنِيـلُ
أنِـلْ نَـائِلاً أوْ لا تُثَـنّ بِنَظْـرَةٍ ... فَـإنّيَ بـالأُولى الغَـداةَ قَتِيـلُ
وَإنّي إذا اصْطكّتْ رِقَـابُ مَطِيّكُـمْ ... وَثَـوّرَ حَـادٍ بالرّفَـاقِ عَجُولُ[٦]
أُخَالِفُ بَينَ الرّاحَتَيـنِ عَلـى الحَشَـا ... وَأنْظُـرُ أنّـي مُلْتَـمٌ فَـأَمِيلُ[٧]
أجِنّ وَتُجْرِيني على الشّـوْقِ قَسْـوَةٌ ... ألا غَالَ مَـا بَيْنِـي وَبَيْنَـكَ غُـولُ[٨]
وَمَا ذَادَني ذكرُ الأحِبّةِ عَـن كَـرىً ... وَلَكِـنّ لَيْلِـي بـالعِرَاقِ طَوِيـــلُ[٩]

---

[١] دالج: سائر ليلا.

[٢] الأحم: الأسود. الغضيض: فاتر مسترخي الأجفان.

[٣] اللمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة مستحسن. عاط: رافع. الختول: الخداع. المطول: المسوف وعده.

[٤] الخو: العسل. اللثاث: جمع لثة، مغرز الأسنان. الضرب: العسل. الشمول: الخمر.

[٥] الريط: جمع ريطة، ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة.

[٦] ثور: أثار وهيج. عجول: كثير العجلة.

[٧] الملتمي: من التمى لونه: تغير.

[٨] غال: اغتال، أهلك فجأة. غول: المنية، كل مهلك.

[٩] ذادني: دفع عني، أبعدني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٢)

[المتقارب]

ذكَرْتُ، على بُعدِهـا مِـن مَنـالي ... مَنَـازِلَ بَيْـنَ قَبـاً والمَطَـالِ[١]
وَمَبْنَـى قِبَـابِ بَنَـى عَـامِرٍ ... عَلـى الغَـوْرِ أطنَابُـهُنّ العَوَالـي[٢]
عَقَـائِلُ عَلّمَـهُنّ العَفَـا ... فُ وَصْلَ المطالِ وَمطـلَ الوِصَـالِ
مَرَابِـعُ يَشْكُو بِـهِنّ الجِـرَاحَ ... أسودُ الشّـرَى مـن ظِبـاءِ الرّمـالِ
مَضَاجِكُـهُنّ عُقُـودُ العُقُـودِ ... وَأجْيَـادُهُنّ لآلـي اللآلـي
أبَعْـدَ الأسَـى عَـادَ عِيـدُ الغَـزَا ... مِ وَقَرْفَ من الشّـوْقِ بعـدَ اندمـالِ
هَـوَى بَيـنَ مُقتَـصّ إثْـرِ الغَـزَا ... لِ وَلـى وَمُنتَـصّ جيـدِ الغزالِ[٣]
وَمَـا طَلَـبُ البَـذْلِ مِـن بَـاخِلٍ ... بِمَيْسُـورِهِ غَـيرُ داءٍ عُضَـالِ
وَمَـا زَالَ يَلْـوِي دُيُـونَ الـهَوَى ... وَيُؤْيِسُـنَا مِـنْ قَلِيـلِ النّـوَالِ
إلـى أنْ قَنِعْنَـا بِـزَوْرِ المَـزَا ... رِ بَعْـدَ النّـوَى وَخَيَـالِ الخيـالِ
إلَيْـكَ فَقَـدْ قَلَصَـتْ شِـرّتي ... بُعَيْـدَ البَيَـاضِ قُلُـوصَ الظّـلالِ[٤]
وَبُذّلْـتُ مِمّـا يَـرُوقُ الحِسَـا ... نَ مِن مَنظَرٍ مـا يَـرُوعُ العَوَالـي
سَـوَادٌ يُعَجّـلُ زَوْرَ البَيَـاضِ ... عُلُـوقَ الضّـرَامِ بِـرَأسِ الذّبّـالِ[٥]
وَمَـرّ عَلـى الـرّأسِ مَـرّ الغَمَـامِ ... قَلِيـلَ المُقَـامِ سَـرِيعَ الزّيَـالِ[٦]
فلَيْـسَ الصّبَـا اليَـوْمَ مِـنْ أرْبَتَـيّ ... وَلا ذلـكَ البَـالَ يـا عَـزّ بَـالي[٧]

---

[١] قبا والمطال: موضعان.

[٢] الأطناب: الحبال تشد بها الخيمة إلى الأوتاد. العوالي: الرماح.

[٣] منتص: من انتص: ارتفع.

[٤] قلصت: انقبض. الشرة: النشاط والحدة.

[٥] الضرام: لهب النار. الذبال: الفتيلة.

[٦] الزيال: الفراق.

[٧] عز مرخم عزة: اسم امرأة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٣)

[الوافر]

لِمَنْ دِمَنٌ بذي سَلَمٍ وَضَالِ ... بَلِينَ وَكيفَ بالدِّمَنِ البَوَالي؟
وَقَفْتُ بِهِنَّ لا أَصْغي لِداعٍ ... وَلا أَرْجُو جَوَاباً عَنْ سُؤالي
أيَا دارَ الأُلَى دَرَجَتْ عَلَيْهَا ... حَوَايَا المُزْنِ وَالحِجَجُ الخَوَالي[1]
فَأيَّ حَيَّا بِأَرْضِكِ للغَوَادِي ... وَأيُّ بِلَىً بِرَبْعِكِ لِلَّيَالي
وَبِيَنَ ذَوَائِبِ العُقَداتِ ظَبْيٌ ... قَصِيرُ الخَطوِ في المِرْطِ المُذَالِ[2]
رَبِيبُ إنْ أُرِيغَ إلى حَدِيثٍ ... نَوَارٌ إنْ أُرِيدَ إلى وِصَالِ[3]
فَهَلْ لِيَ والمَطَامعُ مُرْدِيَاتٌ ... دُنُوٌّ مِنْ لَمَى ذاكَ الغَزَالِ؟
لَقَدْ سَلَبَتْ ظِبَاءُ الدَّارِ لُبِّي ... ألاَ مَا للظِّبَاءِ بِهَا وَمَا لِي؟
تُغَصِّنُنِي بِأَيَّامِ التَّلاقِي ... مُعَاجَلَتِي بِأَيَّامِ الزِّيَالِ
تَحَيَّفَنِي الصُّدُودُ وكنتُ دَهْراً ... أُرَوِّعُ بِالصُّدُودِ فَلا أُبَالي[4]
وَكَيْفَ أُفِيقُ لا جَسَدِي بِنَاءٍ ... عَنِ البَلْوَى وَلا قَلبي بِسَالي
يُرَنِّحُنِي إلَيْكَ الشَّوْقُ حَتَّى ... أَميلُ مِنَ اليَمِينِ إلى الشِّمَالِ
كَمَا مَالَ المُعَاقِرُ عَاوَدَتْهُ ... حُمَيَّا الكَأسِ حالاً بَعدَ حَالِ
وَيَأخُذُنِي لِذِكْرِكُمُ ارْتِيَاحٌ ... كَمَا نَشَطَ الأَسِيرُ مِنَ العِقَالِ
وَأيْسَرُ مَا أُلاقِي أنَّ هَمّاً ... يُغَصِّصُنِي بِذا المَاءِ الزُّلالِ
فَلَوْلا الشَّوْقُ مَا كَثُرَ التِفَاتي ... وَلا زُمَّتْ إلى طَلَلٍ جِمَالي

---

[1] حوايا المزن: سودها.

[2] المرط: الكساء. المذال: المرسل إلى الأرض.

[3] الإرباب: الدنو من كل شيء. أراغ: طلب وأراد على وجه المكر. نوار: النفور من الريبة.

[4] تحيفني: جار علي، ظلمني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٤)

[الطويل]

تَذكَّرتُ، بينَ المَـأزمَينِ إلـى منـىً ... غـزالاً رمـى قَلْبـي وَراحَ سَـليماً
لَئِنْ كُنـتُ أستَحلي مَواقـعَ نَبلِـه ... فـإنّي أُلاقـي غِبَّـهنْ أليمـا[1]
أصابَ حراماً يَنْشُـدُ الأجـرَ غُـدوَةً ... فمـا عـادَ مـأجُوراً وعـادَ أثيمـا
فَلوْ كـانَ قَلْبـي بَارئـاً مـا ألِمتُـه ... ولكـنّ أسْـقامًا أصَبْـنَ سَـقيمَا
إذا بَلّ مِـنْ داءٍ أعـادَتْ لـهُ المَـهَا ... نُكَاسـاً إذا مـا عـادَ عـادَ مُقيمـا[2]
يظُنّونني استطرَفتُ داءً من الـهوى ... وهيـهاتَ داءُ الحـبّ كـانَ قديمـا[3]
قَنَصْـتُ بجَمْـعِ شـادِناً فَرَحِمْتُـهُ ... وأخفَـقَ قَنّـاصٌ يكـونُ رَحيمـا
أأغْـدُو مُـهيناً بالحَبَـائِلِ سـاعَةً ... غَزالاً علـى قلبـي الغَـداةَ كريمَـا
تَرَاءتْ لنـا بـالخَيفِ نَفـحُ لَطيمَـةٍ ... سَـرَتْ عنـكَ إلّا عَبْقَـةً ونَسـيمَا[4]
ولـمْ أرَ مِثْـلَ المـاطلاتِ عَشـيّةً ... ذَواتِ يَسـارٍ مـا قَضيـنَ غَريمـا
فـلا يُبْعِـدِ اللهُ الـذي كـانَ بَيْننَـا ... مـنَ العـهدِ إلا أن يكـونَ ذَميمـا

---

[1] غبهن: مغبة الأمر وعاقبته.

[2] بل: نجا من مرضه. النكاس: الوقوع في المرض بعد الشفاء منه.

[3] استطرفت: استحدثت.

[4] اللطيمة: وعاء المسك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٥)

[مجزوء الرمل]

زَارَ، وَالرَّكْـــبُ حَـــرَامُ ... أَوَدَاعٌ أَمْ سَـــلامُ
طَارِقـــاً وَالبَـــدْرُ لا يَحْـــ ... ـــفِـــزُهُ إلاّ الظَّـــلامُ
بَيْـــنَ جَمْـــعٍ وَالمُصَلَّـــى ... رِيـــمُ سِـــرْبٍ لا يُـــرَامُ
وَحُلُـــولٍ مَـــا قَـــرَىً نَـــا ... زِلَـــهُمْ إلاّ الغَـــرَامُ
بَدَّلُـــوا الـــدُّورَ فَلَمَّـــا ... نَزَلُـــوا القَلْـــبَ أَقَـــامُوا
يَـــا خَلِيلَـــيَّ اسْـــقِيَاني ... زَمَـــنُ الوَجْـــدِ سَـــقَامُ
وَصِفَـــا لِـــي قُلْعَـــةَ الرَّكْـــ ... ـــبِ وَلِلَّيْـــلِ مُقَـــامُ[1]
مِـــنْ أَلالٍ حَفَـــزُوا العِيـــ ... ـــسَ كَمَـــا رِيـــعَ النَّعَـــامُ
فَزَفِـــيرٌ وَنَشِـــيجٌ ... وَعَجِيـــجٌ وَبُغَـــامُ[2]
وَمِنِـــيَّ أَيْـــنَ مِنِـــيَّ مِـــ ... ـــنِّـــي لَقَـــدْ شَـــطَّ المَـــرَامُ[3]
هَـــلْ عَلَـــى جَمْـــعٍ نُـــزُولٌ ... وَعَلَـــى الخَيْـــفِ خِيَـــامُ
يَـــا غَـــزَالَ الجِـــزْعِ لَـــوْ كَـــا ... نَ عَلَـــى الجِـــزْعِ لُمَـــامُ[4]
أَحْسُـــدُ الطَّـــوْقَ عَلَـــى جِيـــ ... ـــدِكَ وَالطَّـــوْقُ لِـــزَامُ
وَأَعَـــضُّ الكَـــفَّ إِنْ نَـــا ... لَ ثَنَايَـــاكَ البَشَـــامُ[5]
وَأُغَـــارُ اليَـــوْمَ إِنْ مَـــ ... ـــرَّ عَلَـــى فِيـــكَ اللِّثَـــامُ
أَنَـــا عَرَّضْـــتُ فُـــؤَادِي ... أَوَّلُ الحَـــرْبِ كَـــلامُ
أَن جَعَلْـــتُ القَلْـــبَ مَرْمَـــىً ... كَـــثُرَتْ فِيـــهِ السِّـــهَامُ
مَـــنْ يُـــدَاوِي دَاءَ أَحْشَـــا ... ئِـــكَ، وَالـــدَّاءُ عُقَـــامُ[6]

---

[1] القلعة: الرحلة.

[2] الزفير: إخراج هواء الرئتين. النشيج: البكاء المتقطع. العجيج: الصياح. البغام: صوت الظباء والابل.

[3] شط: بعد. المرام: الغاية أو الهدف.

[4] اللمام: جمع لمة، الصاحب والمؤانس في السفر.

[5] البشام: شجر طيب الرائحة.

[6] عقام: لا يبرأ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٦)

[البسيط]

يـا لَيلَـةَ السَّـفْحِ ألاّ عُـدْتِ ثانِيَـةً ... سَقَى زَمـانَكِ هَطّـالٌ مِـنَ الدّيَـمِ[١]

ماضٍ من العَيشِ لوْ يُفدى بذَلْـتُ لـه ... كَرائمَ المالِ مِنْ خَيـلٍ وَمـن نَعَـمِ[٢]

لمْ أقضِ مِنكِ لُبانـاتٍ ظَفِـرْتُ بـها ... فَهَلْ لـيَ اليَـوْمَ إلاّ زَفـرَةُ النّـدَمِ[٣]

فَلِيتَ عَهدَكِ إذْ لـمْ يَبـقَ لـي أبَـداً ... لمْ يُبقِ عِندي عَقـابيلاً مِـن السّـقَمِ[٤]

تعَجّبُوا مِـنْ تَمَنّـي القَلْـبِ مُؤلَمـهُ ... ومَـا دَرَوْا أنّـهُ خِلْـوٌ مِـنَ الألَـمِ

رُدّوا عَلـيّ لَيَـاليّ التـي سَـلَفَتْ ... لـمْ أنْسَـهُنّ ولا بالعَـهْدِ مِـن قِـدَمِ

أقـولُ للائِـمِ المُـهْدي مَلامَتَـهُ ... ذُقِ الهوَى وإنِ اسطَعتَ المَـلامَ لُـمِ

وَظَبْيَةٍ مِـنْ ظِبَـاءِ الإنْـسِ عاطِلَـةٍ ... تَستَوْقِفُ العَينَ بينَ الخَمصِ و الهَضَمِ[٥]

لَـوْ أنّـهَا بِفِنَـاءِ البيـتِ سـانِحَةً ... لصِدْتُها وابتَدَعتُ الصّيدَ فـي الحَـرَمِ

قَدِرْتُ مِنـهَا بِـلا رُقْبَـى ولا حَـذَرٍ ... عَلى الذي نَامَ عَـنْ لَيلـي وَلـمْ أنَـمِ

بِتنَا ضَجيعَينِ في ثَوْبَيْ هـوىً وَتُقًـى ... يُلفّنَا الشـوْقُ مِـنْ فَـرْعٍ إلـى قَـدَمِ

وَأمسَتِ الرّيـحُ كـالغيرى تُجَاذِبُنَـا ... عَلى الكَثيبِ فُضُـولَ الرّيـطِ واللِّمَـمِ

يَشِـي بنـا الطّيـبُ أحيانـاً وآونَـةً ... يُضِيئنَا الـبَرْقُ مُجتـازاً علـى أَضَمِ[٦]

وباتَ بارِقُ ذاكَ الثّغْرِ يُوضِـحُ لـي ... مَواقِعَ اللّثْـمِ فـي داجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ

وبينَنَـا عِفّـةٌ بايَعْتُـهَا بِيَـدي ... عَلى الوَفـاءِ بِـها والرّعْـيِ للذّمَـمِ

يُولِـعُ الطّـلُّ بُرْدَيْنَـا وَقـد نَسَـمَتْ ... رُوَيْحَةُ الفَجرِ بَينَ الضّـالِ و السّـلَمِ[٧]

وَأكتمُ الصّبـحَ عَنـها وهـيَ غافِلَـةٌ ... حتّـى تَكَلّـمَ عُصْفُـورٌ عَلـى عَلَـمِ

فَقُمْـتُ أنْفُـضُ بُـرْدًا مَـا تَعلّقَـهُ ... غَيرُ العَفـافِ وَراءَ الغَيـبِ والكَـرَمِ

---

[١] السفح: اسم موضع. الديم: المطر الخفيف.

[٢] النعم: الإبل والشاه.

[٣] اللبنات: مفردها لبانه: الحاجة.

[٤] العقابيل: بقية العلة.

[٥] الخمص: ضمور البطن. الهضم: لطف الخصر وهو من ضمور البطن.

[٦] يشي: ينم ويكشف السر. أضم: وادي في المدينة المنورة.

[٧] يولع: يجعل فيه لمع بياض. الضال والسلم: نوعان من الشجر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَألمَسَتني وقَدْ جَدّ الوَداعُ بِنَا ... كَفّاً تُشِيرُ بِقُضْبانٍ مِنَ العَنَمِ[١]

وَألثَمَتْنِي ثَغْرًا ما عَدَلْتُ بِهِ ... أرى الجَنَى بِبِناتِ الوابِلِ الرُّذُمِ[٢]

ثُمّ اثَنَيْنَا وقَدْ رابَتْ ظَواهِرُنا ... وفي بواطِننَا بُعْدٌ مِنَ التُّهَمِ

يا حبّذا لَمّةٌ بِالرَّمْلِ ثانِيَةٌ ... وَوَقْفَةٌ بِبُيُوتِ الحَيِّ مِنْ أَمَمِ[٣]

وحبّذا نَهْلَةٌ مِنْ فيكِ بارِدَةٌ ... يُعدي على حَرّ قَلبي بَرْدُها بفَمي

دَيْنٌ عَلَيكِ فإنْ تَقضِيهِ أحيَ بِهِ ... وإنْ أَبَيْتِ تَقَاضَيْنَا إلى حَكَمِ

عجِبْتُ مِنْ باخِلٍ عَنّي بريقَتِه ... وقَدْ بَذَلْتُ لَهُ دونَ الأنامِ دَمي

ما ساعَفَتْني اللّيَالي بَعدَ بَينِهِمُ ... إلاّ بَكَيْتُ لَيالينَا بِذي سَلَمِ

ولا استَجَدّ فؤادي في الزّمانِ هَوىً ... إلاّ ذَكَرْتُ هَوى أيامِنا القُدُمِ

لا تَطْلُبَنّ لَيَ الأبدالَ بعدَهُمُ ... فَإنّ قَلْبِيَ لا يَرْضَى بِغَيرِهِمِ

---

[١] العنم: شجرة لها ثمرة حمراء يشبه بها بنان المرأة المخضوب.

[٢] الأري: العسل. الوابل: المطر الشديد. الرذم: مفردها رذوم وهو السائل من كل شيء.

[٣] الأمم: العودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٧)

[الرمل]

أَعَلَى الغَوْرِ تَعرَّفتَ الخِيَامَا ... وَلِدارِ الحَيِّ مَلْهَىً وَمُقَامَا
مَنْزِلٌ مِنْ آلِ لَيلَى لَمْ يَدَعْ ... وَلَعُ الدَّهرِ بِهِ إلاّ رِمَامَا[١]
حبّذا الدارُ وَإنْ لَمْ يَلْقَنَا ... قاطنُ الدارِ بِها إلاّ لِمَامَا
مَنْ رأى البارِقَ في مَجْنُوبَةٍ ... هَبَّةُ البارِقِ قد راعَ الظّلامَا[٢]
كلّمَا أومَضَ مِن نَحوِ الحِمَى ... أقعَدَ القَلْبَ مِنَ الشّوْقِ وقَامَا
ما عَلَى ذي لَوْعَةٍ نَبَّهَهُ ... بارِقٌ مِنْ قِبَلِ الغَوْرِ فَشَامَا[٣]
يا خَلِيلَيّ انظُرَا عَنّى الحِمَى ... إنّ طَرْفَ العينِ بالدّمعِ أغَامَا
طالَ ما استَسْقَوْا لِعَيني دمعَها ... أينَمَا استَسْقَيْتُ للدّارِ الغَمَامَا
أخْلَقَ الرّبْعُ وأثْوَابُ الهَوى ... مُستَجِدّاتٌ وَلُوعًا وغَرَامَا
آهِ مِنْ بَرْقٍ عَلَى ذي بَقَرٍ ... نَبّهَ الشّوْقَ على القلبِ ونَامَا
كَمْ رَعَيْنَا العَيشَ فيهِ ناضِرا ... وَوَرَدْنَا أوّلَ الحُبِّ جِمَامَا[٤]
وغَرِيمَيْ صَبْوَةٍ قَدْ قَضَيَا ... بَعضَ دَينِ الشّوْقِ ضَمّا وَلزَامَا[٥]

---

[١] رماما: عظاما بالية، بقايا.

[٢] المجنوبة: التي هبت بها ريح الجنوب وعبث بها.

[٣] شام: ظهر.

[٤] الجمام: الكثير (كثرة الماء).

[٥] اللزام: العناق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣٩)

[الرمل]

يـا رَفيقَـــيّ قِفَـــا نِضْوَيْكُمـــا ... بيـنَ أعـلامِ النّقَـــا والمُنْحَنَـــى[١]

وَانْشُـدا قَلبـــي فقَـــدْ ضَيّعتُـــهُ ... باخِتيَـارِي بيـنَ جمـــعٍ ومِنَـــى

عارِضَا السّـرْبَ فـإنْ كـانَ فتـىً ... بـالعُيُونِ النُّجـلِ يقضـــي فأنَـــا

إنّ مَـنْ شـاطَ علـــى ألحاظِـــها ... ضِعفُ من شاطَ على طـــولِ القنَـــا[٢]

تجـرَحُ الأعيـنُ فِينَـــا والطُّلَـــى ... قَـــاتَلَ اللهُ الطُّلَـــى والأعْيُنَـــا[٣]

ثـــمّ كـــانَتْ، بقُبَـــاءٍ وَقفَـــةٌ ... ضَمِنَـتْ للشّـوْقِ قَلبـاً ضَمِنَـــا[٤]

وحَديـــثٍ كـــانَ مِـــنْ لَذّتِـــهِ ... أُحُـــدٌ يُصْغِـــي إلينَـــا أُذُنَـــا[٥]

غـــادَرُوني جَســـداً تُظْـــهِرُهُ ... لـهُم الشّـكوى ويُخفيـهِ الضّنَـــى

حَبّـذا منكُـــمْ خَيـــالٌ طـــارِقٌ ... مـرّ بـالحَيّ ولـمْ يُلْمِـــمْ بنَـــا[٦]

بـاخِلٌ بُخْـــلَ الـــذي أرسَـــلَهُ ... سُـئِلَ النَّيـلَ ومـــا جـــادَ لَنَـــا

سَـرْحَةٌ أعْجَلَـهَا البيَـــنُ ومَـــا ... لُبِـسَ الظّـلُّ ولا ذيـــقَ الجَنـــى

مـــا رَأتْ عَينـَي مُـــذ فـــارَقتُكُمْ ... يَـا نُـزولَ الحـيّ شَـيئاً حَسَـــنا

---

[١] نضويكما: مثنى نضو، الناقة الهزيلة.

[٢] شاط: هلك. القنا: الرماح.

[٣] الطلى: الأعناق.

[٤] الضمن: العاشق.

[٥] أحد: جبل مشهور في المدينة.

[٦] يلمم: يهتم، ينزل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٠)

[مجزوء السريع]

أعـــادَ لـــي عِيـــدَ الضَّنـــى ... جِيرانُنـــا عَلـــى مِنَـــى
مَواقِـــفٌ تُبْـــدِلُ ذا الشَّيْـــ ... ـــــب شَـــطاطًا بِحَنَى[1]
يقـــولُ مَـــنْ عـــايَنَ ... هَـــاتِيكَ الطُّلَـــى والأعْيُنَـــا[2]
هـــذا غـــزالٌ قـــدْ عَطَـــا ... وذاكَ ظَبْـــيٌ قَـــدْ رَنَـــا[3]
والْـــهِفْتا مِـــنْ واجِـــدٍ ... علـــى الشَّـــبابِ والغِنَـــى
مِـــنْ أجْلِـــها يَرْضَـــى الغَرِيـــ ... ـــــبُ بـــالبَوادي وَطَنَـــا
أنْسَـــى قَنَـــا مُرّانِـــها ... مَـــوارِنٌ ذاتُ قَنَـــا[4]
يُلْقَـــى بـــها فَـــوارِسٌ ... لا يَحْفِلُـــونَ الجُبَنَـــا
مُجَثَّمـــاتٌ رُحْـــنَ عَـــنْ ... رَمْـــيِ الجِمـــارِ مَوْهِنَـــا
تَـــرَوَّحَ السَّـــرْبِ عَـــنِ الـــ ... ـــــوِرْدِ إذا اللَّيْـــلُ دَنَـــا
كَمْ كَبِـــدٍ مَعْقُـــورَةٍ ... للعـــاقِرِينَ البُدُنَـــا[5]
بِـــأعْيُنٍ تَرَكْنَـــها ... علـــى القُلُـــوبِ أعْيُنَـــا
وإنَّمـــا جَعَلْنَـــها ... لِـــرَدِّ قَـــولِ ألْسُـــنَا
يُـــورِقُ مِنْـــهُنَّ الحَصَـــى ... حَتَّـــى يَكـــادُ يُجْتَنَـــى
لِيَـــهْنَ مَـــنْ لَـــمْ يَفْتَتِـــنْ ... إنَّـــا لَقِينـــا الفِتَنَـــا
يُخْفِـــي تَبَـــارِيحَ الـــهَوَى ... وقَـــدْ عَنانَـــا مَـــا عَنَـــا
كمَـــا الـــنُّزُوعُ عِنْدَكُـــم ... كَـــذا الـــنِّزاعُ عِنْدَنَـــا[6]
يـــا صـــاحِبَيَّ رَحْلِـــيَ قِفَـــا ... فَسَـــائِلا لِـــي الدِّمَنَـــا
بـــالغَمْرِ قَـــدْ غَيَّرَهَـــا ... صَـــوْبُ الغَمـــامِ مُدْجِنَـــا[7]

---

[1] الشطاط: حسن القوام. الحنى: اللي، العطف.

[2] الطلى: الأعناق.

[3] عطا الظبي: رفع رأسه ويديه متطاولا إلى الشجر ليتناول منه. رنا: أدام النظر إليه في سكون الطرف.

[4] المران: شجر تتخذ منه الرماح. المورن: مفردها المارن، أعلى الأنف. القنا: ارتفاع طرف الأنف.

[5] البدن: جمع بدنة، وهي الأضحية من الإبل والبقر تهدى إلى مكة المكرمة.

[6] النزوع: الاشتياق والحنين إلى الوطن. النزاع: الخصومة.

[7] الغمر: الماء الكثير. صوب الغمام: نزول المطر. المدجن: المظلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأمْطِـــــرَا دَمْعَيكُمَـــــا ... ذاكَ الكَثِيـــــبَ الأيمَنَـــــا[١]

الـــدَّارُ عِنْـــدي سَـــكَنٌ ... إذا عَدِمـــتُ السّـــكَنا[٢]

قـــالا: ومِـــنْ أيـــنَ رَمَـــا ... كَ الشّـــوقُ؟ قلـتُ: مـــن هُنَـــا

وصَـــاحِبٍ نَبّهْتُـــهُ ... بعْـــدَ اللّغُـــوبِ والوَنَـــى

رَمَـى الكَـــرَى فـــي سَـــمعِهِ ... فَبَعْـــدَ لأْيٍ أذنَـــا[٣]

وَقـــامَ كـــالمُصْعَبِ ذي الـــ ... ـــــرّوقِ يَجُـــرُّ الرّسَـــنا[٤]

فُقُلـــتُ : مَـــنْ مُعَـــاقِدِي ... عَلـى الـــرَّدَى ؟ قـــالَ: أنَـــا

اتّـــقِ مـــا بـــي تَتّقِـــي ... ولَـــوْ أنَـــابيبَ القَنَـــا

كُـــلُّ الظُّبَـــى حدائِـــدٌ ... وَقَـــلَّ مِنْـــها المُقْتَنَـــى[٥]

وإنّمَـــا الصّـــوْنُ عَلـــى ... قَـــدْرِ المَضَـــاءِ والغِنَـــا

وبَـــارِقٍ أشِـــيمُهُ ... كـــالطّرْفِ أغضَـــى وَرِنَـــا[٦]

أوْ رُمْـــحِ مَحْبُـــوكِ القَـــرَا ... بَـــاتَ شَـــمُوعًا أرِنَـــا[٧]

أيْقَظْـــتُ عنـــهُ صاحِبًـــا ... يَنجـــابُ عُلْـــوِيَّ السَّـــنا[٨]

فَقُلْـــتُ : إيـــهِ نَظَـــرًا ... أمَـــا قَضيـــتَ الوَسَـــنا؟

أيـــنَ تَقـــولُ صَوْبُـــهُ؟ ... فقـــالَ لـــي : دونَ قَنَـــى[٩]

ذَكّرَنـــي الأحْبَـــابَ والـــ ... ـــــذّكْـــرى تَـــهيجُ الحَزَنَـــا

أضَـــامِنٌ أنْ لا يَنَـــا ... يَشُـــوقَ قَلْبـــاً ضَمِنَـــا[١٠]

مِـــنْ بَطْـــنِ مُـــرٍّ وَ السُّـــرَى ... تَـــؤُمّ عُسْـــفَانَ بِنَـــا

وبـــالعِراقِ وَطَـــرِي ... يـــا بُعْـــدَ مَـــا لاحَ لَنَـــا

أشْـــتَاقُهُمْ وَمُرْبِـــحٌ ... إلـــى زَرُودٍ بَيْنَنَـــا

---

[١] الكثيب: التل من الرمل المستطيل المحدودب.

[٢] السكن الأولى: النار.

[٣] اللأي: الإبطاء. أذن: سمع.

[٤] المصعب: الفحل الصعب المقادة. الروق: الحسن النظر. الرسن: الحبل الذي يشد به الحبل أو الإبل.

[٥] الظبى: مفردها الظبة، حد السيف وطرفه. المقتنى: المختار.

[٦] البارق: السحاب. أشيمه: أنظر إليه لأرى أين يمطر. أغضى: خفض بصره. رنا: أدام النظر في سكون الطرف.

[٧] القرا: الظهر. الشموع: اللاعب. الأرن: النشيط.

[٨] إنجاب: انشق، انكشف. السنا: الضوء.

[٩] الصوب: الجهة، القصد. قنى: موضع باليمن.

[١٠] أضامن: من الضمن، العشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـا وَيْـحَ لـــي مِـــنْ شَـــجَني أمَـــا مَلَلْـــتُ الشّـــــجَنا
رَحّلَنَـــــي عَـــنْ وَطَنـــــي إنّـــي ذَممْـــتُ الوَطَنَـــــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤١)

[البسيط]

يا رَوْضَ ذي الأثْلِ من شَرْقيّ كاظمةٍ ... قد عاوَدَ القَلبُ من ذِكراكَ أَديانَا[١]

أمُرّ بالرّكْبِ مُجتازاً بذي سَلَمٍ ... لَو ما شَرَيتُكَ بالأوْطانِ أوْطانَا

شَغَلتَ عَيني دُموعًا والحَشَى حُرَقًا ... فكيْفَ أَلْفَتَ أمْواهاً ونيرانَا

أشُمّ مِنْكَ نَسيمًا لَسْتَ أعرِفُهُ ... أظُنّ ظَمياءَ جَرّتْ فيكَ أَرْدانَا[٢]

أشبَهْتَ أظعانَ ذاكَ الحَيّ من يَمَنٍ ... طِيبًا وحُسْنًا وأغْصَانًا و كُثْبانَا

لَوْ أسْتَطيعُ لما سَافَتكَ سَائِفَةٌ ... وَلا جَنَاكَ فَتًى رَنْداً وَلا بانَا[٣]

ألقاكَ والقَلْبُ صافٍ من رَجيعِ هَوًى ... وَأنثَني عَنكَ بالأشْواقِ نَشْوَانَا

ولا تَداوَيْتُ من قُرْحٍ فَرَى كَبِدي ... ولا سَقاني رَاقي الحَيّ سُلْوَانَا

يقولُ صَحبي ، وقد أعياهُمُ طَرَبي ... بَعضَ الأسَى إنّما أحْبَبْتَ إنْسَانَا[٤]

أينَ الخِيامُ التي كُنّا نَلُوذُ بِها ... بالأبرَقينِ ، وأينَ الحَيّ مُذْ بَانَا

لا هِجتَ لي قَنصاً من بَعدِ بينِهِمُ ... وَلا ذَعَرْتَ عنِ الأطْلاءِ غِزْلانَا[٥]

أنسَيتَني النّاسَ ، إذ أذكَرْتَني بِهِمُ ... يا مُهدِيًا لي تَذكاراً وَنِسْيانَا

---

[١] الأثل: نوع من الشجر. كاظمة: بلدة تقع الآن في الكويت. الأديان: مفردها الدين، وهو الداء.

[٢] الظمياء: المرأة الجميلة ذات الشفاة الذابلة في سمرة. الأردان: مفردها الردن، الحرير.

[٣] ساف: شم. الرند: شجر صغير طيب الرائحة، أزهاره بيض صغيرة. البان: شجر لين ورقه طويل، أبيض الزهر.

[٤] الأسى: المواساة، التعزية.

[٥] القنص: الصيد. ذعرت: أخفت، أبعدت. الأطلاء: ولد الظبي ساعة يولد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٢)

[الطويل]

دَعا بالوحاف السّودِ من جانبِ الحِمى ... نَزيعُ هَـوًى لَبّيْتُ حيـنَ دَعَـاني[١]

تَعَجّبَ صَحْبي من بُكـائي وَأنكَـرُوا ... جَوَابـي لِمَـا لَـمْ تَسْـمَعِ الأُذُنَـانِ

فقلتُ نعم لـمْ تَسـمَع الأذنُ دَعـوَةً ... بَلـى إنّ قلبـي سَـامِعٌ وَ جَنَـاني

وَيا أيّها الرّكْـبُ اليَمَـانُونَ خَـبّرُوا ... طَليقًا بـأعْلَى الخَيـفِ أنّـيَ عَـاني

عِـدُوهُ لِقَـائي أوْ عِدُونـي لِقَـاءَهُ ... ألا رُبّمَـا دانَيـتُ غَـيرَ مُدانـي

وَما حَائِماتٌ يَلْتَقِيـنَ مِـنَ الصّـدَى ... إلى المَـاءِ قَـدْ مُوطِلـنَ بالرَّشَـفَانِ

يَزِيدُ لَهَا بـالخمسِ بَيـنَ ضُلُوعِـها ... تَنَسّـمُ رِيـحِ الشّـيحِ وَالعلَجَـانِ[٢]

إذا قِيلَ هذا المَاءُ لَـمْ يَمْلِكـوا لَـهَا ... مَعاجـاً بِـأقْرَانٍ وَلا بِمَتْـانِ[٣]

بأظْمَى إلى الأحبَـابِ مِنّـي وَفِيـهِمُ ... غَرِيـم إذا رُمْـتُ الدّيُـونَ لَوَانـي[٤]

فَيَا صَـاحِبَيْ رَحْلـي أقِـلاّ فـإنّني ... رَأيْـتُ بِلَيْلَـى غَـيرَ مَـا تَرَيَـانِ

وَيا مُزْجِيَ النّضْـوِ الطّلِيـحِ عَشِـيّةً ... تُـرَاكَ بِبَطْـنِ المَـأزِمَينِ تَرَانـي[٥]

وَهَلْ أنَا غَـادٍ أنْشُـدُ النّبلَـةَ التـي ... بِهَا عَرَضـاً ذاكَ الغَـزَالُ رَمَـانيَ

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أيّـامِ جَمْـعٍ إلـى مِنـىً ... إلى مَوْقِفِ التّجمِـيرِ غَـيرُ أمَـاني

يُعَلّـلُ دائـي بِـالعِرَاقِ طَمَاعَـةً ... وَكَيْـفَ شِـفَائي وَالطّبِيـبُ يَمَـاني

---

[١] الوحاف: جمع وحفة، وهي أرض مستديرة مرتفعة سوداء.

[٢] تنسم الريح: هبوبها. الشيح والعلجان: ضربان من النبات.

[٣] معاجا: مقاما. أقران: النظير، مفردها قرن، وقيل الحبل. المتان: الطاقات والقوى.

[٤] الغريم: الخصم. لوى: مطل.

[٥] مزجي: سائق. النضو الطليح: المهزول من الإبل، والطليح: التعب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٣)

[الكامل]

يا مَسقِطَ العَلَمينِ من رَمـــلِ الحمـــى ... لي عنـــدَ ظَبيتِـك النَّـوارِ دُيـونُ[١]

شَـرَتِ الفُـؤادَ رَخيصـةً أعلاقُـــهُ ... ومَضَـى يَعَـضُّ بَنانَـــه المَغْبونُ[٢]

هيـهاتَ يَتبَعُنـي إلـــى سُـــلوانِه ... قَلْبٌ أصَـــابَ بـــهِ الظِّبـاءُ العيـنُ[٣]

سَنَحَتْ لَنا فـــي المُشـرِقاتِ عَشـيَّةً ... ومِـنَ السِّـهامِ مَحـاجِرٌ وَعُيُـــونُ

لا العَـفُّ عَـفٌّ حيـنَ يملِـكُ لُبَّـهُ ... تلـكَ اللِّحـاظُ وَلا الأمينُ أميـــنُ

لَـوْ أنَّ قَوْمَـكَ نَصَّلُـوا أرْماحَـــهُم ... بعُيُـونِ سِـرْبِكَ مـا أبَـلَّ طَعِيـنُ[٤]

---

[١] النوار: النفور.

[٢] الأعلاق: النفيس من كل شيء. المغبون: المغلوب، المخدوع.

[٣] العين: الواسعة العينين.

[٤] نصل الرمح: شحذه. أبل: شفي من مرضه. الطعين: المطعون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٤)

[الكامل]

يـا صَـاحِبَيّ تَرَوحَـا بِمَطِيّتَـيّ ... إنّ الظبّـاءَ بـذي الأرَاكِ سَـلَبَنَني[١]
سِيرَا فَقَدْ وَقَـفَ الطّعِيـنُ لِمَـا بـه ... مُستَسلِماً وَنَجَـا الـذي لَـمْ يُطعَـنِ
ما سَـرّني وَقَنـا اللّحَـاظِ تَنُوشُـني ... أنّـي هُنَـاكَ قَتِيـلُ غَـيرِ الأعيُنِ[٢]

[١] تروحا: من روح الابل أي ردها إلى المراح.
[٢] تنوشني: تبطش بي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٥)

[الطويل]

سَقاها وَإنْ لـــمْ يَـرْوِ قَلبـي بَيانُـها ... وَهَل تَتطِقُ العَجماءُ أقـوَى مَعانُـهَا[١]
ضَمَانٌ عَلى قَلبـــي الوَفَـاءُ لأهْلِـهَا ... وَثَـمّ ظِبَـاءٌ لا يَصِـحُّ ضَمَانُـــهَا
عَرَضْنَ بما رَوّى الغَلِيلَ اعتِرَاضُـــها ... وَلا قَطَعَ الدّمـعَ اللّجـوجَ اعتِنانُـهَا[٢]
وَهَلْ نَافِعٌ أن يَمـــلأَ العَيـنَ حُسـنُها ... إذا هيَ لـــمْ تُحسِـنْ إلَيْنَـا جِسَـانُهَا
تَذَكّرْتُ أيّامـــاً بـذي الأثْـلِ بَعدَمَـا ... تَقَضّى أوَاني فـــي الصّبَـا وَأوَانُـهَا
يُطَيّـبُ أنفَـاسَ الرّيَـاحِ تُرَابُـــهَا ... وَيَخجَلُ مِـنَ دَمـعِ الغَمـائمِ بانُـهَا
وَلَمّـا عَطَفْـتُ النّـاظرَينِ بِلَفْتَـــةٍ ... إلى الدّارِ خَلّى عَبرَةَ العَيـنِ شَـانُهَا[٣]
لَيَـالِيَ تَثْنِينـي عَوَاطِـفُ صَبْوَتَـي ... إلَـى بَدَوِيّـــاتٍ تَتَنّـــى لِدانُـــهَا
وَلا لَـــذّةً إلا الحَديـــثُ كَأنّـــهُ ... لآلٍ عَلـى جَيـْـداءَ وَآهٍ جُمَانُـــهَا
عَفَافٌ كَمَـــا شَـاءَ الإلَـهُ يَسُـرّني ... وَإنْ سِيءَ مِنْـــهُ بِكْرُهَـا وَعَوَانُـهَا[٤]
أألآنَ لَمّـا اعْتَـمّ بالشّـيبِ مَفرِقـــي ... وَجَلّى الدّجَى عَـنْ لِمّتـي لَمَعانُـهَا
وَتَجذِبُنَي صَـــرْفُ الزّمَـانِ وَوُقّـرَتْ ... على الحِلْمِ نَفسِي وَانقَضَى نَزَوانُـــهَا[٥]
تَـرُومُ العِـدا أنْ تُسْـتَلانَ حَمِيّتـي ... وَقَبْلَـهُمُ أعْـدَى عَلـيّ حِرَانُـــهَا[٦]

---

[١] العجماء: البهيمة، وأراد هنا الدار. أقوى: خلا. معانها: منزلها.

[٢] اعتنانها: ظهورها.

[٣] شانها: مجراها.

[٤] العوان: هي من النساء من كان لها زوج.

[٥] تجذبني:جربه وحنكه. النزوان: الحدة والسورة.

[٦] الحران: من حرنت الدابة، وهي التي إذا استدر جريها وقفت، وقيل فرس حرون لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف. أي أن الأعداء تبغي إلانة حميته وإذلالها، لكن نفسه رفضت ذلك وأبت الانقياد لمرامهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٦)

[الطويل]

وَما كُنتُ أدري الحُبَّ حتّى تعرّضَتْ ... عُيُونُ ظِبَاءٍ بالمَدينَةِ عِينِ
فَوَاللهِ مَا أدْرِي الغَداةَ رَمَيْنَنَا ... عَنِ النَّبْعِ أمْ عَن أعيُنٍ وَجُفُونِ[١]
بِكُلِّ حَشًى مِنّا رَمِيَّةُ نَابِلٍ ... قَوِيٍّ عَلى الأحشَاءِ غَيرِ أمِينِ
فَرَرْتُ بِطَرْفي مِن سِهامٍ لِحاظِها ... وَهَلْ تَتَلَقّى أسهُمٌ بعُيُونِ
وَقالوا: انتَجِعْ رَعيَ الهَوى من بلادِه ... فَهَذا مَعَاذٌ مِنْ جَوًى وَحَنِينِ
فَيا بانَتَيْ بَطْنِ العَقِيقِ سُقِيتُمَا ... بِمَاءِ الغَوَادي بَعدَ مَاءِ شُؤونِ[٢]
أُحِبُّكُمَا وَالمُستَجَنِّ بِطَيْبَةٍ ... مَحَبَّةَ ذُخْرٍ بَاتَ عِندَ ضَنِينِ[٣]
جَلَوْنَ الحِداقَ النُّجلَ وَهيَ سَقامُنا ... وَوَارَيْنَ أجْيَادا وَسُودَ قُرُونِ
وَلَوْلا العُيُونُ النُّجلُ ما قادَنا الهَوى ... لِكُلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجَبِينِ[٤]
يُلَجلِجْنَ قُضْبَانَ البَشامِ عَشِيَّةً ... عَلى ثَغَبٍ مِنْ رِيقِهِنَّ مَعِينِ[٥]
تَرَى بَرَداً يَعدِي إلى القَلْبِ بَرْدُهُ ... فَيَنقَعُ مِنْ قَبْلِ المَذاقِ بحِينِ[٦]
تَماسَكْتُ لَمّا خالَطَ اللُّبَّ لَحظُها ... وَقَدْ جُنَّ مِنهُ القَلْبُ أيَّ جُنُونِ
وَمَا كانَ إلاّ وَقفَةٌ ثُمَّ لَمْ تَدَعْ ... دَواعِي النَّوَى مِنهُنَّ غَيرَ ظُنُونِ
نَصَصْتُ المَطايا أبتَغي رُشْدَ مَذهبي ... فَأقلَعْنَ عَنّي وَالغَوايَةُ دُونِي[٧]

---

[١] النبع: شجر تصنع منه القسي.

[٢] ماء الشؤون: كناية عن الدمع، والشؤون مجاري الدمع.

[٣] المستجن: المدفون في المدينة (كناية عن الرسول).

[٤] اللبان: الصدر.

[٥] يلجلجن: يدرن في أفواههن. البشام: شجر طيب الرائحة يستاك بعيدانه. الثغب: الغدير في ظل الجبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه.

[٦] يعدي: يجاوز. ينقع: يسكن العطش. الحين: الوقت، المدة.

[٧] نصصت: من النص، استخرجت أقصى طاقتها في السير. الغواية: الضلال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٧)

[الوافر]

أُحِبُّكِ ما أقامَ مِنىً وَجَمْعٌ ... وَمَا أرْسَى بِمَكَّةَ أخْشَاهَا[1]

وَما رَفَعَ الحَجِيجُ إلى المُصَلّى ... يَجُرّونَ المَطِيّ عَلى وَجَاهَا[2]

وَما نحَرُوا بخَيفِ مِنىً وكَبّوا ... عَلى الأذْقانِ مُشْعَرَةً ذُرَاهَا

نَظَرْتُكِ نَظْرَةً بالخَيفِ كانَتْ ... جَلاءَ العَينِ مِنّي بَلْ قَذاهَا

وَلَمْ يَكُ غَيْرُ مُوْقِفِنا فَطارَتْ ... بِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنّا نَوَاهَا

فَوَاهاً كَيْفَ تَجْمَعُنَا اللّيَالي ... وآهاً مِنْ تَفَرُّقِنَا وآهَا

فَأُقْسِمُ بالوُقُوفِ عَلى أَلالٍ ... وَمَن شَهِدَ الجِمارَ وَمَنْ رَماهَا

وَأرْكَانِ العَتِيقِ وَبانِيَيْهَا ... وَزَمزَمَ والمَقَامِ وَمَنْ سَقَاهَا

لأَنْتِ النَّفْسُ خَالِصَةً فإن لَمْ ... تَكُونِيها فأنْتِ إذاً مُنَاهَا

نَظَرْتُ بِبَطنِ مكّةَ أمَّ خِشْفٍ ... تَبَغَّمُ وَهي نَاشِدَةً طَلاهَا[3]

وَأعجَبَنِي مَلامِحُ مِنكِ فيها ... فَقُلْتُ أخَا القَرِينَةِ أمْ تُرَاهَا

فَلَوْلا أنَّني رَجُلٌ حَرَامٌ ... ضَمَمْتُ قُرُونَها وَلَثَمْتُ فَاهَا[4]

---

[1] الأخشبان: جبلا مكة المكرمة: أبو قبيس والأحمر.

[2] الوجى: مشي الناقة التي تشتكي من باطن خفها.

[3] الخشف: ولد الظبي. تبغم: تصيح.

[4] رجل حرام: محرم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٨)

[الطويل]

ألا غنّياني بالدّيار فإنّني ... أُحِبّ زَرُودًا ما أقام ثَراها
وبين النّقا و الأنعُمَين مَحلّةٌ ... حبيبٌ لقلبي قاعُها ورُباها[1]
وَنعمانُ يا سُقيا لنعمانَ ما جرتْ ... عليه النّعامَى بَعْدَنا وصَباها[2]
وللقلبِ عِنْدَ المأزَمين وجمعِها ... دُيُونٌ وَمقضَى خيفِها ومِنَاها
وظبْيٍ بأطْوَارِ الجمار إذا غدا ... رَمَى كَبِدًا مَقْرُوحَةً ورَماها
وَغيداءَ لم تَصْحبْ سوَى الشّمسِ أختها ... ولا جَاوَرَتْ إلاّ الغَزالَ أخاها
وَخُلّة فُرْسَانٍ عُيُونٌ ظِبَائِها ... أمَضُّ جِراحًا مِنْ طِعَان قَناها
هيَ الدّارُ لا دارٌ بأكنافِ بابِلٍ ... جَدِيرٌ بِضَيْمِ النّازِلينَ حِماها
مَنازِلُ مَمْنُونٌ على الرّكْبِ زَادُها ... نَزُورٌ على كدّ المطَالِ جَدَاها[3]
فَلا سُقِيَتْ إلاّ الصّوَارِمَ والقَنَا ... ولا صَابَ إلاّ بِالدّماءِ حَيَاها[4]

---

[1] الأنعمان: واديان هما: الأنعم وعاقل.

[2] النعامى: ريح الجنوب.

[3] ممنون: محسوب. النزور: القليل.

[4] الحيا: المطر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤٩)

[مجزوء الكامل]

عَادَ الهَوَى بِظِبَاءِ مَكَّـ ... ـةَ للقُلُوبِ كمَا بَدَاهَا
وَخَبَتْ عَلَيكَ مِنِّي تَبَا ... رِيحَ الغَرَامِ وَمَا زَهَاهَا[1]
طَرَبَاً عَلَى طَرَبٍ بِهَا ... يَا دِينَ قَلبِكَ مَن جوَاهَا
إنِّي عَلِقْتُ عَلَى مِنًى ... لَمْيَاءَ يَقْتُلُنِي لَمَاهَا
رَاحَتْ مَعَ الغِزْلانِ قَدْ ... لَعِبَتْ بِقَلبِي مَا كَفاهَا
تَبغِي الثَّوَابَ فمُهجَتِي ... هَذِي القَرِيحَةُ مَنْ رَمَاهَا
تَزْهُو عَلَى تِلْكَ الظِّبَا ... ءِ فَلَيتَ شِعرِي مَنْ أبَاهَا
وَقَفَ الهَوَى بِي عِندَهَا ... وَسَرَتْ بِقَلبِي مُقْلَتَاهَا
بَرَدَتْ عَلَيَّ كَأنَّمَا ... طَلُّ الغَمَامَةَ عَارِضَاهَا
شَمْسٌ أقَبَّلُ جِيدَهَا ... يَوْمَ النَّوَى وَأجَلُّ فَاهَا
وَأذُودُ قَلْباً ظَامِئاً ... لَوْ قِيلَ :وِرْدك مَا عداهَا
وَلَوِ استَطَاعَ لَقَدْ جَرَى ... مَجرَى الوِشَاحِ عَلَى حَشَاهَا[2]
يَا يَوْمَ مُفْتَرَقِ الرِّفَا ... قِ تُرَى تَعُودُ لمُلْتَقَاهَا
قَالَتْ : سَيَطْرُقُكَ الخَيَا ... لُ مِنَ العَقِيقِ عَلَى نَوَاهَا
فَعِدِي بِطَيفِكِ مُقْلَةً ... إنْ غِبتِ تَطمَعُ فِي كَرَاهَا
إنِّي شَرِبْتُ مِنَ الهَوَى ... حَمْرَاءَ صِرْفَ سَاقِيَاهَا
يَا سَرْحَةً بالقَاعِ لَمْ ... يُبْلَلْ بِغَيرِ دَمِي ثَرَاهَا
مَمْنُوعَةً لا ظِلُّهَا ... يَدْنُو إلَيَّ وَلا جَنَاهَا
أكَذا تَذُوبُ عَلَيكُمُ ... نَفسِي وَمَا بَلَغَتْ مُنَاهَا
جَسَدٌ يُقَلِّبُ لِلضَّنَى ... بِيَدَيْ طُبَيِّئَةٍ سِوَاهَا
أيْنَ الوُجُوهُ أُحِبُّهَا ... وَأوَدُّ لَوْ أنِّي فِدَاهَا
أمْسِي لَهَا مُتَفَقِّداً ... فِي العَائِدِينَ وَلا أرَاهَا
وَاهاً وَلَوْلا أنْ يَلُو ... مَ اللاَّئِمُونَ لَقُلْتُ:آهَا

---

[1] خبت: أخفت وسترت. تباريح الغرام: أذاه وشدته.

[2] الوشاح: شبه قلادة من نسيج أو جلد عريض يرصع بالجوهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. الحشا: ما في جوف البطن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥٠)

[المتقارب]

تَلَفَّتُّ وَالرَّمْلُ مَا بَيْنَنَا ... وَأعْلامُ ذي بَقَرٍ أو رُبَاهُ
فَقُلْتُ عَلى طَرَباتِ الهَوَى ... عسَى الطَّرْفُ يَبلُغُهم أو كَرَاهُ
فَمَا لَقِيَ الحُبُّ إلاّ الجَوَى ... وَلا بَلَغَ الطَّرْفُ إلاّ قَذاهُ
بذِكرِي أشُمُّ ثَرَى أرْضِهِ ... عَلى نَأيِهِ وَبِقَلْبِي أرَاهُ
عَسَى مَنْ رَمَى بالمُحبِّ الغَرِيـ ... ـبِ مَرْمَى بَعِيدًا يُقضِّي نَوَاهُ
وَتَدْنُو الدِّيَارُ بسُكّانِهَا ... تمنّي امرِىءٍ ما عَرَاكم عَرَاهُ
أصَاحِ تَرَى البَرْقَ في لَمْعِهِ ... تَخَلَّجَ أيْمٍ يُلَوِّي مَطَاهُ[1]
وَقَالُوا : سَنَاهُ عَلى رَامَةٍ ... وَيَا بُعْدَ مَوْقِفِنَا مِنْ سَنَاهُ[2]
دَعِ القَلْبَ يأرَقُ من ذِكرِهم ... فقد ذاقَ من بَينِهم ما كَفَاهُ
فَلا حَطَّ إلاّ بِهِمْ رَحْلَهُ ... وَلا جَادَ إلاّ عَلَيْهِمْ حَيَاهُ[3]

---

[1] التخلج: التحرك والاضطراب. الأيم: الحية الذكر. لوى: فتل. مطاه: الظهر.

[2] رامة: موضع.

[3] الحيا: المطر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥١)

[الطويل]

أقُـولُ لرَكْـبٍ رَائِحِيـنَ: لَعَلَّكُـــم ... تَحِلُّونَ مِنْ بَعْـــدي العَقِيـقَ اليَمَانِيـَا
خُذوا نَظْرَةً مِنّي فلاقَوْا بـــها الحِمَـى ... وَنَجـداً وَكُثْبَـانَ اللّـوَى وَالمَطَالِيـَا
وَمُرّوا عَلـــى أبْيَـاتِ حَـيٍّ بِرَامَـةٍ ... فَقولُوا : لَدِيغٌ يَبتَغـــي اليَـوْمَ رَاقِيـَا
عَدِمْـتُ دَوَائـي بـالعِرَاقِ فَرُبَّمَـــا ... وَجَدْتُـمْ بِنَجْـدٍ لـي طَبِيبـاً مُدَاوِيـَا
وَقُولوا لجِيرَانٍ على الخَيفِ من مِنـىً ... تُرَاكُـمْ مَـنِ اسـتَبْدَلْتُمُ بِجوَارِيـــَا
وَمَن حلّ ذاك الشِّعبَ بعدي وَرَاشَـقتْ ... لَوَاحِظُـهُ تِلْـكَ الظِّبَـاءَ الجَوَازِيـَا[1]
وَمَنْ وَرَدَ المَاءَ الـــذي كُنْـتُ وَارِداً ... بِهِ وَرَعَى الرَّوْضَ الذي كنتُ رَاعِيـَا
فَوَالَهفَتي كَم لي على الخَيفِ شَـــهقَةً ... تَذُوبُ عَلَيـــها قِطعَـةً مِـن فُؤَادِيـَا
صَفا العَيشُ من بَعدي لحَيٍّ على النَّقـا ... حلفتُ لهمْ لا أقـــرَبُ المَـاءَ صَافِيـَا
فَيَا جَبَـــلَ الرَّيّـَانِ إنْ تَعـــرَ مِنـــهُمُ ... فإنّي سَأَكْسُـــوكَ الدّمُـوعَ الجَوَارِيـَا
وَيا قُرْبَ مـــا أنكَرْتُـمُ العَـهدَ بَيْنَنَـا ... نَسِيتُمْ وَما اســـتَوْدَعتُمُ الـوُدَّ ناسِـيَا
أأنْكَرْتُـمُ تَســـليمَنَا لَيْلَـــةَ النَّقَـــا ... وَمَوْقِفَنَـا نَرْمِـــي الجِمَـارَ لَيَالِيـــَا
عَشِـيَّةَ جَـارَاني بِعَيْنَيْـهِ شَـــادِنٌ ... حديثُ النَّوَى حتّى رَمَى بي المَرَامِيـَا
رَمَى مَقتَلي مِنْ بَيْنِ سِـجفَيْ عَبيطِـه ... فَيَا رَامِياً لا مَسَّـكَ السّـوءُ رَامِيـَا[2]
فَيَا لَيْتَنَـــي لَـمْ أعْـلُ نَشْـزاً إلَيْكُـمُ ... حَرَامًا وَلَمْ أهبِطْ من الأرْضِ وَادِيـَا[3]
وَلَمْ أدرِ ما جَمعٌ وَمَا جَمْرَتَـــا مِنـَى ... وَلَمْ أَلقَ فـــي اللاقِّيـنَ حَيّـاً يمَانِيـَا
وَيا وَيْحَ قَلبي كَيفَ زَايَدتُ في منـــىً ... بِذي البَـــانِ لا يُشْـرَينَ إلاّ غَوَالِيـَا
تَرَحّلْتُ عَنكُمْ لـــي أمَـامِيَ نَظـرَةٌ ... وَعشرٌ وَعشرٌ نَحوَكُـمْ لـي وَرَائِيـَا
وَمِنْ حَذَرٍ لا أســألُ الرَّكْـبَ عنكُـمُ ... وَأعلاقُ وَجْدي باقِيـــاتٌ كمـا هِيـَا
وَمَن يَسألِ الرّكبانَ عن كـلّ غـائِبٍ ... فَـلا بُـدّ أنْ يَلقَـى بَشِـيراً وَنَاعِيـَا
وَمَا مُغزِلٌ أدْمَـاءُ تَزْجـي بِرَوْضَـةٍ ... طَلاً قَاصِراً عن غايَةِ السَّرْبِ وَانِيَا[4]

---

[1] الجوازي: المستغنية عن الماء بالكلأ.

[2] السجف: الستر. الغبيط: المشقوق. والمراد هنا ستري الأدم المشقوق.

[3] النشز: المكان المرتفع.

[4] مغزل: الظبية التي لها غزال. أدماء: بيضاء تعلوها غبرة. طلا: ولد الغزال. الوانٍ: المتعب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهَا بَغَمَـاتٌ خَلْفَـه تُزْعِـجُ الحَشَـى ... كجَسِّ العَذارَى يَختَـبِرْنَ المَلاهِيَـا[1]

يَحُـورُ إليْـهَا بالبغَـامِ فتَنثَنِـي ... كما التَفَتَ المَطلوبُ يخشَى الأعادِيَـا[2]

بأرْوَعَ مِـنْ ظَمْيَـاءَ قَلبـاً وَمُهْجَـةً ... غَـداةَ سَـمِعْنَا للتَّفَـرّقِ داعِيَـا

تُوَدّعُنَا مَـا بَيْـنَ شَـكوَى وَعَـبْرَةٍ ... وَقَدْ أصْبَحَ الرّكْبُ العِرَاقِـيُّ غَادِيَـا

فَلَمْ أرَ يَـوْمَ النّفـرِ أكـثرَ ضَاحِكـاً ... وَلَـمْ أرَ يَـوْمَ النّفْـرِ أكـثرَ بَاكِيَـا

---

[1] البغام: صوت الظبية الرخيم.

[2] يحور: يرجع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النجديّات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

[الطويل]

فَمِنْ حِلّةٍ نَجتابُها وَقبيلَةٍ ... نَمُرُّ بِها مُسْتَبحينَ كِلابَها[١]

ومن بارقٍ نهفُو إليه وَنَفْحَةً ... تُذَكِّرُنا أيامَها وشَبابها[٢]

وَلَهفي على عهد الشباب وَلمّةٍ ... أَطَرّتْ غداةَ الخَيْفِ عنّي غُرابَها

ومن دار أحبابٍ نَبَلّ طُلولَها ... بماءِ الأماقي أو نُحَيّي جَنابَها[٣]

ومن رِفْقَةٍ نَجْدِيّةٍ بَدَوِيّةٍ ... تُفاوضُنا أشجانَها واكْتِئابَها

وَنُذْكِرُها الأشواقَ حتى تُحِنَّها ... وَتُعْدي بأطراف الحنين ركابَها

إذا ما تَحَدّى الشَّوقُ يوماً قُلوبَنا ... عَرَضْنا له أنفاسَنا والتهابَها

وَمِلْنا على الأكوارِ طَرْبَى كأنّما ... رَأَيْنا العِراقَ أو نَزَلْنا قِبابَها[٤]

نُشاقُ إلى أوطانِنا وتَعوقُنا ... زِياداتُ سَيْرٍ ما حَسِبْنا حِسابَها

وكم ليلةٍ بتْنا نُكابِدُ هَوْلَها ... وَنَمزُقُ حَصْباها إذا الغَمرُ هابَها[٥]

وقد نَصَلَتْ أنضاؤنا من ظلامِها ... نُصولَ بنانِ الخَوْدِ تَنضُو خضابَها[٦]

وهاجِرةٍ تُلقي شِرارَ وَقُودِها ... على الرَّكْبِ أنعَلنا المَطِيَّ ظِرابَها[٧]

إذا ما طَلَتْنا بَعدَ ظَمْءٍ بِمائِها ... وعَجّ الظَّوامي أوْرَدَتْنا سَرابَها

تَمنّى الرفاقُ الوِرْدَ والرِّيقُ ناضبٌ ... فلا رِيقَ إلا الشمسُ تُلقي لُعابَها[٨]

إلى أن وَقَفْنا المَوْقِفَيْن وشافَهَتْ ... بِنا مكةٌ أعلامَها وهضابَها

وبتْنا بجَمْعٍ والمَطِيُّ مُوَقَّفٌ ... نُؤمّلُ أن نلقَى منىً وحِصابَها

وَطُفْنا بعادِيّ البِناءِ مُحَجَّبٍ ... نرى عندَهُ أعمالَنا وثوابَها

وزُرْنا رسولَ اللهِ ثم بُعَيْدَهُ ... قُبورَ رجالٍ ما سَلَوْنا مُصابَها

---

[١] حلة: الحي. نجتابها: نجتازها.

[٢] البارق: السحاب فيه برق. النفحة: الدفعة من الريح.

[٣] الأماقي: جمع موق وهو طرف العين. الجناب: الفناء.

[٤] الأكوار: جمع كور وهو رحل الناقة.

[٥] الغمر: الجاهل الذي لا تجربة عنده.

[٦] نصلت: خرجت. الأنضاء: المهزول من الإبل. الخود: الشابة الحسناء. تنضو خضابها: يذهب لونها.

[٧] الهاجرة: شدة الحر. الضراب: الحجارة الناتئة.

[٨] لعاب الشمس: شيء كأنه ينحدر من السماء عند الهاجرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجُزْنا بسيفِ البحرِ والبحرُ زاخـــرٌ ... بُلجّتِـه حتـى وَطِئْنـــا عُبابَـــها[1]

خُطوبٌ يُعَنَّ الشّيبَ فـي كـل لِمّـةٍ ... ويُنْسِـينَ أيـامَ الصِّبـا و لِعابَـــها

عسى اللهُ أنْ يأوِي لشُـعْثٍ تنـاهَبوا ... هِبابَ المطايَـا نَصَّـها وانجذابَـها[2]

وجاسُوا بأيديها على عِلَـلِ السُّـرَى ... حِـرَارَ أمَـاعيزِ الطريـقِ وَلابـَها[3]

فـيرمي بـها بَغـدادَ كـلَّ مُكَـبِّرٍ ... إذا مـا رأى جُدرانَـــها وقِبابَـــها

فكم دعـــوةٍ أرسـلْتُها عِنـد كُربَـةٍ ... إليهِ فكـانَ الطـولُ منـهُ جوابَـها[4]

---

[1] السيف: ساحل البحر. العباب: الأمواج.

[2] هباب المطايا: نشاط النياق.

[3] جاسوا: طافوا. علل السرى: أنواع السير. الحرار واللابة: الأراضي ذات الحجارة السوداء والنخرة. الأماعيز: جمع معزاء وهـــي الأرض الغليظة والكثيرة الحجارة.

[4] الطول: الفضل والسعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

[الطويل]

خُذي نَفَسي يا ريحُ من جانب الحمى ... فَلاقي بها ليلاً نسيمَ رُبَى نَجْدِ

فإنّ بذاكَ الحَيّ إلْفاً عَهِدْتُه ... وبالرّغم مني أنْ يطولَ به عهدي

ولَولا تداوي القلبِ من ألم الجَوَى ... بذكْرِ تَلاقِينا قَضَيتُ من الوجدِ

ويا صاحِبيَّ اليومَ عُوجَا لتَسْألا ... رُكَيْباً من الغَوْرين أنضاؤهم تَخْدي[١]

عنِ الحيِّ بالجرْعاءِ جَرْعاءِ مالكٍ ... هل ارْتَبعوا واخضَرّ واديهمُ بَعدي[٢]

كأنّ بِعَيْني بَعدَهُمْ غائرَ القذى ... إذا أنا لمْ أنظُرْ إلى العَلَمِ الفَرْد

شَمَمْتُ بنَجْدٍ شيحَةً حاجِريةً ... فأمطَرْتُها دَمعي وأفرَشْتُها خَدّي[٣]

ذكرتُ بَها رَيّا الحبيبِ على النّوَى ... وهيهاتَ ذا يا بُعدَ بينهما عندي

وإنّي لَمَجْلوبٌ لَيَ الشّوقُ كُلّما ... تنفّسَ شاكٍ أو تألّمَ ذو وَجْدِ

تَعرّضَ رُسلُ الشوقِ و الرّكبُ هاجد ... فتوقِظُني من بينِ نُوّامهمْ وحدي[٤]

فقلتُ لأصحابي : ألا تَتَزافَروا ... رُوَيدكُم!إن الهوى داؤهُ يُعدي[٥]

وما شَرِبَ العُشّاقُ إلا بَقِيّتي ... ولا وَرَدُوا في الحب إلا على وِرْدي

---

[١] أنضاء: جمع نضو، الهزيل من النوق. تخدي: تسرع.

[٢] الجرعاء: رملة مستوية لا ينبت فيها شيء. وجرعاء مالك موضع. ارتبعوا: نزلوا في مكان معشب.

[٣] الشيح: نبات له رائحة طيبة.

[٤] هاجد: نائم.

[٥] تتزافروا: تتنهدوا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

[المنسرح]

يـا طِيـبَ نَجْـدٍ وحُسـنَ سـاكنِه ... لـو أنـهُم أنجَـزُوا الـذي وَعَـدوا
قـالوا وقـد قُرّبَـتْ ركائِبُنـا ... والقلـبُ يَظْمَـا بـهم ولا يَـرِدُ
أتـارِكٌ أرضَنـا؟ فقلـتُ لـهُم: ... أنجَـدَ قلبـي وأعْـرَقَ الجَسَـدُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥)

[الكامل]

هـلّ رِيـعَ قَلبُـكَ للخَليـطِ المُنْجـدِ ... بلوَى البُرَاقِ تزايلُوا عـن مَوْعِـدي[١]

قـالوا:غـدا يـومُ النّـوى فتسَـلّفوا ... عَضّاً لأطْـرَافِ البَنَـانِ علـى غـدِ

رفعُـوا القبـابَ وَبَيْنَـهُنّ لُبانـةٌ ... لـمْ تَقْضِـها عِـدَةُ الغَـزالِ الأغْيَدِ[٢]

وَغَدَوْا غُدُوَّ الـرّوْضِ ألبَسَـهُ الحَيَـا ... نَسّـجَينِ بيـنَ مُسَـرَّدٍ ومُعَضَّـدِ[٣]

وَوراهُـمُ قلـبٌ يُشَـاقُ وَمُهْجَـةٌ ... بَـرَدَتْ رَدَىً وغَليلُـها لـم يَـبْرُدِ

لاثُوا خدودَهُـمُ علـى عِيـنِ النّقَـا ... وَدُمَـى النّمَـارقِ والغُصُـونِ المُيَّدِ[٤]

وأَهِلّـةٍ بِتْنَـا نَضَـلُّ بِضَوئِـها ... ولقـد تَرانـا بالأَهِلّـةِ نَـهْتدي

فسقَى ثَـرَى تلـكَ الغُصـونِ نَباتَـهُ ... ما شاءَ مِـنْ سَـبَلِ الغَمـامِ المُزْبِـدِ

ولقد مررتُ علـى الديـارِ فعَزّنـي ... جَلَدي وكـانَ أعـزَّ منـهُ تَجلّـدي

لـولا مُكَـاثَرَةُ الدمـوعِ عَشِـيّةً ... لعرفْـتُ رَسْـمَ المـنْزِلِ المُتَـأبِّدِ[٥]

---

[١] الخليط: القوم. تزايلوا: تنادوا للرحيل.

[٢] الحيا: المطر. لبانة: حاجة. الغزال الأغيد: كناية عن المرأة الجميلة طويلة العنق.

[٣] مسرد ومعضد: منسوج طولا وعرضا.

[٤] لاثوا: لطخوا. الدمى: جمع دمية، أي الفتاة الجميلة. النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة. الميد: التي تتمايل.

[٥] المتأبد: المقفر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦)

[المتقارب]

أراكَ ستُحدثُ للقَلْبِ وَجْدا ... إذا ما الظّعائنُ ودّعْنَ نَجْدا
بَواكِرُ يَطْلُعْنَ نُقْبَ الغُوَيْرِ ... شَأَوْنَ النّواظِرَ نَأياً وبُعْدا[1]
تَتَبّعُهُمْ نَظَراتُ الصّقُورِ ... آنَسْنَ هَفْهَفَةَ الطّيرِ جَدّا[2]
على قَنَوَيْنِ ألا مَنْ رأى ... ظَعائنَ بالطّعنِ والضّرْبِ نَجْدا[3]
نُخالِسُها مِنْ خِلالِ القَنا ... سلاماً ونعلَمُ أنْ لا تَرُدّا
كَأنّ هَوادِجَها والقِبابَ ... يَئِنّينَ مِنهُنّ بانًا ورَنْدا
فما شِئتَ تَتسِمُ بالقلبِ نَشْرًا ... وما شِئتَ تقطِفُ بالعينِ وَرْدَا
كَأنّ قَوانيَ أنماطِها ... قُطوعُ رِياضٍ من الطّلِّ تَنْدَى[4]
يَصُدّون عَنّا بلَمعِ الخُدودِ ... وَيمْنَعُنا وَجْدُنا أن نَصُدّا
كأنا بنجدٍ غَداةَ الوداعِ ... نُصادِي عُيوناً من الدمعِ رُمّدا[5]
وأيسرُ ما نالَ منا الغَليلُ ... أنْ لا نَحِسّ من الماءِ بَرْدا
أثاروا زفيراً يلفّ الضلوعَ ... لَفَّ الرياحِ أنابيبَ مُلْدا[6]
فكُلُّ حرارَةُ أنفاسِهِ ... تَدُلّ على أنّ في القلبِ وَقْدا
وإنّيَ للشّوقِ من بَعدِهِمْ ... أُراعي الجَنُوبَ رَواحًا ومَغْدى[7]
وأفرحُ مِنْ نحوِ أوطانِهِمْ ... بِغَيْثٍ يُجَلجِلُ بَرقاً ورعدًا
إذا طلعَ الرّكْبُ يَمّمْتُهُ ... أحَيّي الوجوهَ كُهولا ومُرْدا
وأسألُهم عن جُنوبِ الحِمَى ... وعن أرضِ نجدٍ ومَن حلّ نَجْدا
نَشَدْتُكُمُ اللهَ فَلْيُخْبِرَنّ ... مَنْ كان أقرَبَ بالرّمْلِ عَهْدا

---

[1] نقب: طريق. الغوير: اسم ماء لبني كلاب. شأون: سبقن.

[2] هفهفة الطير:صوت طيرانه.

[3] القنوان: الجبلان. نجدا: الغلبة.

[4] القوان: الحمر. الأنماط: جمع نمط، نوع من البسط. القطوع: جمع قطع، البساط أو الطنفسة تكون تحت الراكب.

[5] نصادي: نداري.

[6] الأنابيب الملد: الرماح اللينة.

[7] رواحا ومغدى: مساء وصباحا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـلِ الـدّارُ بـــالجِزْعِ مأهولَـــةٌ ... أنـارَ الربيـعُ عليـــها وَأسْـــدَى[1]

وهـل حَلَـبَ الغَيْـــثُ أخْلافَـــهُ ... على مَحضَـــرٍ مِـنْ زَرُودَ ومَبْـدَا[2]

وهـل أهلُـهُ عَـنْ تَنـائي الدِّيـــارِ ... يُرَاعُـون عـــهداً ويَرْعَـــوْنَ وُدّا

---

[1] أسدى: امتد.

[2] الأخلاف: مفردها خلف، وهو ما انبت الصيف من العشب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧)

[الطويل]

تَزَوَّدْ مِن الماءِ النَّقـــاخِ فلَـنْ تـرى ... بِوَادِي الغَضَا ماءً نُقاخـًا ولا بَـرْدا[١]

ونَلْ من نسيمِ الرَّنـــدِ وَالبـَانِ نَفحَـةً ... فهيهاتَ وادٍ يُنبـــتُ البـَانَ والرَّنـْدا[٢]

وَعُجْ بالحِمَى عَيْنـًا فلسـتَ برَامـقٍ ... طَوالَ الليـــالي ذلـكَ العَلَـمَ الفَـرْدا

وَكُـرَّ إلـى نجـدٍ بطرفـكَ إنـــهُ ... متى يَعْدُ لا ينظُرْ عقيقـًا ولا نَجْـدا

تَلَفَّتَ دُونَ الركْـبِ والعيـنُ غَمـرَةٌ ... وقد مَدَّها سَـيلُ الدمـوعِ بمـا مَـدّا

لَعَلّـي أرى دارًا بِأَسْـنِمَةِ النَّقـَـا ... فأُطْرِبُنَـا للـدّارِ أقْرَبُنـَـا عَـهْدا

تَلاعَبُ بـــي بيـنَ المَعَـالمِ لَوْعَـةٌ ... فَتَذهبُ بي يأسًا وَتَرْجعُ بـــي وَجْـدا

منازِلُ ناشَدْتُ السحابَ فمـــا قضَـى ... فَرِيضَتَـها عنّـي السـحابُ ولا أدّى

وَهَلْ بَالِغٌ مـــا يَبْلُـغُ الدمـعُ عندَهـا ... حقائبَ غيثٍ تحملُ الـبرْقَ والرَّعـدا

أمنكِ الخَيالُ الطّـارِقي بَعـدَ هَجعَـةٍ ... يُعاطي جَوَى الظمآنِ مُبتَسـمًا بَـرْدا

دنا مِن أعَالي الرَّقمَتَيـــنِ ومـا دَنَـا ... وَصَدَّ وَقَدْ وَلّى الظـلامُ ومَـا صَـدّا

ومِن عَجَبٍ رَيّي وما نَقَـعَ الصّـدَى ... وَعَدّي لَهُ مَنّـًا علـيّ وَمَـا اعتَـدّا[٣]

أساءَ ليَـالي القُـرّبِ نأيـًا وهِجْـرَةً ... وأسدَى على بُعدٍ من الدارِ ما أسـدَى

---

[١] الماء النقاخ: الماء البارد العذب الصافي.

[٢] البان والرند: نوعان من الشجر رائحتها طيبة.

[٣] ربي: ارتوائي. نقع: بل. الصدى: العطش.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨)

[الرمل]

مَنْ رأى البَرْقَ بغَوْرِيّ السَّنَدْ ... في أديمِ الليلِ يَفري وَيقدّ[١]

حَيْرَةَ المِصْباحِ تَزْهاه الصَّبا ... خَلَلَ الظَّلْماءِ يَخْبو وَيَقِدْ

كلما أنجَدَ عُلْوِيّ السَّنا ... قامَ بالقلبِ اشتياقٌ وَقَعَدْ

كم أضاءَ البرقُ لي من مَعهدٍ ... ذابَ دمعُ العينِ فيه وجَمَدْ

ومَغانٍ أنبَتَ الحُسْنُ بها ... هَيفاً تَرْعاهُ عَيْني وغَيَدْ[٢]

كلما عاودَ قلبي ذِكْرُها ... لعبَ الدمعُ بِجَفْني وَجَدّ[٣]

إنْ رِيمَ السِّرْبِ أدنى لي الجَوَى ... ونَأى بالصبرِ عني والجَلَدْ

بِنَدَى غُصْنَينِ غُصنٍ ونَقاً ... وجَنَى عَذْبَيْنِ شَهْدٍ وبَرَدْ

قل لِزَوْرِ الشَّيْبِ أهلاً إنّهُ ... أخَذَ الغَيَّ وأعطاني الرَّشَدْ

طارقٌ قَوَّمَ عُودي بالنَّهى ... بعدما استَغمزَ من طُولِ الأوَدْ[٤]

وَقَرَ اليومَ جُموحاً رأسَهُ ... جارَ ما جارَ طويلاً وقَصَدْ[٥]

ظلّ لَمّاعٌ جَلاهُ بارِحٌ ... بعدما أبرقَ حيناً ورَعَدْ

---

[١] السند: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح. يفري: يشق. يقد: يقطع.

[٢] المغاني: الرياض. هيفا: مفردها هيفاء، وكذلك أغيد مفردها غيداء، أي الفتاة الممشوقة القد.

[٣] جد: اشتد.

[٤] استغمز: طلب الغمز ليستقيم. الأود: الاعوجاج.

[٥] القصد: العدل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٩)

[البسيط]

يا قَلبِ ما أنتَ مـــن نَجـدٍ وسَـاكِنِه ... خَلّفْتَ نجدًا وراءَ المُدلـــجِ السّـاري[١]

راحَتْ نَـــوازِعُ مِـنْ قلبـي تُتَبّعُـه ... علـــى بقايـــا لُبَانـــاتٍ وأوْطـــارِ[٢]

أهفُو إلى الرّكْبِ تعلُو لـــي ركابُـهُمُ ... مِن الحِمَى في أُسَـــيحاقٍ وأطْمَـارِ[٣]

تَضَـــوعَ أرواحُ نَجْـدٍ مِـنْ ثِيابِـــهِمُ ... عند النّزُولِ لقُـــرْب العَـهْد بـالدّارِ

يا راكبانِ قِفَا لي وَاقضِيـــا وَطَـري ... وخَـبّرانيَ عـنْ نَجْـــدٍ بأخْبَـــار

هل رُوّضَتْ قاعةُ الوَعساءِ أمْ مُطِرَتْ ... خَميلَةُ الطّلْـــحِ ذاتِ البَـانِ والغَـارِ[٤]

أمْ هَـلْ أبِيـتُ ودارٌ عنـدَ كاظِمَـــةٍ ... داري وسُمّارُ ذاكَ الحـــيّ سُـمّارِي[٥]

أيامَ أُودِعُ سرّي في الـــهَوى فَرَسـي ... وأكتُمُ الحَـــيّ إدْلاجـي وَإخطَـارِي[٦]

فلم يزالا إلـــى أنْ نَـمّ بـي نَفَسِـي ... وحَدّثَ الرّكبَ عنّي دَمعيَ الجـــارِي

---

[١] المدلج الساري: السائر خفية في الليل.

[٢] اللبانات والأوطار: الحاجات والغايات.

[٣] أسيحاق: مصغر إسحاق، الثياب البالية، وكذلك الأوطار.

[٤] روضت: أصبحت كالروض فيها العشب. الوعساء: الأرض المرملة، ولعله أراد موضعا بعينه. الخميلة: المنـهبط مـن الأرض. الطلـح: الشجر. البان والغار: نوعان من الشجر لهما رائحة طيبة.

[٥] كاظمة: بلدة قريبة من البصرة، وهي اليوم في الكويت. السمار: الجماعة الذين يسمرون ويلهون.

[٦] الإخطار: من خطر في سيره: مشى متمايلا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٠)

[الكامل]

ولَقَدْ أقولُ لصَاحبٍ نَبّهتُهُ ... فوقَ الرّحَالَةِ والمَطِيِّ رَوَاقي[1]

أوَ مَا شَمَمتَ بذي الأبارِقِ نفحةً ... خَلَصَتْ إلى كَبِدِ الفتى المُشْتاقِ

فجَنَى نسيمَ الشّيحِ مِنْ نجدٍ له ... حُرَقٌ الحَشَى وتَحَلُّبُ الآمَاقِ[2]

آهاً على نَفَحاتِ نَجْدٍ! إنّها ... رُسْلُ الهَوَى وأدِلّةُ الأشْواقِ

أَسَقيتَ بالكأسِ التي سُقيتُها ... أمْ هلْ خَطَتكَ إليّ كَفُّ السّاقي

فأوَى وقالَ:أرى بقلبكَ لَسعةً ... للحُبِّ ليسَ لِدائِها مِنْ راقِ

فصِفِ الغرامَ لمُفرِقٍ من دائِه ... إنّي لأقْدَمُ مِنكَ في العُشّاقِ[3]

أبَثَثْتُهُ كمَدِي وطُولَ تَجَلُّدي ... وأليمَ ما بي من نَوًى وفِرَاقِ

أشكو إليه بَيَاضَ سُودِ مَفارِقي ... ويظلُّ يَعجَبُ من سَوادِ البَاقي

---

[1] الرحالة: السرج من جلود لا خشب فيها. رواقي: سائرة في مرتفع.

[2] تحلب الآماق: سيلان مجاري الدمع.

[3] المفرق: الذي فارق داؤه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١١)

[الطويل]

أيَا جَبَلَيْ نَجدٍ أَبِينَا سُقيتُما ... متى زالتِ الأظعانُ يا جَبَلانِ
أناديكُما شَوقاً وأعْلَمُ أنّهُ ... وإنْ طالَ رَجْعُ القَوْلِ لا تَعيَانِ
أقولُ وقد مدَّ الظلامُ رِوَاقَه ... وألقى على هامِ الرُّبَى بِجِرَانِ[1]
نَشَدتُكُما أن تُضْمِرَانِي ساعةً ... لعلّي أرى النارَ التي تَرَيَانِ
وألقى على بعدٍ من الدارِ نفحةً ... تَذُمّ على عَيني من الهَمَلانِ[2]
قِفا صاحِبَيّ اليومَ أسألُ ساعةً ... ولا تُرْجِعا سَمعي بغيرِ بَيانِ
هل الرَّبعُ بعدَ الظاعنينَ كعَهدِه ... وهل راجِعٌ فيه عَلَيّ زمَاني
وهل مسّ ذاكَ الشِّيحَ عِرْنينُ ناشِقٍ ... وهل ذاقَ ماءً باللّوَى شَفَتَانِ
لقد غدرَ الأظعانُ يومَ سُوَيقةٍ ... ويَدْمَى لذكرِ الغادِرين بَناني[3]
ولا عَجَبٌ قلبي كما هنّ غادرٌ ... على أنّ أضلاعي عليه حَوَاني
لك اللهُ هل بعد الصّدودِ تَعَطّفٌ ... وهل بعد رَيْعَانِ البعادِ تَدانِي
وما غَرَضي أنّي أسومُك خُطّةً ... كفاني قليلٌ من رِضاكَ كَفَاني
وعاذِلَةٍ قُرْطٌ لأُذْنَيَ عَذْلُها ... تلومُ وما لي بالسّلُوّ يَدانِ
أعاذلَتي لو أن قلبَكِ كان لي ... سَلَوْتُ ولكنْ غيرُ قلبِكِ عاني
ألا ليتَ لي مِنْ ماءِ يَبرينَ شَرْبةً ... ألَذّ لقلبي مِنْ غَريضِ لِبَانِ[4]
أُداوي بها قلباً على النّأيِ لم تَدَعْ ... بهِ فَتكاتُ الشّوْقِ غيرَ حَنانِ
ولولا الجَوى لم أبغِ إلا مُدامَةً ... بطَعْنِ القنا إبريقُها الوَدَجانِ[5]

---

[1] الرواق: بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل. الجران: مقدم عنق البعير.

[2] تذم: تأخذ الذمة. الهملان: السيلان.

[3] الأظعان: مفردها ظعن وهو الهودج. سويقة: موضع ببطن مكة.

[4] يبرين: موضع قريب من الأحساء. الغريض: الأبيض الطري. اللبان: الرضاع.

[5] المدامة: الخمر. الودجان: مفردها الودج وهو عرق في العنق ينتفخ من الغضب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٢)

[البسيط]

أَسِلْ بدَمعِكَ وادي الحَيِّ إن بانوا ... إن الدموعَ على الأحزانِ أعوانُ

لا عُذْرَ بعدَ تنائي الدارِ من سَكَنٍ ... لمُدّعي الوجدِ لمْ يَدمَعْ له شانُ[١]

حَيِّ الطّوالعَ مِنْ نجدٍ تَصُونُهُمُ ... عنِ النّواظِرِ أنْماطٌ وَكِيرانُ[٢]

رَمَوْا جُيوبَ المَطالي عن مَيامِنِهِم ... وشيحَةُ الحَزْنِ يُسْراهم وَنَجرانُ[٣]

سارَت بقلبِكَ في الأحشاءِ زَفرَتُهُ ... واستَوْقفتكَ بأعلى الرملِ أظعانُ

لمّا مَرَرْنا على تلكَ السُّروبِ ضُحىً ... نَضَتْ إلى الرَّبعِ أجيادٌ وأعيانُ[٤]

مِنْ كلِّ غَيداءَ قد مالَ النّعيمُ بها ... كما تَخايَلَ بالبُرْدَينِ نَشْوانُ

كأنّما انفَرَجَتْ عنْهُمْ قِبابُهُمُ ... يومَ الأُنَيْعِمِ آجالٌ وصِيرانُ[٥]

مُستَشرِفاتٌ يُعَرّضْنَ الخُدودَ لنا ... كما تَشَوّفَ صَوْبَ المُزْنِ غِزْلانُ[٦]

لا يُذْكَرُ الرّملُ إلا حَنّ مُغْتَرِبٌ ... لهُ بذي الرّمْلِ أوطارٌ وأوطانُ

تهفو إلى البانِ مِنْ قلبي نَوازِعُهُ ... وَما بيَ البانُ بَلْ مَنْ دارُهُ البانُ

أسُدّ سَمعي إذا غَنّى الحَمامُ به ... ألاّ يُبَيّنَ سِرَّ الوجْدِ إعْلانُ

ورُبّ دارٍ أُوَلّيها مُجانَبَةً ... وبي إلى الدّارِ أطْرابٌ وأشْجانُ

إذا تَلَفّتُّ في أطْلالِها ابْتَدَرَتْ ... للعَينِ والقلبِ أمْواهٌ ونيرانُ

كَلْمٌ بِقَلْبي أُداويهِ وَيَقْرِفُهُ ... طُولُ ادّكاري لمَنْ لي منهُ نِسيانُ[٧]

---

[١] الشان: مجرى الدمع.

[٢] الأنماط: ثوب يطرح على الهودج. الكيران: جمع كور، وهو الرحل.

[٣] الجيوب: جمع جيب، وهو مدخل في الأرض. المطالي: مسيل ضيق من الأرض. شيحة: اسم ماء شرقي فيد بجلب. نجران: اسم لبلد في اليمن.

[٤] السروب: جمع سرب، الجمال.

[٥] آحال: جمع إحل، القطيع من البقر الوحشي. الصيران: مفرده الصوار، القطيع من البقر.

[٦] تشوف: تطلع إلى.

[٧] كلم: جرح. يقرفه: يقشره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٣)

[البسيط]

لَواعِجُ الشّوقِ تُخطيهِمْ وتُصْمِيني ... واللّومُ في الحُبّ يَنهاهُمْ ويُغْرِيني [١]

ولَوْ لَقُوا بعضَ ما ألقَى نَعِمتُ بهم ... لكنّهُمْ سَلِموا ممّا يُعَنّيني

وبالكَثيبِ إلى الأجزاعِ نازِلَةٌ ... عَلِقْتُ منها بوَعدٍ غيرِ مَضْمونِ

ما سَوّغُوني بَرْدَ الماءِ مُذْ حظَرُوا ... عليّ بَرْدَ اللَّمَى والشّوْقُ يُظمِيني

يا مَنشَطَ الشّيحِ والحوذانِ من يَمَنٍ ... حَيّيتُ فيكَ غزالًا لا يُحَيّيني [٢]

تُرَى الغَريمُ الذي طالَ اللُّزومُ لهُ ... في الحَيّ مُوَّلَ من بَعدي فيَقضِيني [٣]

إنّ الخَليّ غَداةَ الجِزْعِ غِيدَ به ... إلى ضَميرِ مُعَنّى اللّبّ مَفتونِ

لولا ظِباءٌ مَعاطيلٌ سَنَحنَ لَنا ... ما كانَ يَذهَلُ عن عَقلٍ وعن دينِ

قد كادَ يَنجو بِجِدٍّ مِنْ عَزيمَتِهِ ... فعارَضَتهُ عُيونُ الرّبْرَبِ العِينِ [٤]

ماءُ النُّقيبِ ولو مِقدارُ مَضْمَضَةٍ ... شِفاءُ وَجدي وغيرُ الماءِ يَشفيني [٥]

ونَشْقَةٌ مِنْ نسيمِ البانِ فاحَ بها ... جِنحٌ مِنَ الليلِ تَجري في العَرانينِ

أُسقَى دُموعي إذا ما باتَ في سَدَفٍ ... صَريرُ أثْلٍ بداريّا يُغَنّيني [٦]

وصاحِبٍ وَقَذَ التّهْويمُ هامَتَهُ ... نادَيتُهُ وَرَواقُ اللّيلِ يُؤويني [٧]

فقامَ قد غَرْغَرَتْ في رأسِهِ شَدَهٌ ... يُمضي على الكُرْهِ أمْري أو يُلبّيني [٨]

لا غُرّ قَوْمُكَ كمْ نَوْمٍ على ضَمَدٍ ... سُقماً ولو بِطَريرِ الغَرْبِ مَسنُونِ [٩]

وضارِباتٍ بلَحْيَيْها على أضَمٍ ... من اللُّغوبِ نِحافٍ كالعَراجينِ [١٠]

---

[١] اللواعج: من اللعج، المحرق الذي يضطرب في الصدر. تصميني: تصيبني.

[٢] منشط: من نشط النبات، ظهر. الشيح والحوذان: نوعان من النبات الطيبة الرائحة ذات لونين الأصفر والأحمر.

[٣] اللزوم: الثبات والدوام. موّل: صير كثير المال.

[٤] الربرب: قطيع من البقر الوحشي.

[٥] النقيب: موضع بين تبوك ومعان.

[٦] السدف: الظلمة والليل. داريا: قرية في بلاد الشام.

[٧] وقذ التهويم: غلبه النعاس.

[٨] غرغرت: صاح بصوت فيه بحة. الشدة: الحيرة.

[٩] الضمد: الحقد والغيظ والظلم. الطرير: المحدد. الغرب: الحد أو الحدة والنشاط.

[١٠] لحييها: مثنى لحي(اللحيان) وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان. أضم: الحقد والحسد. اللغوب: التعب. العراجين: أصل عنقود النخل، وهو الذي يبقى على النخل يابسا بعد أن يقطع العذق(السعف).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبلَى أزِمّتَـــها بُعْـــدُ المَـــدى وغـــدَتْ ... من الوَجَى بينَ مَعقـــولٍ ومَرْســـونِ[١]
مُغرَوْرِقاتِ المَـــآقي كلّمـــا نظَـــرَتْ ... بَرْقاً يُضيءُ كِفافَ الغُـــرّ والجُـــونِ[٢]
هيهاتَ بابِلُ مِن نَجـــدٍ لقـــد بَعُـــدتْ ... على المَطيّ مَرَامـــي ذلـــكَ البِيـــنِ[٣]
سَلْني عنِ الوَجْدِ إنّـــي كـــلّ شـــارِقةٍ ... يُريشُني الوَجْـــدُ والأيّـــامُ تَـــبرِيني[٤]

---

[١] أزمتها: مفردها الزمام، ما تقاد به الدابة. الوجى: مشي الناقة التي تشتكي من باطن خفها. معقول ومرسون: مربوط. والرســـن: حبـــل يجعل في رأس الدابة.

[٢] كفاف: حرف الشيء. الغر: البيض. الجون: السود.

[٣] البين: الناحية، القطعة من الأرض تكون بقدر مد البصر.

[٤] يريشني: ألزق عليه الريش، وهي من راش السهام. الوجد: الشوق الشديد. تبريني: من برى السهم، نحته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطّيفيّات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

[الخفيف]

إنّ طَيْفَ الحَبيبِ زَارَ طَرُوقاً ... وَالمَطايَا بَيْنَ القَنَانِ وَشِعْبِ[١]

فَوْقَ أكْوَارِهِنّ أنْضَاءُ شَوْقٍ ... طَرَقُوا بِالغَرَامِ دُونَ الرّكْبِ

كُلّمَا أنّتِ المَطِيُّ مِنَ الإعْـ ... ـيَاءِ أنّوا مِنَ الجَوَى وَالكَرْبِ

زَارَني وَاصِلاً عَلى غَيرِ وَعْدٍ ... وَانْثَنَى هَاجِراً عَلى غَيرِ ذَنْبِ

كَانَ قَلْبِي إلَيْهِ رَائِدَ عَيْنِي ... فَعَلَى العَيْنِ مِنّةٌ لِلقَلْبِ

بِتُّ أَلْهُو بِنَاعِمِ الجِيدِ غَضٍّ ... وَفَمٍ بَارِدِ المُجَاجَةِ عَذْبِ[٢]

بَل وَجْدِي وَمَن رَأى اليَومَ قَبلِي ... نَافِعاً لِلغَلِيلِ مِنْ غَيرِ شُرْبِ

سَامِحاً لِي عَلى البِعَادِ بَنِيلٍ ... كَانَ يَلْوِيهِ فِي زَمَانِ القُرْبِ

كَانَ عِندي أنّ الغُرُورَ لِطَرْفِي ... فَإذا ذَلِكَ الغُرُورُ لِقَلْبِي

---

[١] القنان وشعب: موضعان.

[٢] المجاجة: الريق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

[الطويل]

أمنكِ الخَيالُ الطّارِقي بَعدَ هَجعَـــةٍ ... يُعاطي جَوَى الظّمآنِ مُبتَسماً بَـــرْدَا
دَنَا مِنْ أعَالي الرّقمَتَينِ وَمَـــا دَنَـــا ... وَصَدّ وَقَدْ وَلّى الظّلامُ وَما صَـــــدّا
وَمِنْ عَجَبٍ رَيّي وَما نَقَعَ الصّـــدَى ... وَعَدّي لَهُ مَنّاً عَلَـــيّ وَمـــا اعتَـــدّا
أسَاءَ لَيَالي القُـــرْبِ نَأيـــاً وَهِجْـــرَةً ... وَأسدَى على بُعدٍ من الدارِ ما أسدَى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣)

[الكامل]

لَيْتَ الخَيالَ فَرِيسَةً لِرُقَادِي ... يَدْنُو بطَيفِكِ عَنْ نَوًى وَبعَادِ
وَلَقَدْ أَطَلْتُ إلى سُلُوِّكِ شِقّتي ... وَجعلتُ هَجرَكِ وَالتَجَنُّبَ زادِي
أهْوِنْ بِما حَمّلتِنِيهِ مِنَ الضّنى ... لَوْ أنّ طَيفَكِ كانَ مِنْ عُوّادِي[1]
وَلَقَلّمَا نَزَلَ الخَيَالُ بمُقْلَةٍ ... رَوْعَاءَ نافِرَةٍ بِغَيرِ رُقَادِ
ما تَلتَقي الأجفَانُ منها سَاعَةً ... وَإذا التَقَتْ فَلِغَضّ دَمْعٍ بَادِ
لا يَبْعَدَنْ قَلْبِيَ الذي خَلَفَتْهُ ... وَقْفاً عَلى الإتْهَامِ والإنْجَادِ
إنّ الذي عَمَرَ الرّقادَ وِسَادَةً ... لمْ يَدْرِ كَيفَ نَبَا عَلَيّ وِسَادِي

[1] العواد: الذين يعودون المريض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

[الكامل]

ما عِندَ عَينِكَ في الخَيـــالِ الزّائـــرِ أطُرُوقُ زَوْرٍ أمْ طَمَاعَـــةُ خَـــاطِرِ
بَاتَ الكَرَى عِنـــدِي يُـــزَوِّرُ زَوْرَةً مِنْ قَاطِعٍ نَـــائي الدّيَـــارِ مُـــهَاجِرِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥)

[الخفيف]

مَا لِذا الزَّوْرِ مَا يَغبّ مِنَ الرّمْـــــ ـــلِ طُرُوقاً في مَضْجَعٍ قَدْ أقُضّـــا
مُهْدِياً لي مِنْ طيـــبِ أرْوَاحِ نجـدٍ ما يُداوِي نُكسَ العليـــلِ المُنَضّـــى
لمْ يَكُنْ غَيرَ خَطْـــرَةِ الـبَرْقِ مَـا زَوّدَ عَيـــنَ المَشُـوقِ إلاّ وَمَضّـــا
قـــادَهُ الغَمـــضُ مِـــنْ زَرُودَ فَلَمّـــا زَارَ أنبَى عَـــنْ مُقلتَـــيّ الغُمْضَـــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦)

[السريع]

يـا حَبّـذا مِنـكِ خَيـالٌ سَـرَى ... فَدَلّـهُ الشّـوْقُ عَلـى مَضْجَعـي
أنّى تَسَرّى مـن عَقيـقِ الحِمَـى ... مَنَـازِلَ الحَـيّ عَلـى لَعْلَـعِ
بَـاتَ يُعَـاطِيني جَنَـى ظَلْمِـهِ ... وَبِـتُّ ظَمْـآنَ وَلـمْ أنْقَعِ[1]
مُعَانِقـاً كَـانَ عِنَـاقي لَـهُ ... وَرَاءَ أحْشَـائيَ والأضْلُـعِ
عـاقَرَني يَشْـرَبُ مِـنْ مُـهْجَتي ... رَيّـا وَيَسـقينيَ مِـنْ أدمُعـي

---

[1] الظلم: ريق الأسنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧)

[الطويل]

أَلَـمَّ خَيَـالُ العَامِرِيَّـةِ بَعـدَ مَـا ... تَبَطَّنَنَا جفن مِـنَ اللَّيْـلِ أوْطَـفُ[١]

يُحَيِّيَ طِلاحاً حِينَ هَمَّـوا بوَقعَـةٍ ... تَهَاوَوْا عَلى الأذْقَانِ ممّا تَعَسَّـفُوا[٢]

وَقيذِينَ قَدْ مَـالَ النُّعَـاسُ بهامِـهِمْ ... كَما أرْعَشَتْ أيدي المُعاطينَ قَرْقَفُ[٣]

---

[١] تبطننا: لفنا. الجفن: غمد السيف، استعارة لليل. أوطف: داني، قريب.

[٢] الطلاح: جمع طليح، وهو التعب. تعسفوا: ساروا على غير هدى.

[٣] وقيذين: جمع وقيذ، الذي مال به النعاس. المعاطين: الشاربين. قرقف: الخمر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨)

[المنسرح]

مـــا لخَيـــالِ الحَبيـــبِ قَـــدْ طَرَقَـــا ... وَمَـــا لـــهَذا المُحـــبّ قَـــدْ قَلِقَـــا[١]

سَـــالَتْ بإنســـانِ عَينِـــهِ لُجَـــجٌ ... لَوْ لَمْ يَكُـــنْ سَـــابحاً لَقَـــدْ غَرِقَـــا[٢]

---

[١] طرق: ظهر ليلا.

[٢] لجج: معظم الماء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٩)

[الطويل]

أُرَاقِبُ مِنْ طَيفِ الحَبيبِ وِصَـــالا ... وَيَـأبَى خَيَـالٌ أنْ يَـزُورَ خَيَـالا
وَهَلْ أبْقَـتِ الأشْـجانُ إلاّ مُمَثَّـلاً ... تُعَـاوِدُهُ أيْـدِي الضَّنَـا وَمِثَـالا
ألمّ بِنَا واللّيـلُ قَـدْ شَـابَ رَأسُـهُ ... وَقَدْ مَيَّلَ الغَرْبُ النّجُـومَ وَمَـالا[1]
وَأنّى اهتَدَى فـي مُدْلَهِمّ ظَلامِـهِ ... يخُوضُ بِحاراً أوْ يَجُـوبُ رِمَـالا
تَأوّبَ مِنْ نَحْـوِ الأحِبّـةِ طَـارِداً ... رُقَادِي وَمَـا أسْـدَى إلـيّ نَـوَالا
أوَائِلُ مَسّ الغَمضِ أجفَانَ نـاظِري ... كمَا قارَبَ القَوْمُ العِطاشُ صِـلالا[2]
وَمَا كَانَ إلاّ عَارِضاً مِـنْ طَماعَـةٍ ... أزَالَ الكَـرَى عَـنْ مُقلَتَـيّ وَزَالا

---

[1] الغرب: الغروب.

[2] الصلال: المطرة الخفيفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٠)

[السريع]

وَزَائِـــرٍ زَارَ عَلَـــى نَأيِـــهِ ... بَعْدَ الأسَـــى عَـــادَ بَعِيـــدَ الغَـــرَامْ
أمَـــنْزِلٌ عِنْـــدَ عَقِيـــقِ الحِمَـــى ... وَمَضْجعٌ عِنـــدي بـــأعلَى الشَّـــآمْ
زِيَـــارَةٌ زَوَّرَهَـــا خَـــاطِرِي ... مَا أقْنَـــعَ النَّفْـــسَ بِـــزَوْرِ المَنَـــامْ
خَدائِـــعٌ أغْضِـــي عَلَـــى عِلْمِـــهَا ... لَعَلَّـــهَا تَنْقَـــعُ هَـــذا الأُوَامْ[1]

[1] الأوام: العطش، وقيل حره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

THE HIJAZI AND THE NAJDI POEMS OF AL-SHARIF AL-RADI

By

Eman Emran Abu-Dhaim

Supervisor

Dr. Yaseen Ayish

This study deals with the Hijazi and Najdi poetry of Al-Sharif Al-Radi, in which he refers to different places in Hijaz and Najd and expresses his love and yearning to these places . The lack of studies dealing with this subject motivated me to conduct this research concentration on two aspects of Al-Sharif 's poetry: the artistic characteristics of his poetry and symbolism in his poetry.

I began this study by a survey of his life from birth to death. Next, I discussed various reasons that led to his attachment to Hijaz and Najd and the ways he expressed his love and yearning to various spots in these two regions. I discussed various features of his poetry, including his poetics style and images. I pointed the

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

differences between his Hejazi and Najdi poems on the one hand and his other love poems on the other hand.

Next, I studied symbolism in his poetry. Finally, I studied this kind of poetry following his death. I studied poetry written by five poets from different eras, discussing the similarities and differences between them and poetry of Al-Sharif, who is considered the founder of the school of this type of poetry.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit